

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لِنُخْرِجَ بِكَ طَلِبَ الْأَضْلَاحِ فِي مَشْرِجِهَا

# الْأَضْلَاحُ الْحُسَيْنِيَّةُ

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاتِهَا الْفِكْرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مُؤَسَّسَتِهِ وَأَرْشَادَاتِهَا لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ النَّهْضَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ

الْعَنْبِيَّةُ الْحُسَيْنِيَّةُ الْمُقَدَّسَاتُ

العدد الثاني والثلاثون

السنة الثامنة (١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م)



# الإصلاح الحسني

مجلة فضليته علمية تُعنى بالنهضة الحسينية وافتقارها الفكرية



الهيئة الاستشارية

آية الله السيد عادل العلوي  
آية الله السيد منير الخباز  
العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقلسي

آية الله الشيخ محمد السنند  
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني  
آية الله السيد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي



# الإصلاح الحسيني

## \*.....: الإشراف العام:

سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

## \*.....: التنسيق العام:

السيد صالح التنكابني

السيد مالك البطاط

أ. م. د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

## \*.....: إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قمر المقدسة)

## \*.....: معاونة المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قمر المقدسة)

## \*.....: رئيس التحرير:

الشيخ صباح عباس الساعدي

## \*.....: مدير التحرير:

الشيخ عدنان الطائي

## \*.....: هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميشر الربيعي

د. الشيخ أسعد السلطان

د. الشيخ رعدان المنصوري

## \*.....: تقويم النص:

الشيخ عصام السعدي

## \*.....: الإخراج الفني:

الشيخ حسين المالكي

## \*.....: التصميم والجرافيك:

عبد الزهرة الطائي

السيد صادق الحيدري

## \*.....: معتمد الترجمة الإنجليزية:

الشيخ حيدر علي البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978-978 ISSN:

## هوية المجلة

مجلة فصلية علمية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

## اهتمام المجلة

تهتمُّ المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحدّاث والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

## ضوابط النشر

تدعو (مجلة الإصلاح الحسيني) الأساتذة والباحثين والمحققين الفضلاء، وكلّ مَنْ لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتائجهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلة وأركانها.
- ألا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتّبعة (مقدمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبّته في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلة غير ملزمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

## تنويه

- يُسَلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قبل لجنة مختصة.
- للمجلة حق إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشر.
- من صلاحيات المجلة إجراء التعديلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنية.
- المجلة تتبّع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

## مراكز النشر

\* النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدّسة.

\* النجف الأشرف: الجديدة الثانية - مكتبة دار الهلال.

\* النجف الأشرف: سوق الحويش - مكتبة دار الغدير.

\* النجف الأشرف: سوق الحويش - المكتبة العلمية.

\* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.

\* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدّسة.

\* إيران / قم المقدّسة: صفائية - سوق الإمام المهدي ﷺ - مكتبة فذك.

\* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان - مكتبة الهاشمي.

# المحتويات

## مقال التكرير

الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٤) .. الآيات المرتبطة بقوم النبي موسى عليه السلام  
الشيخ صباح عباس الساعدي ..... ١٣

## ملف العدد

### الآباء القرآنية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام (٤)

حوارية: أساليب النصرة في القرآن الكريم وتجلياتها في النهضة الحسينية  
العلامة الشيخ علي الكوراني ..... ٤٩

### عاشوراء وحقيقة الخلاص .. مقارنة قرآنية نقدية لنظرية الفداء (القسم الثاني)

الشيخ ثناء الدين الدهلكي ..... ٧٧

### الآيات المؤولة بالإمام الحسين عليه السلام .. دراسة وتحليل (القسم الثاني)

السيد شهيد طالب الموسوي ..... ١١٩

### السلوكيات المستندة إلى القرآن الكريم .. سلوكيات مواجهة العدو في واقعة الطف أنموذجاً

الشيخ عبد الرزاق النداوي ..... ١٤٣

### أثر الإمام الحسين عليه السلام في تفسير القرآن .. عرض وتحليل

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي ..... ١٧١

**الأثار المعنوية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام في ضوء الآيات القرآنية . . دراسة وصفية تحليلية  
(القسم الثاني)**

د. الشيخ أسعد السلطان ..... ١٩١

**السلوكيات القرآنية في واقعة الطف . . سلوكيات الأسارى أنموذجاً**

م. م. هدى كاظم عيسى الموسوي ..... ٢٣٣

**معالم الشراكة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم**

د. السيّد مهدي عيسى البطاط ..... ٢٦١

**توظيف آية التطهير بلسان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في النهضة الحسينية**

الشيخ وسيم راقم الوائلي ..... ٢٨٣

**در أساتذتنا**

**النهضة الحسينية والبعثة النبوية . . القسم الثاني: دراسة مقارنة في مراحل تحقيق الأهداف**

العلامة السيّد سامي البدري ..... ٣١٥

**خلاصة المقالات**

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ..... ٣٤١

# مَقَالُ التَّحْرِيرِ

الحضور القرآني

في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٤)

الآيات المرتبطة بقوم النبي موسى عليه السلام



## الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٤)

### الآيات المرتبطة بقوم النبي موسى عليه السلام

الشيخ صباح عباس الساعدي\*

#### المقدمة

من الحقائق التي عمد أعداء الدين على إخفائها وتغييبها، هي الهوية الحقيقية للأشخاص الذين ارتكبوا جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ بات انتهاؤهم العقدي وهويتهم الجغرافية و... من التهم التي تلصقها الأطراف المتنازعة بفئة - أو بلدة - معينة، وتطلقها إطلاق المسلمات التي تبدو للقارئ وكأنها من النقاط التي يتفق عليها جميع المسلمين؛ بعد أن ساهمت السلطة الحاكمة آنذاك في تغييب معلومات مهمة عن هذا الموضوع، ومحو الخيوط التي تساعد في كشف حقيقة هؤلاء المجرمين وهويتهم، وفي المقابل ألقوا باللوم والذنب على فئة - أو أهل بلدة - معينة؛ مدعية أنهم المسبب الرئيس في مقتل الإمام الحسين عليه السلام، كل ذلك بالتواطؤ مع بعض المؤرخين الذين تم اختيارهم لتدوين التاريخ الإسلامي آنذاك، بعدما لمسوا ضرورة هذا الإجراء وأهميته في الحفاظ على سمعة منهجهم الديني، والإبقاء على قواعدهم الجماهيرية المعتمدة بذلك الخط المناوئ لأهل البيت عليهم السلام.

كما أن الدراسات التحليلية المتأخرة التي عنيت بالبحث عن هوية أعداء الإمام

---

\* رئيس تحرير مجلة الإصلاح الحسيني.

الحسين عليه السلام - الذين كان لهم دور بارز في قتله عليه السلام - تكاد تكون نادرة إن لم نقل: إنها شبه معدومة بالقياس إلى الجوانب الأخرى المرتبطة بنهضة سيّد الشهداء عليه السلام؛ إذ لم نجد من تلك الدراسات - كتاباً كان أو بحثاً - قد تطرّق إلى هذا الموضوع إلا بالمقدار الذي لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة<sup>(١)</sup>، في حال أنّ هذا الموضوع من الموضوعات التي لها دور كبير في كشف الحقائق المرتبطة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنها تُعدُّ إحدى الحلقات المهمّة في معرفة حجم الضرورة إلى تصدّي الإمام الحسين عليه السلام ومواجهته لهذا الكيان اللصيق بالجسم الإسلامي، كما أنّه يساعدنا في الوقوف على كثير من البواعث التي أدّت إلى وقوع تلك الحادثة المؤلمة والجريمة البشعة التي حصلت في تاريخ الإنسانية جمعاء.

ومن هذا المنطلق؛ فقد رأينا أن نتناول هذا الموضوع في مقالنا الأخير من سلسلة المقالات المرتبطة بالملف القرآني؛ عسى أن يضيف شيئاً يسيراً إلى جانب تلك الجهود التي بذلها من سبقنا في تناول هذا النوع من الأبحاث، على أن تكون زاوية بحثنا التي نخوض فيها مختلفة تماماً عمّا سلّط عليه الضوء في النتاجات المذكورة آنفاً؛ إذ

(١) من خلال متابعة النتاجات المرتبطة بموضوع بحثنا عثرنا على مجموعة من النتاجات القيّمة التي حُصّصت لهذا الموضوع، وقد وجدنا بعضاً منها جديراً بالقراءة المتأنية، وهي:

كتاب (عدد المُخرَجين لحرب الإمام الحسين عليه السلام) تأليف: السيّد حسن الصدر، الصادر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، تحقيق: السيّد حسين آل وتوت، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.

كتاب (من هم قتلة الإمام الحسين عليه السلام؟ شيعة الكوفة؟) تأليف: السيّد علي الحسيني الميلاني، الصادر عن مركز الحقائق الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

كتاب (من قتل الحسين؟) تأليف: الشيخ كاظم مصباح، الصادر عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

كتاب (من قتل الحسين عليه السلام؟ ومن قاتل معه؟) تأليف: جسّام محمد السعيد، يجده القارئ الكريم في موقع كتابات في الميزان، على شكل مقالات، وبعد التواصل مع مؤلّف الكتاب تبين لنا أنّ كتابه في لمساته الأخيرة ليقوم بطباعته ونشره قريباً.

إننا سوف نعتد بالدرجة الأساس على أسلوب تقصي حقيقة هؤلاء القوم ومعرفة هويتهم من خلال الكلمات التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام وبياناته النورانية التي وصلت إلينا، ونخصّ منها الآيات التي وظّفها عليه السلام في بياناته المباركة، والتي دلّت على جذور هؤلاء الأشخاص الذين أصبحوا وصمة عار في جبين المسلمين إلى يوم القيامة؛ بعد أن سعت بعض الأقلام المأجورة إلى نسبتهم لشريحة مهمّة من شرائح المجتمع الإسلامي، في حال أننا نجد في بياناته عليه السلام - وخصوصاً ما كان متضمناً منها للآيات القرآنية - أنهم بعيدون كلّ البعد عن الإسلام والمسلمين، بل أثبت لنا عليه السلام أنهم كفرة و منافقون، والإسلام منهم بريء كبراءة الذئب من دم يوسف.

### الآيات التي طبقت على أعداء الإمام الحسين عليه السلام

وإذا أردنا أن نقوم بعملية مسح ميداني - واستقصاء سريع - للآيات التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام، وقام بتطبيقها على هؤلاء القوم، فإننا نخرج بالقائمة الآتية: ١ و٢- آيتان من الآيات التي خاطب بها النبي نوح عليه السلام قومه، فقد ذكر المؤرخون بأن الإمام الحسين عليه السلام خاطب القوم قائلاً: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا؛ حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم، فأجمعوا رأيكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

٣ و٤- وهناك رواية أخرى تتحدّث عن توظيف الإمام الحسين عليه السلام لبعض الآيات

(١) يونس: آية ٧١.

(٢) الأعراف: آية ١٩٦.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧. وأنظر أيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم

والمملوك: ج ٤، ص ٣٢٢.

المشابهة للآية الأولى في النص المذكور آنفاً، ولكن هذه الآية هنا هي من الآيات التي خاطب بها النبي هود عليه السلام قومه، وهو قوله عليه السلام: «**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ...**»<sup>(١)</sup>، ثم كيدوني جميعاً فلا تنظرون<sup>(٢)</sup>، ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾<sup>(٣)</sup>، فقد يكون في هذا النصّ توظيف آخر من قبل الإمام الحسين عليه السلام لهاتين الآيتين الكريمتين، ولا أقل من بقاء هذا النص ضمن النصوص التي نحتمل احتمالاً كبيراً بأنها صدرت عن الإمام عليه السلام، ولا يوجد مثبت على نفيه؛ لذا فإنه يتحتم علينا ذكره ضمن قائمة الآيات التي ذكرها عليه السلام.

٦٥- ثمّة آيتان حكاهما الله عز وجل عن لسان النبي موسى عليه السلام حينما خاطب قومه في مواجهته مع فرعون، وقد استعاذ فيهما النبي عليه السلام بالله عز وجل من بعض المخاطر التي واجهته في مسيرته الإصلاحية، وهاتان الآيتان من الآيات التي طبّقها الإمام الحسين عليه السلام على أعدائه؛ كما ذكر في كتب التاريخ بأنه عليه السلام: «... نادى: يا عباد الله، ﴿**وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْتَجُمُونِ**﴾»<sup>(٤)</sup>، أعوذ ﴿**بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾»<sup>(٥)</sup>.

٧- من الآيات التي وظّفت في بيانات الإمام الحسين عليه السلام ما ذكره الطبري عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي قائلاً: «... فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كلّهم يصلّون ويستغفرون، ويدعون ويتضرّعون. قال: فتمرّ بنا خيل لهم تحرسنا، وإنّ حسيناً

(١) يونس: آية ٧١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ**﴾ الأعراف: آية ١٩٥.

(٣) هود: آية ٥٦.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٩.

(٥) الدخان: آية ٢٠.

(٦) غافر: آية ٢٧.

(٧) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٩.

ليقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١) (٢).

٨ - ومن الآيات التي وظّفها ﷺ هو ما جاء في توبيخ القوم؛ إذ قال ﷺ: «... فإنما أنتم من طواغيت الأئمة وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، وفتنة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئ السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، ومُلحقي العهار بالنسب، ومُوذّي المؤمنين، وصرّاح أئمة المستهزئين، ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٣) (٤).

٩ و١٠ - كما أنه ﷺ اعتمد في بيان حقيقة أعدائه - والتغيّر الذي حدث لهم - على بعض الآيات القرآنية التي تثبت كفر من يتوافر على الخصائص التي ذكرت فيها، فقال ﷺ: «لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٥)، هؤلاء قوم ﴿... كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٦)، ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) (٨).

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٥.

(٣) الحجر: آية ٩١.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨.

(٥) البقرة: آية ١٥٦. الآية الكريمة الواردة في النصّ أعلاه وإن كان الإمام ﷺ قد وظّفها بشكل صريح في خطابه، إلا أنه ﷺ لم يكن قاصداً تطبيقها على أعدائه، إلا إذا قلنا: إنه ﷺ كان يعتقد بأنّ تحوّلهم وضلالهم - بل وإقدامهم على ارتكاب هذه الجريمة النكراء - إنّما هو من أفراد المصائب التي ذكرت في مطلع الآية الكريمة؛ ولذا لم نعدّها ضمن قائمة الآيات التي طبّقت على أعداء الإمام الحسين ﷺ.

(٦) آل عمران: آية ٨٦ وآية ٩٠.

(٧) المؤمنون: آية ٤١.

(٨) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٩-٢٥٠. على أنّ الإمام الحسين ﷺ قد وظّف بعض التعبيرات القرآنية في مطلع خطابه مع تغيير في الضمائر التي وردت في الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى في سورة المجادلة: آية ١٩: ﴿اسْتَعِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ وَذَكَرَ اللَّهُ﴾، ولكننا لم ندرج هذه الآية ونظائرها ضمن القائمة أعلاه؛ لأنّ بوصلة بحثنا ناطرة إلى الآيات التي تمّ توظيفها نصّاً صريحاً.

١١ و١٢- ينقل ابن عساكر خطبة للإمام الحسين عليه السلام خطبها صبيحة يوم العاشر من محرّم الحرام، محدّراً فيها الأعداء من الدنيا وأتّها زائلة لا تبقى لأحد، وعليهم أن يتّعظوا منها، فقد قال عليه السلام: «عبادَ الله، اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر! فإنّ الدُّنيا لو بقّيت لأحد وبقيَ عليها أحدٌ، كانت الأنبياءُ أحقّ بالبقاء، وأولى بالرِّضا، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجدِّدها بال، ونعيمها مضمحلٌّ، وسُرورها مكفهرٌ، والمنزلُ بُلغَةٌ، والدارُ قُلعةٌ، فترودوا: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>...»<sup>(٣)</sup>.

١٣- ذكر الطبري وابن كثير وغيرهما أنّ الإمام الحسين عليه السلام قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، في صدد جوابه عليه السلام على اعتراض عمرو بن سعيد بن العاص وأزلامه<sup>(٥)</sup>، بعد أن وقف الأخير في وجه قافلة الإمام الحسين عليه السلام المتوجّهة نحو العراق، مُتّهماً الإمام عليه السلام بشقّ عصا المسلمين والخروج عن الجماعة.

كما رُوِيَ في الفتوح أنّ يزيد بن معاوية كتبَ كتاباً إلى أهل المدينة وضمّنه أبياتاً من الشعر، وحينما وصلهم الكتاب بعثوا به إلى الإمام الحسين عليه السلام من دون أن يبلغوه بمصدر هذا الكتاب وقائل الأبيات الشعرية، فلمّا قرأه الإمام عليه السلام علم أنّه من يزيد بن معاوية فكتب في جوابه: «بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، والسلام»<sup>(٦)</sup>. فيمكن أن يكون

(١) البقرة: آية ١٩٧.

(٢) البقرة: آية ١٨٩. آل عمران: آية ١٣٠ وآية ٢٠٠.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٨.

(٤) يونس: آية ٤١.

(٥) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٩. وأيضاً: ابن كثير، إسماعيل

بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٩.

(٦) الكوفي، أحمد بن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ٦٩.

جوابه لوالي مكة موقفاً آخر قام الإمام عليه السلام فيه بتوظيف الآية المباركة للتأكيد على الاختلاف الكبير بين منهج الإمام عليه السلام ومنهج أعدائه.

١٤- ذكر ابن سعد في طبقاته أنّ الإمام الحسين عليه السلام خاطب أهل بيته وأصحابه في ليلة العاشر قائلاً: «... وهذا الليل قد غشيكم، فمن كانت له منكم قوة فليضم رجلاً من أهل بيتي إليه وتفرّقوا في سوادكم، حتّى يأتي الله: ﴿بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ. فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، فإذا رأوني هوا عن طلبكم»<sup>(٢)</sup>.

١٥- كما وظّف عليه السلام جزء آية في رسالته إلى وجوه أهل البصرة والتي قال فيها: «... فإنّ السنّة قد أمّيت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وأنّ تسمعوا قولي وتطيعوا أمري: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٣)</sup>، والسلام عليكم ورحمة الله»<sup>(٤)</sup>؛ وبما أنّ بعض أولئك الوجوه كان له موقفاً معادياً لنهضة الإمام الحسين عليه السلام ومناصرّاً ليزيد، فيمكننا إدراج هذه الآية في ضمن الآيات التي طُبِّقت على أعداء الإمام الحسين عليه السلام. إلى غير ذلك من الآيات التي خاطب بها الإمام الحسين عليه السلام أعداءه، سواء في حياته أو بعد استشاده، أي: حينما أنطق الله عز وجل الرأس الشريف ببعض الآيات القرآنية، وقد اقتصرنا على ذكر ما تقدّم روماً للاختصار.

الموضوع: وبما أنّنا اتّبعنا - في الأبحاث القرآنية المرتبطة بموضوع بحثنا - سياسة موحّدة؛ وذلك بأن نجعل بعض النماذج من الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع بحثنا في دائرة الضوء؛ لكي نجري عليها الخطوات المتّبعة في البحوث المتقدّمة؛ فقد وقع اختيارنا على آيتين من الآيات المرتبطة بقوم النبي موسى عليه السلام، إيماناً منا بالترابط

(١) المائدة: آية ٥٢.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد، (الطبقات الكبرى) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٧٠.

(٣) غافر: آية ٣٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦.

الوثيق بين الآيات التي طبَّعها الإمام الحسين عليه السلام على نفسه في بداية تحرّكه من المدينة إبان نهضته المباركة، وبين ما خاطب به الأعداء في نهاية المطاف، كقوله تعالى: ﴿وإني عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾، أو قوله عليه السلام: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(١)</sup>؛ إذ إنَّ مناسبة التقابل بين الآيات التي قرأها الإمام عليه السلام في بداية مطافه وخروجه من المدينة وبين هاتين الآيتين اللَّتين قرأهما في نهاية المطاف الدنيوي، واختارهما لأن تكونا ختاماً لحديثه - وهي الآيات المرتبطة بقوم موسى عليه السلام - تُدلّل على أنّ الإمام الحسين عليه السلام في ذات الوقت الذي قارن بين موقفه وموقف النبي موسى عليه السلام نجده قد قارن بين أعدائه وأعداء النبي موسى عليه السلام كذلك؛ فتكون هاتان الآيتان مادّة محورية في معرفة هوية العدو والسمات المشتركة بينه وبين أعداء الأنبياء الذين ذكرهم الله عليه السلام في كتابه الكريم.

كما أنّنا سوف نتبّع في المقام نفس الخطّوات المتقدّمة في بحوثنا السابقة أيضاً، وهي: الخطوة الأولى: المعنى التفسيري للآيتين المباركتين. والخطوة الثانية: صفات العدو الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام. والخطوة الثالثة: المقارنة بين المعنى التفسيري للآيتين الكريمتين والموارد التطبيقية لهما؛ لكي نخلص إلى نتائج واضحة حول موضوعه أعداء الإمام الحسين عليه السلام.

### الخطوة الأولى: المعنى التفسيري للآيتين المباركتين

تكتنز الآيتان المباركتان - اللتان تمّ اختيارهما في بحثنا - مجموعة من المفردات ذات المعاني المهمّة والمحورية في فهم الأحداث التي جرت في المعركة التي خاضها النبي موسى عليه السلام ضدّ أعتى جبهة معادية في زمانه، تمثّلت بفرعون وأزلامه الطغاة المتجبرّين، وفي الوقت ذاته فإنّ الذي يميّز هاتين الآيتين عن سواهما من الآيات لكي

(١) ورد في العوالم للحراني أنّ الإمام الحسين عليه السلام قرأ الآية كما في كتاب الله، فيما نقلت بقيّة المصادر المتقدّمة: أنّ الإمام عليه السلام قرأها بقوله: «أعوذ بري...»، فتصرّف بالمفردة الأولى من الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿عُدْتُ﴾.

تكونا محور بحثنا، هو تلاقي أغلب ألفاظها، حتى على مستوى التراكيب والمادة، كما سيتضح لنا عند عرض المعنى التفسيري لكل منهما:

**الآية الأولى: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾**  
١ - قوله تعالى: ﴿إِنِّي عُدْتُ﴾

تُعدُّ النصوص الدينية الحائِة على الاستعاذة بالله ﷻ - والالتزام بها في مجالات الحياة كافة - من النصوص التي أعارت هذه المفردة عناية فائقة جداً، وهذه النصوص هي عبارة عن آيات قرآنية كثيرة وروايات وافرة وموزعة في حقول متعددة وأبواب متنوعة في الموسوعات الحديثية وكتب الأدعية والمناجاة؛ فقد حظيت عملية الاستعاذة بالله باهتمام بالغ وفي جوانب شتى من الحياة، حتى إنها لتمتد إلى المسائل الشخصية والمعيشية، وتأمّر الفرد المسلم بأن يتخذها سلاحاً في مواجهة كل شيء يتخوّف منه<sup>(١)</sup>، بل إننا مأمورون بالاستعاذة بالله من شرور أنفسنا أيضاً، كما في الأدعية الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وعلى صعيد السلوك العام للأنبياء والرسل والأولياء؛ فقد باتت هذه المسألة من السمات البارزة في سلوكياتهم ﷺ، بعد أن توجّهت إليهم الأوامر الإلهية باتخاذ هذه الآلية الناجحة في تذليل العقبات التي تواجههم في حياتهم؛ فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذلك حينما يريد ﷺ الشروع بقراءة القرآن، فإن الله ﷻ يأمره بقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي حال دخوله ﷺ في مواجهة مع الكافرين والمتكبرين - تلك المهمة الرئيسة والمستمرة في حياة النبي ﷺ - فإنه مأمور بقوله تعالى:

(١) أنظر: خطب الإمام علي ﷺ، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٧٦.

(٢) أنظر: أدعية الإمام زين العابدين ﷺ، الصحيفة السجادية: ص ٥٤٧.

(٣) الأعراف: آية ٢٠٠.

(٤) النحل: آية ٩٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>، وقد استفاد

بعض المفسرين من هذه الآيات المباركة، ونظائرهما التي حكى لنا استعادة الأنبياء والأولياء، أن هذه الحكاية تستبطن أمراً إلهياً لجميع عباده بأن يستعيدوا به ﷺ؛ لأن استعادة الأنبياء والأولياء تعني أن كل مخلوق يجب أن يكون مستعيداً بالله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وبما أن المعنى المنساق من لفظ الاستعادة بالله هو: الالتجاء والتوكل على الله ﷻ، كما ذكر ذلك بعض المفسرين، أو بمعنى الاعتصام به ﷻ<sup>(٣)</sup>، فإن معنى قول النبي موسى عليه السلام في الآية مورد البحث هو: إني ألتجئ إلى الله ﷻ وأتوكل عليه، وأعتصم به ﷻ.

## ٢ - قوله تعالى: ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾

إن صفة الربوبية التي تُعدُّ من الصفات الإلهية الرابطة بين المخلوق وخالقه، وذلك لكونها توحى إلى مهمّة التربية والتدبير الإلهي تجاه مخلوقاته؛ لأنّ الربوبية هي: «تنشئة الشيء حالاً بعد حال، حتى يبلغ حدّ الكمال في التربية»<sup>(٤)</sup>. أو قل: هي «... تبليغ الشيء إلى كماله أو حالٍ أحسن من حاله، وبالجمله إلى كماله الحقيقي أو الإضافي شيئاً فشيئاً»<sup>(٥)</sup>. وبناءً على ما تقدّم؛ فإنّ هذه العملية تحتم استمرارية الارتباط

(١) غافر: آية ٥٦.

(٢) أنظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ١، ص ٧٣.

(٣) أنظر: الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٣٥٢. الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الأصفي: ج ٢، ص ١١٥٣. مُغنّية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج ٧، ص ٩. كما قال الشيخ الطوسي عليه السلام في المقام: «والعياذ هو الاعتصام بالشيء من عارض الشرّ، عدت بالله من شرّ الشيطان، واعتصمت منه بمعنى واحد». الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٧٢.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٤٧٢.

(٥) البروجردي، حسين، تفسير الصراط المستقيم: ج ٣، ص ٣٥٢.

بين الخالق ومخلوقه، واحتياجه الدائم إلى ربّه وخالقه، الأمر الذي يدفع بالمخلوق إلى التعلُّق الدائم والتقرُّب إليه.

ومن هذا المنطلق؛ فإنَّ النبي موسى عليه السلام استعمل هذه المفردة من بين المفردات الدالّة على إله الكون، ليقول - لَمَنْ شهد المحاوراة التي جرت بينه وبين عدوّه -:  
إني عدت بالله عز وجل الذي لا يمكننا الاستغناء عنه ولا نتمكن من الابتعاد عنه؛ لأننا محتاجون إليه في إيصالنا إلى مراتبنا الكمالية.

ولأنَّ عملية تنبيه المخاطب وإشعاره بالمشتركات التي تربطه بالمتكلّم تُعدُّ من الأمور المحفّزة لقبول الدعوة؛ فقد خاطب النبي موسى عليه السلام قومه بقوله: ﴿...بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾. ليكون محرّكاً لهم نحو قبول هذه الدعوة الإلهية؛ كما ذكر ذلك الفخر الرازي بقوله: «إنَّ قوله: ﴿وَرَبِّكُمْ﴾. فيه بعث لقوم موسى عليه السلام على أن يقتدوا به في الاستعاذة بالله، والمعنى فيه أنّ الأرواح الطاهرة القوية إذا تطابقت على همّة واحدة قوي ذلك التأثير جداً، وذلك هو السبب الأصلي في أداء الصلوات في الجماعات...»<sup>(١)</sup>.

كما أنّ في هذا التعبير الذي حكاه الله عز وجل على لسان النبي موسى عليه السلام ردّاً على فرعون الذي حاول أن يجعل النبي موسى عليه السلام في عزلة عن المجتمع، مُدّعياً أنّ دعوته عليه السلام إلى وجود إله لهذا الكون - وأنّه الله عز وجل، وليس فرعون - إنّما هو اعتقاد فردي لا يوافق عليه أحد من الناس... فحاول أن يفردّه لوحده بقوله:  
﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، فجاءه الردُّ الصريح من قبل النبي موسى عليه السلام: «إنَّ الإله الذي أدعوكم إليه هو ربُّكم كما هو ربُّ لي. وقد أشار بعض المفسّرين إلى هذا المعنى في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿بِرَّبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ قائلاً: «... فيه مقابلة منه أيضاً لفرعون في قوله:

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾، حيث خصّ ربوبيته تعالى بموسى، فأشار موسى بقوله: ﴿عُدْتُ بِرَّبِّي

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٢٧، ص ٥٦. وأنظر: الكاشاني، ملا فتح الله، زبدة التفاسير: ج ٦، ص ١٣٣.

(٢) غافر: آية ٢٦.

**وَرَبِّكُمْ**، إلى أنه تعالى ربهم كما هو ربه، نافذ حكمه فيهم كما هو نافذ فيه، فله أن يقي عاذه من شرهم وقد وقى. ومن هنا؛ يظهر أنّ الخطاب في قوله: ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ لفرعون ومَن معه دون قومه من بني إسرائيل<sup>(١)</sup>. ولعلّ إخراجهم لقوم موسى وجعل الخطاب متوجّهاً إلى فرعون وأتباعه لأجل أنّ إيمان بني إسرائيل بدعوة النبي موسى - وبالإله الذي يدعوهم إليه - كان متحقّقاً ومُحرزاً لدى النبي ﷺ، فلم تُعدّ هناك حاجة إلى توجيه الخطاب لهم حينئذٍ.

إذا؛ فقد جاءت هذه الفقرة من الآية الكريمة لتحقيق أغراضاً متعددة في آن واحد، على قلة ألفاظها وإيجاز مفرداتها.

### ٣ - قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾

إنّ هذه الفقرة من الآية الكريمة تركزت على بيان حقيقة الحالة التي استعاذ منها النبي موسى ﷺ، تلك الحالة العامّة التي تُصيب كثيراً من المخلوقات المدركة؛ وهذه السمة هي التكبر<sup>(٢)</sup>؛ ولكونها إذا اجتمعت مع عدم الإيمان بيوم الحساب فسوف تصبح من المسائل الخطيرة في الحياة، فقد جاء النبي موسى ﷺ بأداة العموم (كُلِّ) التي تدلّ على أنّ أيّ مخلوق يحمل صفة التكبر وعدم الإيمان بيوم الحساب لا بدّ أن نلتجئ إلى الله عزّ وجلّ منه؛ لأنّ هاتين الصفتين إذا اجتمعتا في شخص فسوف يكون أخطر مخلوق على وجه الأرض؛ إذ إنّهُ سوف يتمرّد على كلّ القوانين الشرعية والعقلانية، ويتجاوز الحدود المقرّرة لأجل إرساء الأمن والسلام بين المخلوقات، ولا يهتم بأيّ رادعٍ ما لم تكن هناك رقابة دنيوية.

ومن هنا؛ فإنّ النبي موسى ﷺ قد تعوّد من هذا الإنسان الذي يحمل الصفتين

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٧، ص ٣٢٨.

(٢) المقصود من التكبر هو: «أن يرى نفسه فوق غيره في صفة الكمال، فيحصل به نفخة، وآثاره الترفع في المجلس، والتقدم في الطرق، والاختيال في المشي...». الفيض الكاشاني، محمد محسن، النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية: ص ٦٤.

المذكورتين آنفاً، كما أنه ﷺ جعل الآية الكريمة تعمّ فرعون وغيره من الناس؛ لبيان أنّ هذه الاستعاذة عامّة وشاملة تبعاً لعمومية الصفة التي ذكرت وانتشارها في سائر الأمم ومختلف المجتمعات<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ المراد من التكبر في هذه الآية - كما ذكر بعض المفسرين ذلك في قوله: «... وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار، وأدلّ على دناءة صاحبه، وعلى فرط ظلمه...»<sup>(٢)</sup> - هو نمط خاص من أنماط التكبر، وهو الاستعلاء والمكابرة عن قبول الحق والإقرار به.

### الآية الثانية: ﴿وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَرْجُمُون﴾

بما أنّ القسم الأوّل من الآية الكريمة متّحدٌ تماماً مع ما تقدّم في الآية السابقة، فلا داعي للتعرّض إلى تفسيره مرّة أخرى، وإنّما نقتصر في هذه الآية على قوله تعالى: ﴿أَنْ تَرْجُمُون﴾، وسوف نتناوله من جهتين:

### الجهة الأولى: الآيات المتضمّنة لتهديد الأمم للمصلحين بالرجم

وُجِدَت مجموعة من الآيات القرآنية المتحدّثة عن التهديدات التي واجهت الأنبياء والرسل من قِبَل الأمم التي بُعثوا إليها، وقد تمثّلت تلك التهديدات بتوعدهم بالرجم في أحيان كثيرة، كما في قولهم للنبي نوح ﷺ: ﴿... لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فيما تلقّى النبي إبراهيم ﷺ تهديداً أيضاً من قِبَل عمّه آزر؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿... أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيّاً﴾<sup>(٤)</sup>، وكذلك تهديد قوم شعيب لنيهم بقولهم: ﴿... وَلَوْلَا رَهْطُكَ

(١) أنظر: الكاشاني، الملا فتح الله، زبدة التفسير: ج ٦، ص ١٣٢.

(٢) النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤، ص ٧٢.

(٣) الشعراء: آية ١١٦.

(٤) مريم: آية ٤٦.

**لَرَجْمَنَّكَ** ﴿١﴾، كما أن أصحاب الكهف قد تحوَّفوا من خطورة الرجم - الذي يبدو أنه أمرٌ متداول في التعذيب، وفي مواجهة المصلحين آنذاك - فقال بعضهم: **﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ...﴾** ﴿٢﴾.

وهذه الآيات القرآنية ونظائرها من النصوص الدينية تحكي لنا واقعاً يعيشه غالبية المجتمعات السابقة؛ إذ يُعدّ الرجم واحداً من أهمّ الأساليب المستخدمة في القضاء على الخطر الذي يُهدد مصالحهم، وبما أن الأنبياء والرسل والمصلحين كانوا يشكّلون خطراً على المصالح الشخصية للمتنفّذين والمستفيدين؛ فلذا يجاهونهم بهذه الوسيلة المرعبة.

وعلى هذا الأساس؛ فقد تكون استعادة النبي موسى عليه السلام من الرجم نتيجة لتهديدهم له بذلك، أو لمعرفته المسبقة بأنّ جزاء من يسلك الطريق الذي اختاره وسار عليه هو الرجم، فأخبرهم بأنّه قد التجأ إلى الله عز وجل من رجمهم له، وأنّ من المؤكّد بأنّ الله عز وجل سوف يُنجيه من هذا الخطر.

### الجهة الثانية: معنى الرجم

بما أنّ النبي موسى عليه السلام قد أعار هذا التهديد - الذي قد يواجهه في مسيرته الإصلاحية - أهمية فائقة؛ بحيث أوكل أمره إلى الله عز وجل والتجأ إليه في ذلك الأمر، وأخبر قومه بأنّه مستعيد برّبّه من رجمهم، فلا بدّ أن يكون المعنى المقصود منه خطيراً جداً؛ إلى حدّ يقضي على مشروعه الإلهي فيما لو تمكّن أعداؤه من تنفيذ مهمّتهم بنجاح، سواء أكان المعنى المراد منه هو الرجم الحقيقي - أي: القتل بواسطة الرمي بالحجارة، أو بمعناه العام - أم أريد منه المعنى الكنائي، أي: إصاق التهم والدعايات الكاذبة التي تقضي على الشخصية المستهدفة عن طريق تشويه سمعته، فيسقط من

(١) هود: آية ٩١.

(٢) الكهف: آية ٢٠.

أعين المجتمع؛ وبالتالي فلا يؤثر في جمهوره ولا يُستَمَع لكلامه، وقد ذكر بعض المفسرين هذا المعنى قائلاً: «... إن موسى ﷺ استعاذ بالله من أن يرحمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولاً باللسان، وفعلاً باليد. والصواب أن يُقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه، شتماً كان ذلك باللسان، أو رجماً بالحجارة باليد»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك بأن كلا الأسلوبين بالغ الخطورة، فالتصفية الجسدية للشخصية المصلحة سوف تؤدي إلى القضاء على المشروع الإصلاحية، كما أن التسقيط والدعايات الكاذبة - أو ما يُسمّى بالحرب الناعمة في المصطلح الحديث - سوف تقتل الشخصية المصلحة معنوياً وتجعله بمنزلة الميت بين الأحياء؛ ولذا فإننا نشهد اعتماد هذين الأسلوبين في سائر العصور والأزمنة.

وبما أنه ﷺ كان على يقين راسخ بالتسديد الإلهي، فقد وجّه كلامه إلى القوم محبباً إياهم عمّا قام به من عملية احترازية، وهي الاستعاذة التي تحميه وتدفع عنه جميع المخاطر المتوجّهة إليه.

### الخطوة الثانية: صفات العدو الذي واجهه الإمام الحسين ﷺ

من أهم الركائز التي تبتني عليها رصانة المعلومة في هذا البحث، هو عملية الإحصاء لكشف أبرز الصفات التي توافرت في الأشخاص الذين وقفوا في المعسكر المعادي للإمام الحسين ﷺ؛ إذ إن صدق الفرضية التي ابنتى عليها البحث يُحتم علينا معرفة السمات التي اتّسم بها أعداء الإمام الحسين ﷺ؛ ليتسنى لنا مطابقتها مع المعنى التفسيري للآيتين الكريمتين.

ولا بدّ أن نُشير إلى نقطة مهمّة في هذا المجال، وهي أننا إذا أردنا معرفة الملامح الشخصية لهؤلاء الأشخاص عن طريق المصادر التاريخية والموسوعات التي عُنت

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٥، ص ١٥٥.

بتدوين السيرة الذاتية لهم - ومن دون اعتماد الأسلوب التحليلي - فإننا سوف نواجه مشكلة جدية؛ لأنّ المعلومات المتوفرة لدينا ضمن المدونات التاريخية بصفتها معلومات توصيفية غير وافية بالكشف عن هوية هذه الطغمة الضالة، فلم تأت تلك النصوص التي عثرنا عليها بمعلومات صريحة في بيان اعتقاداتهم وولائهم وانتماءاتهم الدينية والجغرافية، سوى بعض الأشخاص الذين ذُوت بعض الحلقات من سلسلة سيرتهم وبطريقة متناثرة، على أنّ السيرة الذاتية لبعض الأشخاص لا تساعدنا في الكشف الموثوق المؤدّي إلى الخروج بنتائج مقبولة لدى الباحث؛ لأنّها لا تحكي لنا الصفات العامّة لجميع من حضر في معركة الطف. وبما أنّ الذي ينفعنا ويمكننا الاعتماد عليه من المواقف والأفعال ما كان حاكياً عن موافقة أغلبية أو جميع من كان حاضراً في المعركة؛ لكي نتمكّن من نسبتها إلى الجميع.

وعليه؛ فلا بدّ من العمل على جمع بعض المواقف والأقوال التي صدرت منهم أو بشأنهم، والتي اشتملت على هذه الخصيصة التي تُعين الباحث على الخروج بنقاط مشتركة لدى العدو، ثمّ اتباع الطريقة التحليلية لمحاكمة هذه النصوص؛ لترسم بذلك صورة متكاملة عن حقيقة شخصية العدو الذي ارتكب هذه الجريمة البشعة.

### أولاً: الأقوال الصادرة عنهم

هناك وثائق تاريخية مهمّة تحتوي على أقوال وسلوكيات صدرت عن بعض الأشخاص الذين كانوا حاضرين في معركة الطفّ الدامية، يمكنها أن ترسم لنا ملامح شخصيات أصحابها، وإذا ضممنّا إلى هذه الأقوال أو الأفعال السكوت المطبق أو التأييد الواضح من قبل الغالبية - إن لم نقل: من الجميع - فعندئذٍ نستفيد من ذلك الأمور الآتية:

١- إنّ الرأي السائد - والذي سعى الإعلام الأموي لترسيخه في أذهان الذين حضروا لقتال الإمام الحسين (عليه السلام) - هو أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه مصيرهم إلى

النار؛ إذ تكررت مخاطبة بعضهم للإمام عليه السلام ببعض الكلمات التي تنم عن اعتقادهم بأنه عليه السلام ومَن وقف معه خارجون عن الدين، وبذلك فهم مستحقون للقتل والإبادة، فقد جاء: «مالك بن حوزة على فرس له، حتى وقف عند الخندق، وجعل ينادي: أشر يا حسين، فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة»<sup>(١)</sup>. وغيرها من التصريحات التي صدرت من قبلهم<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أن الأعداء يحملون فكراً مناوئاً لفكر الإمام الحسين عليه السلام ومغايراً له، إلى حدٍّ من المغايرة التي تدعوهم إلى المبادرة لبيان رؤيتهم تجاهه عليه السلام. كما تكرر موقف آخر مماثل لما تقدّم أيضاً؛ إذ اقترب بعض أصحاب عمر بن سعد إلى مخيم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وخاطبهم - حينما سمع الإمام عليه السلام يتلو بعض آيات القرآن - قائلاً: «... نحن وربّ الكعبة الطيبون، وأنتم الخبيثون وقد ميّزنا منكم»<sup>(٣)</sup>.

وكذا ما تجلّى في خطابهم الطائفي الذي يدلّ على اعتقادهم بأنّ هذه الفئة لا تمثّل الرأي العام بين المسلمين، وإنّما هم مجموعة من الناس الذين دعت مصالحهم أن يقفوا مع الإمام الحسين عليه السلام، وذلك حينما طلب منهم الإمام الحسين عليه السلام أن يؤجّلوا القتال إلى صباح يوم العاشر، فجاءت الموافقة من قيادة الجيش المعادي، عندئذٍ بعث عمر بن سعد رجلاً من أصحابه فنادى: «يا شيعة الحسين بن علي، قد أجّلناكم يومكم هذا إلى غدٍ، فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجّهنا بكم إليه، وإن أبيتم نأجزناكم...»<sup>(٤)</sup>. وكذلك حينما: «... دنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين عليه السلام، فقال: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٩٦.

(٢) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٧٨.

(٣) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ص ٩٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣١.

وبما أنّ هذه التصريحات - وغيرها من الأقوال والأفعال الصادرة من قبَل الأعداء - إذا لم تكن غالبية الحاضرين معتقدين بها ومؤمنين بمضامينها، فمن المفترض أن تكون لافتة لنظرهم ومُحدّثة رَدّة فعلٍ عكسية في معسكر العدو، ولكننا نتفاجأ بأنّها لم تُثر استغراب أحد من الحاضرين في جيش يزيد بن معاوية، وهذا يعني أنّ الرأي السائد لجميع الحاضرين - أو الأغلبية الساحقة - يحملون هذا الفكر؛ وهم على استعداد أن يصنعوا كلّ شيء من أجله.

نعم، التحوّل الذي حصل لبعض الأفراد - القليلين جدّاً - من جيش يزيد إلى ركب الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن نَعُدّه ناتجاً عن مجموعة من المواقف التي لفتت انتباههم، ومن بين هذه المواقف هي رؤية العدو واعتقاداتهم المجانبة للواقع تجاه الإمام الحسين عليه السلام ومَن معه، واختلافهم معه في العقيدة والمبادئ التي دفعته للخروج ضدّ طاغية عصره.

ومن خلال هذه الأحداث التي حكت لنا موقف المتحوّلين وكيفية التحاقهم بركب الإمام الحسين عليه السلام يمكننا القول: بأنّ ما جرى من تحوّل لبعض الشخصيات البارزة والمحورية - كأمثال الحرّ بن يزيد الرياحي - والأخرى التي لم يكن لها مناصب سيادية في الجيش المعادي، هذا التحوّل يجعل العذر والتذرّع بالمبررات التي تُذكر لمن حضر الواقعة واصطف إلى جيش يزيد بن معاوية غير مقبول ولا مجال له؛ وخصوصاً إذا ضمّمنا إلى جانب ذلك ما نُقل من هروب بعض الأفراد عن ساحة المعركة؛ لكي لا يشهد مع القوم قتل الإمام الحسين عليه السلام ومَن معه<sup>(١)</sup>، فبعد أن شاهد الحاضرون بأعينهم أنّ القوم عازمون على قتل الإمام الحسين عليه السلام وأنّ التحوّل أو الهروب أمر ممكن فلا يبقى لهم عذر في البقاء والمساهمة في قتل الإمام عليه السلام.

٢- إنّ هؤلاء القوم قد اعتقدوا بعقيدة الجبرية التي عمل معاوية على تشييدها ونشرها في أوساط المسلمين؛ إذ خاطب بعض أصحاب عمر بن سعد بريد بن خضير

(١) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦٦.

بقوله - بعد أن حصلت بينهما مشادات كلامية -: «أيها المتكلم، إن الله تبارك وتعالى قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب»<sup>(١)</sup>. وقد لقيت هذه العقيدة انتشاراً في أوساط المسلمين نتيجة الفراغ الفكري الذي عملت بعض القيادات المتنفذة على توفير الأجواء المناسبة له، بُعيد رحيل النبي ﷺ.

كما أننا نجد أن هذا الأسلوب قد تكرر في كلام عبيد الله بن زياد أيضاً، حينما سأل عن اسم الإمام زين العابدين عليه السلام، فلما علم أن اسمه علي بن الحسين عليه السلام قال له: «... أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يُسمى علياً قتله الناس. فقال له ابن زياد: بل الله قتله...»<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أن العدو يبذل قصارى جهده في سبيل ترسيخ هذا الفكر المنحرف في أذهان عامة الناس، وفي المقابل نشهد وقوف أهل البيت عليه السلام في وجه كل من يريد أن يضل المجتمع ويحرفه عن المسار الصحيح، إلى درجة أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد ردّ هذه الدعوى وأبطلها أمام الرأي العام، في قصة مفصلة نقلنا مطلعها في النصّ المتقدّم آنفاً.

٣- إن المبادئ الأخلاقية التي ارتكز عليها جيش يزيد بن معاوية - سواء أخلاقيات الحرب أم الأخلاق والسلوكيات العامة - كانت بمستوى متدنٍ، وسيئ للغاية، إلى درجة أنهم يقابلون الإحسان بالإساءة، ويردّون الناصح لهم بالسبّ والوعيد بالقتل، كما في محاورتهم مع زهير بن القين، حينما تصدّى لنصيحتهم بقوله: «يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) لينظر ما نحن وأنتم عاملون... فسبّوه، وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له وقالوا: والله، لا نبرح حتّى

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٩٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٦.

نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً...»<sup>(١)</sup>. فهذا النص يفيدنا أن هناك مجموعة كثيرة من الحاضرين ردوا على زهير بن القين، بل تجاوزوا الحدود الأخلاقية بالسب والوعيد بالقتل، فيما كان موقف بقيّة الحاضرين هو السكوت الذي يبدو أنه ناجم عن رضاهم وتأيدهم لما يقوله أصحابهم، وهذا يعني أن غالبية من كانوا يسمعون كلام زهير بن القين، هم عازمون على ارتكاب هذه الجريمة النكراء، وعن سابق إصرار وترصد.

وأما فيما يرتبط بأخلاقيات الحرب؛ فقد تأثروا بالأفعال المنافية لأخلاق الحرب، والتي وقف أمير المؤمنين عليه السلام ضدها في معركة صفين، حينما استولى على الماء فسمح لمعاوية وجيشه أن يشربوا منه بعد أن كان الأخير قد منع أمير المؤمنين عليه السلام وجيشه أن يشربوا من الماء<sup>(٢)</sup>؛ فترى أن جيش يزيد بن معاوية قد اقتدى بسنة معاوية ابن أبي سفيان وسار على خطاه ونهجه في هذا الفعل؛ لذا تكرر منهم مخاطبة الإمام الحسين عليه السلام بقولهم: «إنك لن تذوق من هذا الماء قطرة واحدة حتى تذوق الموت [غصة بعد غصة] أو تنزل على حكم أمير المؤمنين [يزيد] وحكم عبيد الله بن زياد»<sup>(٣)</sup>.

٤- إن الدوافع والأسباب التي دعتهم للإقدام على قتل الإمام الحسين عليه السلام ليست إلا البغض والحقد الذي يحملونه في نفوسهم تجاه أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنهم قد ملئت قلوبهم بالكراهية والعداوة لهذا الخط ورائده أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يعرفون عنه إلا الكفر والمروق عن الدين، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد أهل الشام الذين أسكنهم معاوية الكوفة في زمن إمامة الإمام الحسن عليه السلام، وهم الذين وصفهم بعض المؤرخين بالمستغرب في أمر معاوية والمستغرب في أمر علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٤)</sup>، وبما

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٤.

(٢) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٤.

(٣) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٩٢.

(٤) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٥٠٠.

أن مصادر أخرى مهمة تُثبتنا بأن عدد الذين أُخرجوا من الكوفة إلى خراسان قرابة خمسين ألفاً بعيالاتهم<sup>(١)</sup>، فهذا يعني أن عدداً مقارباً لما أُخرج من الأُسَر الكوفية قد أُسكن مكانها أُسَر شامية، تحمل نظرة سوداوية تجاه أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه، وهذا بالفعل ما ذكره المقاتلون في جيش يزيد بن معاوية في جوابهم للإمام الحسين عليه السلام حينما خاطبهم قائلاً: «يا ويلكم، أنقتلوني على سنّة بدلتها؟! أم على شريعة غيرتها؟! أم على جرم فعلته؟! أم على حق تركته؟! فقالوا له: إنّنا نقتلك بغضاً لأبيك»<sup>(٢)</sup>. فقد صرّحوا بأنهم يبغضون أمير المؤمنين عليه السلام مع علمهم بأنه رابع الخلفاء المسلمين، كما هو معتقد أغلب المسلمين، إلا أن الحقد الدفين لدى بني أمية دفعهم إلى صنع أجنداث مناوئة لأهل البيت عليهم السلام عموماً، وبالأخص أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قامت تلك الأجنداث بدورها الإعلامي حتى جعلت من القاعدة الجماهيرية لا تحمل لهذا الخط الطاهر سوى البغض والكراهية.

### ثانياً: النصوص التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام

إن الكم الهائل من النصوص المأثورة عن الإمام الحسين عليه السلام والواردة في أعدائه، يُعدّ من أهم الروافد المعرفية المعتمدة في الدراسات التي تُعنى بقراءة الشخصيات التي ساهمت في قتله عليه السلام؛ وبالتالي فإنّ هذه النصوص المباركة سوف تُثري بحثنا بمجموعة من الملامح التي ترسم لنا صورة واضحة عن حقيقة هؤلاء وهويتهم، وقد وقع اختيارنا على بعض النماذج من تلك الأقوال الصادرة عنه عليه السلام، وهي:

١- كلماته عليه السلام التي تحكي لنا نظرتَه عليه السلام تجاه القوم ومعتقدهم، فتارةً يُشبههم بقوم موسى عليه السلام، وتحديدًا الجماعات التي وقفت في وجه الدعوة الإلهية التي جاء بها النبي عليه السلام، فسعوا جاهدين بشتى السبل لإفشال مشروعه الإصلاحية، فقد ورد في مخاطبة الإمام عليه السلام زهير بن القين حينما أوعز لبعض أصحابه أن يُجربوا زهيراً بعدم

(١) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ج ٣، ص ٥٠٧.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٨٠.

جدوائية نصيحته لهؤلاء القوم: «... فناداه رجل، فقال له: إنَّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل؛ فلعمري، لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»<sup>(١)</sup>. فيما جعلهم عليه السلام في كلام آخر له في مصافِّ الأمم التي اشتدَّ غضب الله تعالى عليها، وذلك حينما قال عليه السلام: «اشتدَّ غضب الله على اليهود؛ إذ جعلوا له ولداً، واشتدَّ غضب الله تعالى على النصارى؛ إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتدَّ غضبه على المجوس؛ إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتدَّ غضبه على قوم اتَّفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيِّهم»<sup>(٢)</sup>. وقد بلغت وتيرة خطابه بأن صرَّح في آخر لحظات المعركة جازماً بعدم إيمانهم بدين الله عز وجل، وأنهم كفروا بعد إيمانهم، وبالتالي فإنهم لا يعتقدون بالمعاد والحساب الأخروي أساساً؛ ونتيجةً لكفر القوم وظلمهم فقد استحوذ عليهم الشيطان، وهذا ما نستفيده من قوله عليه السلام: «... أقررتم بالطاعة، وآمنتُم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله، ثم إنَّكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تريدون قتله، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبَّأ لكم ولما تُريدون، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظالمين»<sup>(٣)</sup>. فسبَّههم عليه السلام بأولئك القوم الذين قال الله عز وجل عنهم: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وكما في قوله عليه السلام لهم: «ويحكم، يا شيعة آل [أبي] سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه...»<sup>(٥)</sup>؛ كما كشف عليه السلام عن رؤيته حول توفر القوم على الصفات الخلقية القبيحة والانحرافات العقائدية: «فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرِّفي الكتاب، ومُطفئ السنن، وقتلة

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٠-٦١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦.

(٤) المجادلة: آية ١٩.

(٥) لم نجد مفردة (لكم) في المصدر، لكنَّها موجودة في سائر المصادر الأخرى التي نقلت النص.

(٦) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١١٧.

أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضيّن... ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله هم»<sup>(١)</sup>. إلى غير ذلك من النصوص التي يطول المقام بذكرها، كما في النصّ الذي شبههم بالذين جعلهم الله قردة وخنازير<sup>(٢)</sup>، أو النصّ الذي شبههم بقوم صالح الذين كفروا بما جاء به نبيّهم فانتقم منهم شرّ انتقام<sup>(٣)</sup>، أو النصّ الذي توعدّهم فيه بنزول العذاب عليهم وهم لا يشعرون<sup>(٤)</sup>.

٢- كلماته عليه السلام التي تبين أنّ القوم وصلوا إلى هذه المرحلة الخطيرة التي دفعتهم للإصرار على قتل الإمام الحسين عليه السلام نتيجة التكذيب وإنكار الحقيقة؛ ولذا فقد خاطبهم عليه السلام قائلاً: «أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟! فإن صدقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله، ما تعدّمت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنّ فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!»<sup>(٥)</sup>، فجاءه الجواب من قبل شمر بن ذي الجوشن: بأنّه يعبد الله على حرف إن كان يعلم بالكلام الذي يقوله الإمام عليه السلام، ولم يعترض على جواب شمر أحد من أصحابه، بل لم يُصدّق على كلام الإمام عليه السلام أحد منهم... حينها بادر حبيب بن مظاهر للردّ على شمر، وهذا الموقف من قبلهم إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّهم لم يعبأوا بكلام الإمام عليه السلام، وأنّهم مؤيدون لكلام شمر بن ذي الجوشن، كما أخبرنا الإمام عليه السلام في نصّ آخر بأنّهم وصلوا إلى مرحلة من الجحود والإنكار والتشكيك حتّى في أوضاع المسلّمات، حينما قال لهم: «...أفتشكون

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨-٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٦.

(٣) أنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٦٠.

(٤) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٦.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

أتى ابن بنت نبيكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم، ولا في غيركم، ويحكم! أنظلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته؟! أو بقصاص من جراحة؟! فأخذوا لا يكلمونه»<sup>(١)</sup>، ومن الواضح فإن قول الراوي: «فأخذوا لا يكلمونه»، لم يكن يعبر في المعادلة شيئاً ما، وإنما كان سكوتهم سكوت مكابرة؛ لأنهم عالمون بما يقول، ولكنهم أصرّوا على موقفهم: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْتَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- كلماته عليه السلام التي أبدى من خلالها استغرابه وتعجبه من القوم حينما رأى منهم الإعراض عن النصح، إلى درجة أنهم كانوا يُصرّون على عدم إعطاء الفرصة للتحدث معهم؛ كما أفادت المصادر التاريخية أن الإمام عليه السلام حينما خرج إليهم وطلب منهم أن يستمعوا إليه: «... فأبوا أن ينصتوا، حتّى قال لهم: ويلكم! ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمر غير مستمع قولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟! ألا تسمعون؟! فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا: أنصتوا له»<sup>(٣)</sup>؛ ولذا فإنه عليه السلام حينما رأى ردّة فعلهم تجاه طلبه قام بتغيير أسلوب خطابه من ناصح إلى مؤنب وموبّخ لهم، فقال لهم: «تبّاً لكم أيّها الجماعة وترحاً! أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرختم مؤدّين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا؟!...»<sup>(٤)</sup>. وكان الأمر كما رأى عليه السلام؛ فإن القوم لم يتأثروا بكلام الإمام الحسين عليه السلام، سوى الحرّ بن يزيد الرياحي، في قصته المعروفة، ونفر قليل ممّن شملتهم الرحمة الإلهية.

وبعد أن رأى عليه السلام مواقفهم هذه تشكّلت لديه رؤية جازمة: بأن هؤلاء القوم قد استحقوا العذاب الإلهي بمجرد ردّهم للنصيحة والموعظة وإقدامهم على قتل

(١) المصدر السابق.

(٢) النمل: آية ١٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨.

(٤) المصدر السابق.

الناصحين لهم، وذلك حينما خاطب عليه السلام حنظلة بن أسعد الشبامي بقوله: «... إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟!»<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى الآيات التي ذكرناها في مطلع بحثنا والتي تمّ توظيفها من قبله عليه السلام؛ لكي يبيّن لنا انطباقها على الأعداء، وهي آيات تحكي عن كفر الأشخاص الذين استعرض القرآن الكريم سيرتهم الذاتية وكيفية تعاملهم مع أنبيائهم ورسلمهم الذين جاءوا لهدايتهم.

وبالنتيجة؛ فإن الصورة التي ترسم لهؤلاء القوم الذين وقفوا في المعسكر المعادي للإمام الحسين عليه السلام، إنّما تحكي لنا شخصيات تحمل من الدناءة والخسّة والرذيلة بما يعجز القلم عن وصفه، ويكلّ اللسان عن ذكره؛ ولهذا ورد في بعض النصوص التي خاطبت الإمام الحسين عليه السلام، أنّ هؤلاء القوم قد حذّر منهم الأنبياء والمرسلون في سالف الزمان، كما في الزيارة الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام: «... وأشهد أنّ الذين سفكوا دمك واستحلّوا حرّمتك، ملعونون مُعذّبون على لسان داوود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»<sup>(٢)</sup>.

### الخطوة الثالثة: المقارنة بين المعنى التفسيري للآيتين والموارد التطبيقية لهما

بعد أن تعرّفنا على الملامح الشخصية لأعداء الإمام الحسين عليه السلام من خلال ما صدر منهم أو تجاههم من أقوال وسلوكيات، أصبح من الضروري أن نوجّه بوصلة البحث إلى النظرة المقارنة بين المعنى التفسيري للآيتين الكريمتين والموارد التطبيقية التي وظّف الإمام الحسين عليه السلام النصوص القرآنية في مخاطبتها، لنرى مدى إمكانية صدق هذه النظرية في بحثنا هذا.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٨.

وبما أن الشق الأول في كلا الآيتين الكريمتين لا علاقة له بأعداء النبي موسى عليه السلام، وإنما يرتبط بالمتحدث - وهو النبي موسى عليه السلام - فكذلك لم يكن الإمام الحسين عليه السلام ناظراً في تطبيقه على أعدائه، وإنما الغرض من توظيفه له هو تطبيقه على نفسه، بعد أن عمل بالمهمّة الإصلاحية التي قام بها النبي عليه السلام.

ولأجل ذلك؛ فسوف نقتصر في حديثنا في هذه الخطوة على الفقرات المرتبطة بأعداء النبي موسى عليه السلام، والتي يصح تطبيقها على أعداء الإمام الحسين عليه السلام، وهذه الفقرات هي الآتي:

١- إذا أردنا أن ننظر إلى الشق الثاني من الآية الأولى التي نتحدث عن الاستعاذة ﴿مَنْ كَلَّ مُتَكَبِّرًا لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(١)</sup>، نجدها منطبقة تماماً على أعداء الإمام الحسين عليه السلام، بعد أن ذكر المفسرون: أن السرّ في استعاذة النبي موسى عليه السلام بمن يتّصف بهاتين الصفتين (التكبر وعدم الإيمان بيوم الحساب)، هو لبيان خطورة ذلك الشخص الذي يتّسم بهاتين السماتين، وقابليته للإقدام على أيّ فعلٍ قبيحٍ؛ لعدم وجود رادع يردعه عن ذلك.

وقد لمس الإمام الحسين عليه السلام من أعدائه هاتين الصفتين بوضوح حينما خاطبهم قائلاً: «ويحكم، يا شيعة آل [أبي] سفيان، إن لم يكن<sup>(١)</sup> دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه...»<sup>(٢)</sup>، حينها أنبأهم عليه السلام بما يؤول إليه مصيرهم بسبب جرأتهم على الله ورسوله قائلاً: «يا أمة السوء! بئسما خلفتم محمداً في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي...»<sup>(٣)</sup>. مبدياً تعجبه من جرأتهم بقوله عليه السلام: «... ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول»<sup>(٤)</sup>.

(١) هذا ما وجدناه في المصدر، وفي سائر المصادر الأخرى: «إن لم يكن لكم دين...».

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١١٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٢.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٠٦.

كما أنّ في تطبيقه ﷺ للآية الكريمة - مورد البحث - عليهم خير دليل على تكبرهم وعدم إيمانهم بيوم الحساب، فضلاً عما أثبتته لنا الواقع التاريخي من جرأتهم على ارتكاب الجرائم البشعة، والتي يندى لها جبين الإنسانية؛ فبعد أن أقدموا على قتل إمام زمانهم ومن معه من الشهداء البررة، وفصلوا الرؤوس الشاخنة عن الأجساد الطاهرة، وداسوا الجثامين الزكية، وهجموا على الخيام التي تؤوي النساء والأيتام، فسلبوا ما فيها وأحرقوها على الحريم الثائلة والأطفال المروعة، ولو أنّهم سلبوا تلك الخيام ونهبوها مع ما نهبوه من أمتعة لأمكن القول: بأنهم فعلوا ذلك بدافع الطمع واكتساب مغنم الحرب، لكنّها الجرأة المتولّدة عن التكبر وعدم الإيمان بيوم الحساب، فهذه الجرأة قد دعتهم إلى الأفعال التي تنتهي بهم إلى التشفي من الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه الكرام البررة.

٢- وأما الآية الثانية التي تتحدّث عن عملية الرجم الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾، فقد عرفنا أنّ الرجم بمعناه الحقيقي أو الكنائي هو أسلوب عام يتخذه الأعداء تجاه الأنبياء والرسل - بل سائر المصلحين - وأنّه من الأهمية بمكان إلى درجة أعارت الآيات الكريمة له اهتمامها، ونقلت لنا التهديدات التي واجهت الأنبياء والرسل، ودعت بعضهم إلى الاستعاذة منه، كما في الآية مورد البحث.

وإذا أردنا البت في إمكان انطباق هذه الآية على أعداء الإمام الحسين ﷺ، فلا بدّ من النظر في أحداث واقعة الطفّ الأليمة؛ لمعرفة ما دار فيها من أحداث مروعة وهل أنّها تُعدّ من مصاديق الرجم؟ كما يتحتّم علينا معرفة المعنى الذي استعاذ منه الإمام الحسين ﷺ، وهل كانت استعاذته من الرجم الحقيقي - وهو القتل بمعناه العامّ أو القتل بواسطة الرمي بالحجارة - أو أنّه ﷺ استعاذ من المعنى الكنائي فقط؟ وما هي نسبة تحقق ما طلبه ﷺ من الله عزّ وجلّ؟

وفي صدد الإجابة عن هذه الأسئلة نقول: ليس لأحد من المسلمين إنكار

فضاعة الحدث الذي وقع في يوم العاشر من المُحَرَّم؛ إذ ارتُكبت فيه مختلف الجرائم المروعة والقتل في حقِّ الكبير والصغير والرجال والنساء، بل لم يسلم من تلك الجرائم حتّى الأطفال الرضّع، وقد أفادت الوثائق التاريخية أنّ الإمام الحسين عليه السلام - بعد أن كان على علم بما سيجري عليهم - قد أخبر أهل بيته وأصحابه بأنّ مصيره ومصيرهم القتل، فتكون بعض المعاني الحقيقية - وهي: القتل بمعناه العام - التي ذُكرت للرجم غير مرادة في كلامه عليه السلام.

نعم، نبقى غير متأكّدين هل كان الإمام عليه السلام قاصداً الاستعاذة من بقية المعاني الحقيقية - وهي: القتل بالحجارة - أو أنّه يعني في كلامه المعنى الكنائي فقط؟

وفي مقام الإجابة عن هذا السؤال، فبعد أن ذكر المؤرّخون طريقة القتل التي استشهد على إثرها الإمام الحسين عليه السلام، وأنها لم تكن بواسطة الرجم بالحجارة، فحينئذٍ يمكننا أن نعتقد بأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يُريد هذا المعنى الحقيقي من الرجم.

وأما المعنى الكنائي، وهو بثّ الإشاعات والدعايات التي تؤدي إلى تشويه الصورة الناصعة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها المباركة، فإنّنا نقطع بأنّ الإمام عليه السلام قد استعاذ بالله عز وجل من ذلك؛ لأنّهم عمدوا على استخدام هذا الأسلوب منذ بدايات حركة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة؛ إذ اتّهموه بشقّ عصا المسلمين والخروج عن الجماعة<sup>(١)</sup>، واستمرّوا على ذلك المنوال في المعركة؛ إذ كان نداؤهم لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام: «... يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتبوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام»<sup>(٢)</sup>، بل استمرّت محاولاتهم إلى ما بعد استشهاد عليه السلام؛ إذ كانوا يبثّون الإشاعات بأنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج على إمام

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٨٩. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٣١.

زمانه يزيد بن معاوية في كربلاء<sup>(١)</sup>، وكانت هذه الدعاية تُردَّد في أروقة قصر يزيد أيضاً<sup>(٢)</sup>، ولكن الله عزَّ وجلَّ كان يُبطل حيلهم ويدفع عن الإمام الحسين عليه السلام تلك الشبهات بالحجج الواضحة؛ إذ كان رأس الإمام الحسين عليه السلام يُرْتَل القرآن في مسيرة السبي التي كانت مكتملة لنهضته المباركة<sup>(٣)</sup>، كما أنَّ نور وجهه عليه السلام كان يشعُّ إلى عنان السماء<sup>(٤)</sup>، ولذا فلم يُصدِّق أحدٌ من الناس بكلام الأعداء، بل كانوا يُصرون على تكذيبهم، وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية الوقائع التي ادَّعى أعداء الإمام الحسين عليه السلام بأنَّ هذا الرأس هو رأس رجل خارجي، فما كان من السائل إلاَّ الإنكار والتكذيب لقولهم<sup>(٥)</sup>. ولا زلنا إلى يومنا هذا نسمع المُعرضين من أعداء الإسلام ينعمون ويثيرون الشبهات حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ يأبى إلاَّ أن يتمَّ نوره، فقد بقيَ الإمام الحسين عليه السلام ونهضته الإصلاحية مبرَّأين من كلِّ تهمَةٍ وشُبْهَةٍ.

وهذا يعني أنَّ الإمام عليه السلام قد استعاذ بالله عزَّ وجلَّ من رجم العدو له، وقد استجاب دعوته، وعصمه ونهضته المباركة من رجمهم الذي ما برحوا يستخدمونه إلى يومنا هذا. وبذلك نكون قد استوفينا الحديث عن هذا الجانب من الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام؛ وقد توصلنا إلى أنَّ الانطباق القرآني لهذه الآيات على أعداء الإمام الحسين عليه السلام كان واضحاً جداً. هذا من جهة.

(١) أنظر: البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ١٢٥، و ص ١٨٧.

(٢) أنظر: الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٨١.

(٣) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠، ص ٣٧٠.

(٤) أنظر: البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ١٨٧.

(٥) أنظر: الراوندي، سعيد بن هبة الله، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٨١. البحراني، هاشم، مدينة

المعاجز: ج ٤، ص ١٢٥، و ص ١٨٧.

(٦) التوبة: آية ٣٢.

ومن جهة أخرى؛ فقد ساهم هذا التوظيف الدقيق من قبل الإمام عليه السلام في إيضاح صورة لا غبار عليها عن حقيقة أعدائه وهويتهم العقدية والانتائية، الأمر الذي لا يدع للمغرضين مجالاً للإصاق التهمة بقومية أو مدينة محددة.

## النتيجة

لقد كان هدفنا من هذه الجولة الطويلة في الأبحاث التي نشرت في الأعداد المرتبطة بالملف القرآني - والتي أسميناها: (الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام) - هو التأكيد على حسن الاختيار ودقة الانطباق الذي لوحظ من قبل الإمام الحسين عليه السلام في توظيفه للآيات القرآنية، وقد سعينا جاهدين إلى البحث عن نماذج من الآيات القرآنية في جوانب متعددة منها؛ لنبرهن على صدق الفرضية التي آمنّا بها في بداية دراستنا للآيات القرآنية التي وظّفت من قبل الإمام الحسين عليه السلام في بياناته المباركة، آمليْن أن يوفقنا الباري (جلّ علاه) لإكمال مؤلّف مستقلّ يحوي جميع الآيات التي وقفنا عليها في طيات دراستنا هذه. والحمد لله أولاً وآخراً.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ - الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٢ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.
- ٣ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٤ - البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.

٦ - تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، منشورات: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

٧ - التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨ - التفسير الأصفى، محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٩ - تفسير الصراط المستقيم، السيّد حسين البروجردي (ت ١٣٤٠هـ)، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

١٠ - التفسير الكاشف، محمد جواد مُغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

١١ - التفسير الكبير، محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.

١٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

١٣ - الخرائج والجرائح، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤ - زبدة التفاسير، ملا فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٥ - شرح نهج البلاغة، عبد الحميد المعروف بابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

١٦ - الصحيفة السجادية: أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، تحقيق: الأبطحي الإصفهاني، منشورات: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- ١٧ - الطبقات الكبرى (ترجمة الإمام الحسين)، محمود بن منيع الزهري، المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٨ - العوالم، عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٩ - فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، مكتبة النهضة المصرية.
- ٢٠ - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢١ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، مؤسسة نشر الفقهية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٢ - الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.
- ٢٣ - اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٤ - مثير الأحزان، جعفر بن محمد المعروف بابن نوا الحلي (ت ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٩٥٠م.
- ٢٥ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧هـ).
- ٢٦ - مدينة المعاجز، هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، منشورات: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٢٧ - المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الإصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٢٨ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الثانية، ١٣٦٥هـ.
- ٢٩ - مناقب آل أبي طالب، علي بن محمد المعروف بابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٩٥٦م.

٣٠- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣١- النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية، محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، مركز الطباعة والنشر لمنظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٣٢- نهج البلاغة، مجموعة خطب أمير المؤمنين عليه السلام، بيروت - لبنان، دار المعرفة.

٣٣- ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت ١٤٩٢هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.



## ملف العدد

### الإعجاز القرآني في نهضة الإمام الحسين (ع) (٤)

- ◆ حوارية أساليب النصر في القرآن الكريم وتجلياتها في النهضة الحسينية
- ◆ عاشوراء وحقيقة الخلاص.. مقارنة قرآنية نقدية لنظرية الفداء.. القسم الثاني
- ◆ الآيات المؤولة بالإمام الحسين (ع).. دراسة وتحليل.. القسم الثاني
- ◆ السلوكيات المستندة إلى القرآن الكريم.. سلوكيات مواجهة العدو في واقعة الطف أنموذجاً
- ◆ أثر الإمام الحسين (ع) في تفسير القرآن.. عرض وتحليل
- ◆ الآثار المعنوية لنهضة الإمام الحسين (ع) في ضوء الآيات القرآنية.. دراسة وصفية تحليلية..

#### القسم الثاني

- ◆ السلوكيات القرآنية في واقعة الطف.. سلوكيات الأسارى أنموذجاً
- ◆ معالم الشراكة بين الإمام الحسين (ع) والقرآن الكريم
- ◆ توظيف آية التطهير بلسان الإمام علي بن الحسين (ع) في النهضة الحسينية



## حوارية:

# أساليب النصر في القرآن الكريم وتجلياتها في النهضة الحسينية

العلامة الشيخ علي الكوراني\*

استثمرت مجلة الإصلاح الحسيني فرصة الحوار مع ساحة العلامة الشيخ علي الكوراني (حفظه الله)؛ وذلك إيماناً منا بضرورة عرض النتاج الفكري للمحققين والباحثين المتخصصين، مع مراعاة أصول البحث العلمي والحوار الرصين؛ للوصول إلى الحقيقة بكلّ عقلانية ووضوح، فكان لنا معه هذا الحوار:

**الإمام الحسين:** ابتداءً نشكركم (ساحة الشيخ) على استجابتكم الكريمة لدعوة مجلّتنا، لنبدأ معكم حواراً نأمل أن نتناول فيه نقاطاً مهمّة في موضوع (أساليب النصر في القرآن الكريم وتجلياتها في النهضة الحسينية)، وحرصاً منا على تغطية شاملة لأهم مطالب الموضوع، والاستفادة المثلى من هذه الفرصة المتاحة، ارتأينا أن نطرح على ساحتكم مجموعة من الأسئلة ضمن محاور تمثل المفصل الأساسية في موضوع حوارنا.

**الإمام الحسين:** ابتداءً نودّ من ساحتكم أن تقدّموا للقارئ العزيز إطلالة على مفهوم النصر في المعاجم اللغوية، وما تتمخض عنه أقوال اللغويين من معانٍ؟

\* أستاذ في الحوزة العلمية في قم المقدسة، من لبنان.

(الشيخ الكوراني): بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على الإخوة الأعزاء في مجلة الإصلاح الحسيني. قبل البدء بالإجابة عن سؤالكم أود الإشارة إلى أننا لو وقفنا على عنوان النصر في القرآن الكريم لوجدنا أن الله تعالى وفي آية واحدة نسب هذه المفردة إلى الناس تارة وإليه تعالى تارة أخرى، حيث قال (عز من قائل): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فالنصر الأخير الملحوظ في هذه الآية وإن كان من الله عز وجل، إلا أنه مشروط بنصر سابق عليه يكون مصدره الناس أنفسهم، فهم بعد أن ينصروه من خلال الجهاد في سبيله، والقتال لوجهه، ينصر الله نياتهم، ويوفقهم، ويسهل الأسباب المقتضية لظهورهم وغلبتهم على عدوهم<sup>(٢)</sup>.

وبعد وضوح هذا الأمر يتبين لنا أن النصر في القرآن الكريم وفي اللغة استعملت بمعنى واحد، وهو المعنى العرفي، هذا المعنى الذي اشتق منه مصطلح (الأنصار) الذي نشأ بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، فهذه الفئة المؤمنة قد نصرت النبي ﷺ وساعدته في محنته إبان المواجهة بينه وبين قريش؛ وعليه فالذي يتبادر من (النصرة) هو نصرة المظلوم ومساعدته، سواء كان في حرب أو في أي موقف آخر.

هذه إطلالة على مفهوم النصر بشكل عام، أما التوسع أكثر في المقام فنرجئه إلى ما سوف نقدمه من إجابات عما تفضلون به من أسئلة أخرى في هذه الحوارية.

**الإصلاح الحسيني**: ما هي الجذور التاريخية لاستعمال مصطلح النصر والأنصار في ثقافتنا الإسلامية؟

(الشيخ الكوراني): إن الجذور التاريخية لاستعمال مصطلحي (النصرة) و(الأنصار) في الثقافة الإسلامية يمكن أن نكتشفها من خلال الرجوع إلى آيات القرآن، وذلك كالأية القرآنية المتقدمة في جوابنا عن سؤالكم الأول، ويمكننا أن نكتشفها أيضاً من سيرة الرسول الأعظم ﷺ، وموقفه تجاه الذين آووه ونصروه

(١) محمد: آية ٧.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ٢٢٩.

وبايعوه من أهل يثرب، فإنه وتثميناً لهذا الموقف الجليل أطلق عليهم لقب الأنصار، فاشتُهر مصطلح الأنصار، واستمر بهذا المعنى، حتى أُطلق على الكثير من الحركات والجماعات الرافضة للظلم- والتي تقف بوجه السلطات المعادية لخط أهل البيت عليهم السلام - مصطلح الأنصار، وهي تفتخر بارتباطها بأنصار النبي صلى الله عليه وآله، وموقفهم المشرف معه صلى الله عليه وآله في مواجهة الظلم، ونشر الإسلام، والدعوة إليه بالحق.

**الضالاح حسني**: يحدثنا القرآن الكريم عن صور ونماذج للنصرة من قبل الله تعالى لنيبه صلى الله عليه وآله والمؤمنين في معركة بدر وغيرها، فما هي معايير تحقق هذا النوع من النصر الإلهية؟ وبعبارة أخرى ما هي السنن الإلهية فيما يرتبط بالنصرة والمدد الإلهي الغيبي؟

(الشيخ الكوراني): فيما يرتبط بمعايير النصر الإلهي - أو شروطه بتعبير آخر - يمكننا أن نطرح شرط الإخلاص لله، وأن يبذل الشخص كل ما يستطيع في سبيله؛ وبالتالي فإذا حدث خلل في نصرته من هذا الجانب كما حدث في معركة أحد، فإنه سوف تُسلب منه النصر، كما سُلبت من المسلمين الذين لم يطيعوا أوامر نبيهم صلى الله عليه وآله كما ينبغي في المعركة المشار إليها آنفاً، فإنه ونتيجة عدم إخلاصهم وذنوبهم **﴿أَسْرَزَلَهُمْ﴾** **الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾**<sup>(١)</sup>؛ إذا قاعدة النصر أو قانون النصر أو سنة النصر الإلهية ستكون حاضرة ما دام المعيار المذكور موجوداً.

نعم، هذا لا يعني أنه في كل مورد فقد فيه النصر الظاهري لشخص أو فئة فإن هؤلاء كان يعوزهم الإخلاص في مجالي العقيدة والعمل؛ والسبب في ذلك هو أننا لا نعرف العوامل والدوافع التي نحكم في ضوئها بصحة وسقم الحركة التي قام بها هؤلاء، ولا نعرف أيضاً الحكمة الإلهية الكامنة وراء عدم تحقق النصر لهم. وبالنتيجة فلا بد لنا أن نكون من المتأملين في النصر الإلهي، والجازمين بتحقيقه

(١) آل عمران: آية ١٥٥.

والساعين إليه من خلال استكمال كافة الشروط المطلوبة في المقام، والتي من أبرزها ما ذكرناه في كلامنا المتقدّم.

**الضاحح حسيني**: هناك الكثير من الآيات تدلّ على أن الله تعالى أخذ على نفسه نصر الأنبياء والمؤمنين، منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهُدُ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول تعالى أيضاً: ﴿يَتَأْتِيهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ ٱلْأَقْدَامَ ٱلْمُكْرَ﴾<sup>(٣)</sup>، إن هذه الآيات ونظائرها ربّما تثير شبهة لدى البعض، مفادها: لماذا غابت هذه النصرّة في يوم عاشوراء مع أنّها تمثّل وعداً إلهياً؟ فهل هناك من يستحقّ هذه النصرّة أكثر من الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؟! وهل للنصر معنى آخر ينسجم مع خسارة المعركة عسكرياً؟

(الشيخ الكوراني): إنّ الوعد المذكور في الآيات التي وردت في سؤالكم من الأمور المسلّمة التي لا ينبغي الشكّ فيها، إلّا أنّه من المفترض أن تتوجّه إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أنّ النصر ينقسم إلى قسمين، هما: النصر المادّي (العسكري)، والنصر المعنوي، ممّا يعني أنّ الوعد الإلهي بالنصر لا تؤثر فيه الخسارة العسكرية في بعض الأحيان - ونحن وكما هو مشاهد لدى الجميع - لمسنا تحقّق الوعد الإلهي بحقّ النهضة الحسينية المباركة، والثمرات الكثيرة المترتبة على الانتصار المعنوي لها، سواء في الأزمنة الماضية، أم في زماننا الحالي.

أضف إلى ذلك أنّ الحياة لا تنحصر في زمان قصير يقيس فيه الإنسان المفاهيم الإلهية في ضوء مدّة عمره، بل من المفترض أن ينظر عموم الأحداث التي ستمرّ بها البشرية، ومن المؤكّد أنّ ربط النهضة الحسينية بالأطروحة المهدوية، وقيام دولة

(١) الروم: آية ٤٧.

(٢) غافر: آية ٥١.

(٣) محمّد: آية ٧.

الإمام الحجّة عليه السلام، ستكون نتيجته انتهاء الظلم، وانتصار المؤمنين، وإقامة دولة العدل التي ستستمر أضعاف ما حكم الطغاة؛ إذ هذا نصرٌ ماديٌّ ومعنويٌّ لدولة الإمام المهدي عليه السلام، ونصرٌ معنويٌّ للنهضة التي قام بها الإمام أبو عبد الله عليه السلام.

ثمّ إنّه لدينا موارد أخرى في القرآن تضمّنت الوعد الإلهي بالنصر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾<sup>(١)</sup>، مع ملاحظة أنّ الرسل عليهم السلام لم يتحقّق لهم النصر الظاهري في جميع المواطن؛ لتخلف بعض الشروط المطلوبة في تحقّق هذا النوع من النصر، بل يمكننا أن نقول بشكل عامّ: إنّ المسيطر والمتصر والحاكم على الأرض هم الطغاة، وأمّا الأنبياء عليهم السلام ففي فترات قليلة تمّت فيها شروط نصرهم صارت لهم الغلبة الظاهرية على خصومهم.

وعليه؛ فالوعد الإلهي بنصرة الأنبياء عليهم السلام لا ينحصر بمصداق واحد، وهو النصر الظاهري، بل له مصداق آخر، يتضمّن إرساء الدعوات التي نادى بها الأنبياء عليهم السلام، والتي سعوا من خلالها إلى إحياء نداء الفطرة الإلهية لدى البشر، وجعل كلمة الله هي العليا، مقابل الدعوات الهدامة التي تسعى إلى جرّ الإنسان نحو عبودية مظلمة، يسير فيها خلف نزواته وغرائزه، مبتعداً كثيراً عن الغاية السامية التي كانت سبباً لخلقته وإيجاده في هذه النشأة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾<sup>(٣)</sup> بيّن لنا مصداقاً ثالثاً للنصر الإلهي، وهو نصر الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين يوم القيامة، فلا يشترط أن يكون النصر واقعاً في هذه النشأة وحسب،

(١) غافر: آية ٥١.

(٢) البقرة: آية ٣٠.

(٣) غافر: آية ٥١.

فيمكن تحقّقه من خلال معاقبة الظالمين بإدخالهم نار جهنّم، وإثابة المظلومين بإدخالهم في النعيم وجنات الخلد، فأبى نصرٍ أبلغ من هذا.

إذا؛ فإذا غابت النصرة العسكرية (الظاهرية) في يوم عاشوراء عن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، مع أنّها تمثّل وعداً إلهياً، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فإنّه لا يعني الشكّ بحقّانية القضية الحسينية؛ والسبب في ذلك هو أنّ نهضة المولى أبي عبد الله عليه السلام وإن خسرت المواجهة عسكرياً إلا أنّها أفرزت ظلاماً ومأساة أصبحت أنشودة لجميع الأجيال، وشعاراً لهم، وهم يواجهون الجبارة والبطانة في شتّى المستويات، وسوف يستمر هذا الشعار جذوة مستعرة، ليكون عاملاً رئيساً في النصر الإلهي الآتي الذي سيتحقّق على يد الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام، فهل من نصر حَقَّقته النهضة الحسينية أعظم من هذا النصر الذي يجعلها ممهّدة لدولة الحقّ الإلهي؟ كيف لا وإنّ مؤسّس هذه الدولة المباركة - كما جاء في الآثار - قد لُقّب بالطالب بثأر جدّه الإمام الحسين عليه السلام، بل الطالب بثأر جميع الأنبياء عليهم السلام الذين لحق بهم الظلم، ولم يتمّ الانتصار لهم، وقد جاء هذا المعنى في دعاء الندبة: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدُحُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ؟ أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ؟»<sup>(٢)</sup>.

هذا، وإنّ ما أودّ الإشارة إليه أنّ السبب الذي يرجع إليه طرح شبهات كهذه هو غياب العلم بالمخطّط الإلهي، فالبعض لجهلهم بذلك يطلبون دائماً أن تكون مادّة الحسم في أيّ صراع بين جبهتي الحقّ والباطل بيد الله عزّ وجلّ مباشرة، بينما المخطّط الذي رسمه عزّ وجلّ للبشرية هو بقاء هذا الصراع، وأخذه لمجره الطبيعي، وفي ضمن هذا المخطّط أيضاً قدرّ سبحانه وتعالى أن تقع الظلامات الكبرى على الأسرة النبوية الطاهرة، وأبرز مصاديق هذه الظلامات هو ما وقع في كربلاء، فيمكننا القول: بأنّ

(١) محمد: آية ٧.

(٢) القميّ، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٧٧.

الله ﷻ قد شاءت إرادته ألا ينصر الإمام الحسين ﷺ عسكرياً، ونظراً لكون إرادتهم ﷻ تابعة لإرادة المولى ﷻ، فالإمام ﷺ نفسه لم يطلب هذه النصره من الله تعالى، ولو طلبها بكلمة واحدة لتم نصره بالملائكة أو بغيرهم.

وخير دليل على إمكان هذا الأمر ما ورد في الأثر عن الإمام زين العابدين ﷺ أن القوم لما هجموا على الخيام هيأ الله ﷻ فارساً على هيئة المقاتلين من أهل الشام يدافع عنه<sup>(١)</sup>، والسّر في تحقّق هذا الأمر هو إرادة حفظ هذا الإمام العليل مهما كلف الأمر، بينما الأمر قد يكون مختلفاً بشأن الإمام الحسين ﷺ، فهو على الرغم من كونه مستجاب الدعاء في أيّ زمان ومكان، مالكاً للاسم الأعظم، إلاّ أنّه لم يطلب ذلك، والسبب قد يجهله الناظر إلى الواقعة في حينها، لكن الذي شاهد البركات والثمرات التي ترتبت على إشاعة قيم هذه النهضة في الأوساط الشيعية خصوصاً، والإسلامية عموماً، والبشرية بوجه أعم، يقف على حقيقة أنّه ﷺ وإن خسر المعركة عسكرياً إلاّ أنّه حقّق إنجازاً معنوياً أكبر بكثير من أيّ نصر عسكري حقّقه ثورة أو حركة تغييرية.

ويمكن أن نؤيّد المعنى المتقدّم بها ورد عن الإمام زين العابدين ﷺ أنّه جاءه رجل مهموم، وشكا له قرضه الذي أثقله، ولم يكن عند الإمام ﷺ مال؛ لأنّ الوليد كان قد صادر أمواله، فأعطاه قرصيه قوت يومه، وأمره أن يذهب إلى السوق ويشترى بهما شيئاً، فوجد سمكتين غير مرغوبتين، فاشترهما، فوجد في جوفها لؤلؤتين ثميتين، وباع الرجل اللؤلؤتين بهال عظيم قضى منه دينه، وحسنت بعد ذلك حاله، فقال بعض المخالفين: ما أشدّ هذا التفاوت! بينا علي بن الحسين لا يقدر أن يسدّ منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم، كيف يكون هذا؟ وكيف يعجز عن سدّ الفاقة من يقدر

(١) أنظر: البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٤، ص ٣٨٢.

على هذا الغناء العظيم؟<sup>(١)</sup>، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «هكذا قالت قريش للنبي صلى الله عليه وآله: كيف يمضي إلى بيت المقدس، ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء عليهم السلام من مكة، ويرجع إليها في ليلة واحدة، من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثني عشر يوماً، وذلك حين هاجر منها؟! ... جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه، إن المراتب الرفيعة لا تُنال إلا بالتسليم لله جلّ ثناؤه، وترك الاقتراح عليه، والرضا بما يدبرهم به، إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لما يساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريد لهم»<sup>(٢)</sup>؛ إذا فعدم نصره الله للإمام الحسين عليه السلام فيها حكمة إلهية.

وقد تكون الرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق رحمته الله عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، هي في مقام بيان هذه الحكمة، حيث ذكر الإمام عليه السلام أن شهادة جدّه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كانت من الأمور المقدّرة لله تعالى، وآتة من اللازم حصولها حتّى يفوز عليه السلام بالمنزلة والمقام الرفيع عنده عز وجل. وهذه الرواية طويلة نقتصر فيها على محلّ الشاهد، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام بعد تطرّقه للكتاب الوارد من يزيد بن معاوية الذي يأمر به بأن يُبعث إليه برأس الإمام الحسين عليه السلام: «فهم [أي الإمام الحسين عليه السلام] بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق، فلما أقبل الليل راح إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ليودّع القبر، فلما وصل إلى القبر سطع له نور من القبر، فعاد إلى موضعه، فلما كانت الليلة الثانية راح ليودّع القبر، فقام يصلي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاءه النبي صلى الله عليه وآله وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام، وضمّه إلى صدره، وجعل يقبل بين عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مرّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأمة، يرجون شفاعتي، ما لهم عند الله من خلاق، يا بُني، إنك قادم على أبيك وأُمّك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنّة درجات لا تناها إلا بالشهادة. فانتبه الحسين عليه السلام من

(١) أنظر: الكوراني، علي، جواهر التاريخ: ج ٣، ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٥٣٩.

نومه باكياً، فأتى أهل بيته، فأخبرهم بالرؤيا، وودّعهم، وحمل أخواته على المحامل وابنته وابن أخيه القاسم بن الحسن بن علي عليه السلام، ثم سار في أحد وعشرين رجلاً من أصحابه وأهل بيته»<sup>(١)</sup>.

**الأضاح الحسنی**: تضمّنت بعض المصادر روايات تشير إلى أن الملائكة طلبت من الله تعالى أن تنصر الإمام الحسين عليه السلام، فأذن لها، فمكثت تستعد للقتال وتتأهب حتى قتل عليه السلام، وأنّ جمعاً من الملائكة والجنّ طلبوا الإذن من الإمام الحسين عليه السلام لمناصرته فلم يقبل ذلك منهم، إلى أيّ مدى يمكن الوثوق بهذه النصوص؟ وما هو رأي سماحتكم في مضامينها التي ربّما تثير بعض الشبهات؟ وإن صحّت هذه الروايات فلماذا لم يقبل الإمام عليه السلام هذا النوع من النصرة؟

(الشيخ الكوراني): بيّنت لكم في الجواب عن السؤال السابق أنّ النصرة الإلهية سواء كانت بواسطة الملائكة أو بالجنّ أو بغير ذلك، كانت ممكنة من قبل المولى عز وجل من الناحية العقلية، فلا مانع حينها من نصوص كهذه. نعم، المخطط الإلهي - كما أسلفنا - كان ناظراً إلى مصلحة أعظم من تحقّق النصرة الآتية في واقعة الطفّ، ونظراً لكون الإمام الحسين عليه السلام يسير على وفق هذا المخطّط رفض لذلك الاستعانة بالوسائل الإعجازية من أجل تحقيق النصر العسكري في حربه ضدّ المعسكر الأموي.

ولعلّ الملائكة عندما حُرّموا من نصرة الإمام الحسين عليه السلام قد عُوضوا بمهام أخرى لا تقلّ أهمية عن النصرة العسكرية، من قبيل: البكاء عليه عليه السلام إلى يوم القيامة، والصلاة عليه، والاهتمام بزوّاره والدعاء لهم، فنفس الرواية التي يمكن أن تكون منطلقاً لسؤالكم قد أشارت إلى بعض هذه المهام، وهذه الرواية هي التي أوردتها الشيخ الصدوق رحمته الله في (أمالیه) عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أربعة آلاف ملك هبطوا

(١) المصدر السابق: ص ٢١٧.

يريدون القتال مع الحسين بن علي (صلوات الله عليه)، فلم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الاستئذان، وهبطوا وقد قُتِلَ الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شعُتْ غُبْرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يُقال له: منصور»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أُخرى أوردتها الشيخ الصدوق عليه السلام في كتابه (ثواب الأعمال) عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «إنَّ أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شُعْتُ غُبْرٌ يبكون إلى يوم القيامة، بينهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زائر إلاَّ استقبلوه، ولا يودَّعه مودَّع إلاَّ شيعوه، ولا يمرض إلاَّ عادوه، ولا يموت إلاَّ صلَّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته»<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي ذكرت هذا المعنى<sup>(٣)</sup>.

**الفتاوى الحسينية**: لماذا يطلب الإمام الحسين عليه السلام النصره وهو في طريقه إلى كربلاء مع أنَّه عليه السلام يعلم بمصيره ومصير مَنْ معه من القتل والسبي كما صرَّح عليه السلام بذلك في بعض خطبه؟

(الشيخ الكوراني): يمكن الجواب عن هذا السؤال بأنَّه قد ورد في الروايات عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «سمعت أبي [أمير المؤمنين عليه السلام] يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن تذهب الأيام والليالي حتَّى يلي على أمتي رجل واسع البلعوم، رحب الصدر، يأكل ولا يشبع، وهو معاوية»<sup>(٤)</sup>، وعلى الرغم من هذا الإخبار نجد أنَّ الإمام علياً عليه السلام قد عبأ الأُمَّة لقتاله، وبالفعل وقعت معركة صفّين، التي كانت نتائجها المصلحة معسكره عليه السلام لولا مكائد ابن العاص، وتحاذل بعض الكوفيين وجهلهم، ومن الواضح أنَّ هذه التعبئة لا تتنافى مع الإخبار المتقدِّم، فإقامة الحجّة على معاوية وأتباعه من جهة، وعلى

(١) المصدر السابق ص ٧٣٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٨٧.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، الباب التاسع: (إنَّ الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة (صلوات الله عليهم أجمعين) يأتونه عليه السلام لزيارته ويدعون لزوّاره)، ص ٥٤-٦٨.

(٤) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص: ص ٨٢.

مَنْ فِي مَعَسَكَرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، كَانَ يَتَطَلَّبُ تَحَرُّكَاتٍ تَسْعَى إِلَى إِثْبَاتِ أَحَقِّيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِبْطَالِ مَا عَلَيْهِ مَعَاوِيَةَ بَعْدَمَا رَفَضَ إِطَاعَةَ أَوْامِرِ الْخَلِيفَةِ الشَّرْعِيِّ عَلَى عَمُومِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَوْلًا إِلَى الْحَرَكَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لِاسْتِنْتِصَالِ هَذِهِ الْغَدَّةِ السَّرْطَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْخَرُ بِالْكَيَانِ الْإِسْلَامِيِّ، عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَّمَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ شَيْءًا، وَحَرَكَتَهُ بِاتِّجَاهِ تَكْلِيفِهِ الظَّاهِرِيِّ شَيْءًا آخَرَ.

وَنَفْسُ الْكَلَامِ نَسُوقُهُ لِلْجَوَابِ عَمَّا وَرَدَ فِي سَوْأَلِكُمْ، فَهَمَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نُورًا وَاحِدًا، وَمَوَاقِفَهُمْ فِي أُمُورٍ كَهَذِهِ لَا تَتَخَالَفُ، فَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عِلْمِهِ الْوَاقِعِيِّ بِمَالَاتِ الْأُمُورِ فِي وَاقِعَةِ الطُّفِّ، مِنْ قَتْلِ لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَبِيهِ لِلْأُسْرَةِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَأَلْ جِهْدًا فِي طَلْبِ النُّصْرَةِ؛ وَالسَّبَبُ فِي هَذَا الْاسْتِنْتِصَارِ يَعُودُ إِلَى غَرَضَيْنِ أَرَادَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْقِيقَهُمَا:

الأوّل: إقامة الحجّة على الأمة.

الثاني: الحصول على شريحة فذة من الأصحاب، وهذا ما يمكن فهمه من خلال الإعلان بشكل واضح وصريح لمن يسير معه بأن مصير الجميع سيؤول إلى الشهادة، فقد كتب عليه السلام وهو في مكة إلى أخيه بن الحنفية: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام»<sup>(١)</sup>. فإيا لها من منزلة عظيمة وثواب جزيل تحصل عليه هذه الثلة الطيبة، كيف لا وقد صرح بأن هؤلاء مشاركون له عليه السلام في الفتح الذي انبثق من هذه النهضة المعطاء.

ومن هذا المنطلق؛ أرى أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أفضل من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام الذين يُعبر عنهم الرسول الخاتم صلوات الله عليهم بـ (إخواني)<sup>(٢)</sup>؛ وذلك

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧.

(٢) وردت هذه المفردة في حديث رواه الصفار في (بصائر الدرجات) عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني. مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر

لأن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يعرفون بأجمعهم أنهم لا ينجون أبداً، فكلمهم سوف يُقتلون يوم العاشر، ومع هذه المعرفة والوضوح التام لم يكن منهم إلا الرضا والقبول، روى الراوندي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لما كانت الليلة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام في صبيحتها قام في أصحابه، فقال عليه السلام: إن هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يقبلوا إليكم، فالنجاء النجاء، وأنتم في حلٍّ، فإنكم إن أصبحتم معي قُتلتم كلكم. فقالوا: لا نخذلك، ولا نختار العيش بعدك. فقال عليه السلام: إنكم تُقتلون كلكم حتى لا يفلت منكم واحد»<sup>(١)</sup>، بل كانوا فرحين مستبشرين يتسارعون لنيل مرتبة الشهادة بين يدي إمامهم الحسين عليه السلام، قال السيّد ابن طاووس في (اللهوف) غداة يوم عاشوراء: «أمر الحسين عليه السلام بفسطاط فُضرب، فأمر بجفنة فيها مسك كثير وجعل عندها نورة ثم دخل ليظلي، فروي أنّ برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري وقفا على باب الفسطاط ليظليا بعد، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: يا برير، أتضحك؟! ما هذه ساعة ضحك ولا باطل، فقال برير: لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، وإنما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين»<sup>(٢)</sup>. أمّا أصحاب الإمام المهدي عليه السلام فلا أحد يُقتل منهم كما قُتل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، بل بعد ذلك يصيرون حكّام العالم.

**الإمام الحسين**: هل كانت نصرته الإمام الحسين عليه السلام واجبة أو كانت على نحو التخيير، ممّا يمكن معه التماس العذر لمن تخلف عن نصرته عليه السلام؟

الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يُخْرِجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالفابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة». الصفار، محمد ابن الحسن، بصائر الدرجات: ص ١٠٤.

(١) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٢٥٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٨.

(الشيخ الكوراني): إذا أردنا أن نتحدّث بدقّة عن الحكم الشرعي لنصرة المولى أبي عبد الله عليه السلام فإنّه ينبغي لنا معرفة الغاية التي أدّت به عليه السلام إلى التحرك والنهوض بوجه السلطة الحاكمة آنذاك، وهذه الغاية يمكننا الحصول عليها من خلال الرجوع إلى الوصيّة التي كتبها عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة قاصداً مكة، والتي جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أنّ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأيّ لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام...»<sup>(١)</sup>؛ إذاً فغايته عليه السلام تتجلّى من خلال هذه الوصية في الأمور التالية:

١- السعي إلى إصلاح الأُمّة الإسلامية.

٢- تحقيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- السير بسيرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه على المرتضى عليه السلام.

ومن الواضح أنّ نصرة المولى أبي عبد الله عليه السلام لتحقيق هذه الغايات هي عبارة عن نصرة دين الله عز وجل، هذه النصرة التي لا يشكّ أحدٌ في أنّها من أوجب الواجبات، كيف لا وقد جاءت التصريحات القرآنية الكثيرة التي تأمر المسلمين بالجهاد في سبيل الله، والوقوف بوجه كلّ من تسوّّل له نفسه المساس بدينه عز وجل من أئمّة الكفر وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَأْمَنُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّوَّابِينَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنْ لَا يَأْمَنُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّوَّابِينَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال كذلك: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧٩.

(٢) الحج: آية ٧٨.

(٣) التوبة: آية ١٢.

**كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّغُوتِ فَفَتِنُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿١﴾**، إلى غير ذلك من الآيات التي تحث المسلمين على الدفاع عن الدين، ومقاتلة العدو، ولزوم إعداد العدة والعدد لمواجهة أي خطر يدهم هذا الدين الحنيف؛ هذا الخطر الذي كان واضحاً عند الإمام الحسين عليه السلام ولم يُخفه أبداً، فقد صرّح به في محاورته مع اللعين مروان بن الحكم الذي طلب منه عليه السلام البيعة ليزيد، حيث قال له الإمام عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذه الغايات التي بيّنها عليه السلام، وبعد هذا التشخيص الدقيق له عليه السلام، لا يبقى مجال للشك في كون نصرته عليه السلام من الواجبات، وأن من تخلف عنها من دون مبرر شرعي يُعدّ من المقصرين والمذنبين، قال تعالى في ذم أمثال هؤلاء: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فِقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ لَوْ قَاتَلْنَا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٣﴾، وقال أيضاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اُنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾، وقال كذلك: ﴿لَا يَسْتَعِذُّنَا مِنَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْقِبِينَ \* إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَا مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَرَدَدُونَ ﴿٥﴾.

أمّا ما قد يُقال بشأن الوعد الإلهي بنصرة من ينصره ويجاهد في سبيله، حيث

(١) النساء: آية ٧٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٦.

(٣) آل عمران: آية ١٦٧.

(٤) التوبة: آية ٣٨-٣٩.

(٥) التوبة: آية ٤٤-٤٥.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَصْرِكُم وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ فإنه من المعلوم أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد بذل قصارى جهده في نصرته دين الحق، سواء من الناحية المادّية بإعداد المناصرين ووضع الخطة العسكرية للمواجهة يوم العاشر من المحرم، أو من الناحية الروحية، بالدعاء والتضرّع إلى الله عز وجل، فكلّ أسباب النصر الإلهي معدّة ومتوقّفة على إرادته سبحانه، فقد أجبنا عن هذا الإيراد فيما سبق، بأنّ النصر الإلهي لا ينحصر في النصر المادّي (العسكري) وحسب، بل يشمل أيضاً النصر المعنوي، فنهضته - بحمد الله عز وجل - أصبحت سنداً أساسياً لتثبيت دعائم الدين الحق، ونبذ الظلم والفساد بشتّى صورهما، ويضاف إلى هذا ما قلناه سابقاً: بأنّ ما تحقّق في كربلاء من ظلمات سيكون عاملاً رئيساً في النصر الإلهي الآتي الذي سيتحقّق على يد الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام.

**الفتوح الحسينية**: نشاهد من الإمام الحسين عليه السلام موقفين مختلفين فيما يرتبط بموضوع النصر، فهو يطلب النصر تارة، ويأذن لأصحابه بالانصراف، ويجعلهم في حلّ منه تارة أخرى، كيف يمكن أن نجتمع بين هذين الموقفين المختلفين؟ (الشيخ الكوراني): نعم يبدو لأوّل وهلة أنّ هناك تعارضاً بين الموقفين، فإنه عليه السلام قبيل خروجه من المدينة، وفي أثناء تواجده في مكّة، أو عند خروجه منها وتوجّهه إلى العراق، لم يكفّ عن تحشيد الأنصار وحثّهم على نصرته في النهضة الإصلاحية التي قام بها ضدّ طاغية عصره يزيد بن معاوية. فهو عليه السلام وجّه ابن عمّه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له من أهل الكوفة<sup>(٢)</sup>، وفي مكّة نجده عليه السلام يرسل رسالة إلى أخيه محمد ابن الحنفية وبنو هاشم يحثّهم على نصرته والتضحية في سبيل الله معه، حيث جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني

(١) محمد: آية ٧.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٩-٤٠.

هاشم، أما بعد، فإنَّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يُدرِك الفتح، والسلام»<sup>(١)</sup>، وفي هذه الأثناء أيضاً يكتب عليه السلام كتاباً يطلب فيه النصرة من زعماء أهل البصرة، جاء فيه: «أما بعد، فإنَّ الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته، وأحقَّ الناس بمقامه في الناس... وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنَّ السنة قد أُميتت، وإنَّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك من الدعوات التي قام بها عليه السلام لبعض الشخصيات التي التقى بها وهو في طريقه إلى العراق، كالضحَّاك بن عبد الله المشرقي، ومالك بن النضر الأرحبي، وزهير بن القين البجلي.

ومع كلِّ هذه الدعوات نجده عليه السلام عند وصول خبر شهادة سفيره مسلم بن عقيل إليه، وكذلك خبر شهادة عبد الله بن يقطر، يُخرج للناس كتاباً ويقرأه عليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهانئ ابن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمَن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام. فتفرَّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً، حتَّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسير مَن انضوا إليه...»<sup>(٣)</sup>.

إنَّ هذا التعارض البدوي يرتفع من خلال التعرّف على الهدف والغاية الكامنين وراء الإذن المشار إليه الصادر عنه عليه السلام، وذلك من خلال القول: بأنَّ هذا الإذن بالانصراف هو بمثابة رفع التوهّم الذي قد يحصل لدى البعض من أنَّه عليه السلام ذاهب

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٥-٧٦.

من أجل الاستحواذ على الحكم، وأنّ الأمور مرتّبة على هذا الأساس، وسوف يحصل من معه على العديد من المكاسب والامتيازات، فبعمله عليه السلام هذا أثبت للجميع أنّه ليس بصدد استغفال هؤلاء، وإنّما أراد منهم المضي معه وهم على حقيقة من أمرهم. وفي الحقيقة هذه الفعل لا يصدر إلّا من القائد الحقّ، الذي هو بصدد أداء تكليفه الشرعي من دون أن يكون له هدف دنيوي من وراء ذلك، وعليه؛ فلا يتنافى هذا الإذن مع طلبه للنصرة، فالإمام الحسين عليه السلام يسعى إلى الحصول على أنصار حقيقيين يؤمنون بقضيته، ولا يخذلونه ساعة الوثبة، وهذا بالفعل ما حصل، حيث انصرف الكثير ممّن كانوا معه، ولم يبقَ إلّا ثلثة قليلة من الأفاذا الذين سطّروا بدمائهم أروع صور التضحية والفداء لإمام زمانهم عليه السلام.

ومع كلّ البصيرة التي اتّصف بها هؤلاء، إلّا أنّه عليه السلام لم يتركهم دون اختبار أخير، وهنا يأتي الحديث عن الإذن العامّ الثاني الذي صدر عنه عليه السلام ليلة عاشوراء، حيث إنّ قام في تلك الليلة خطيباً فقال: «اللهمّ إني لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أركى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حلّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرّقوا في سواده، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»<sup>(١)</sup>.

إنّ إباء هؤلاء الأبطال عن الانصراف، وإصرارهم على البقاء<sup>(٢)</sup>، واستشهادهم بين يديه هو أدلّ دليل على علوّ منزلة هؤلاء، هذه المنزلة التي لم يكونوا ليحصلوا عليها من دون هذا الابتلاء والتمحيص الذي كشف عن إرادتهم الصادقة في نصره دين الحقّ المتمثّل بشخص الإمام الحسين عليه السلام، هذه الإرادة التي جعلته عليه السلام يتباهى بها أمام أخته الحوراء زينب عليها السلام حينما قالت له: «هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

فإني أخشى أن يُسلموك عند الوثبة!»<sup>(١)</sup>، فقال عليه السلام لها مطمئناً: «والله، لقد بلوتمهم، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأفعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه»<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ذلك أن هذا التصرف منه عليه السلام يكشف عن قمة توكله على الله تعالى، وعدم اعتماده على الأسباب الظاهرية، وهذا أيضاً لا يؤدي إلى حصول التنافي بين إذنه لأصحابه بالانصراف وبين سعيه الحثيث إلى استقطاب الأنصار والداعمين لهضته المباركة، فهو عليه السلام ماضٍ نحو تحقيق هدفه، سواء بقي معه أنصاره أم لا.

نعم، ستكون فائدة بقائهم بإرادتهم راجعة إليهم أولاً وبالذات، وذلك لمشاركتهم في المخطّط الإلهي في تقويض دعائم الضلال في تلك الفترة، وإحياء الدعوة الإسلامية على مرّ الأجيال، تمهيداً لتحقيق دولة العدل الإلهي بقيادة الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام؛ ومن هنا نجد أنه عليه السلام قد كشف لهؤلاء الأفاضل منازلهم في الجنة في تلك الليلة<sup>(٣)</sup>، فيا لها من درجة عظيمة ومنزلة رفيعة لا يناها إلا من كانت له همة عالية وزلفى لدى المولى عز وجل!

**الإعلام الحسيني**: ما هي الوسائل الإعلامية التي وظّفها الإمام الحسين عليه السلام في طلبه للنصرة ممن عاصروا أحداث النهضة الحسينية؟ وهل تمكن عليه السلام أن يوصل نداءه إلى من ينبغي أن يسمعه في الوقت المناسب؟

(الشيخ الكوراني): من الوسائل الإعلامية التي وظّفها الإمام الحسين عليه السلام للتعريف بهضته المباركة ولطلب النصر من الآخرين وجذبهم نحو الوقوف إلى جانبه، هي مجموعة الرسائل التي بعثها إلى أهل الكوفة والبصرة، وكذلك اللقاءات الفردية بينه وبين بعض الشخصيات التي التقى بها أثناء مسيره المبارك، من قبيل:

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢١٥.

لقائه مع عبيد الله بن الحرّ الجحفي، وزهير بن القين البجلي، وعمرو بن قيس المشرقي وابن عمّه، وغيرهم.

ومن الوسائل الإعلامية الأخرى تركيبة الموكب الذي اصطحبه الإمام الحسين عليه السلام معه في حركته المباركة، هذا الموكب الذي تألّف من نساء وأطفال، أضف إلى ذلك طبيعة بعض الشخصيات التي انضمت إلى الركب الحسيني ومكانتهم، كالصحابي الجليل أنس بن الحارث الأسدي، وشيخ القراء برير بن خضير الهمداني، والقائد العسكري الحرّ بن يزيد الرياحي، وأضرابهم، فهذا الطيف المتنوع الذي شارك مع الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة يكون بمثابة حثّ واضح وصریح على ضرورة نصره المولى أبي عبد الله عليه السلام، فالنساء والأطفال هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله التي ينبغي أن تُصان ويُدافع عنها من قبل جميع المسلمين. أمّا انضمام مَنْ ذكرناهم وغيرهم فهو دليل - خصوصاً لمن جهل شخصية الإمام الحسين عليه السلام وعصمته ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله - على حقانية هذه النهضة، والمظلومية العظيمة التي لحقت بها، إذ؛ فهو عليه السلام من خلال هذا التنوع الإعلامي أوصل نداءه لمن ينبغي أن يسمعه بما يستطيع أن يُسمعه.

**الإصلاح الحسني**: ما هي مواقف المجتمع الإسلامي الذي عاصر النهضة الحسينية تجاه مسألة النصر؟ وهل كان المجتمع بمستوى من الوعي الذي يمكنه من إدراك مسؤوليته جيّداً، أو أنّ التعقيم الإعلامي والجهل والخوف ونظير ذلك كان هو المسيطر على عقولهم ومواقفهم؟

(الشيخ الكوراني): لم تكن مواقف المجتمع الاسلامي بمستوى إيجابي تجاه النهضة الإصلاحية التي قادها أبو عبد الله عليه السلام؛ والسبب في ذلك أنّ مستوى الوعي لدى الغالبية كان متدنياً جداً جرّاء سياسة التعقيم التي قادها الأمويون، واستشراء حالة الجهل وحبّ الدنيا، وسيطرتها على نفوس الناس آنذاك، يقول عنهم الإمام الحسن عليه السلام - وهو يصف حال أخيه الحسين عليه السلام ووحدته وغرْبته يوم عاشوراء -:

«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أئمتهم من أمة جدنا محمد ﷺ، ويتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاك ثقلك»<sup>(١)</sup>، فهؤلاء جماعة ضالة تعبد الهوى والمادة، يسعون لإرضاء أمرائهم بأي طريقة، حتى ولو كانت على حساب دينهم ومبادئهم، ومن هؤلاء نجد مثلاً ما يتلفظ به أحد الملعونين القتلة المشاركين في واقعة الطف، حيث يُنشد الشعر أمام أميره، مفتخراً بأنه هو الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام، فيقول:

املاً ركابي فضةً أو ذهباً      إني قتلت الملك المحجّب  
قتلتُ خير الناس أمماً وأباً      ضربته بالسيف حتى انقلبا<sup>(٢)</sup>

إنّ هذا المنطق في الحقيقة هو منطق الأخرسين الذين لا دين لهم، ولا وجدان لديهم، بسبب كثرة معاصيهم صارت قلوبهم أشدّ قسوة من الحجارة، وأطباعهم أطباع قرودة وخنازير.

**الضلال الحسيني**: ما هي أسباب التخلف عن نصرته الإمام الحسين عليه السلام لدى شتى شرائح المجتمع الإسلامي، وفي مختلف الأمصار الإسلامية؟

(الشيخ الكوراني): إنّ من أسباب تخلف المجتمع عن نصرته عليه السلام هو أنّ قلوب هؤلاء لم تفقه مكانة الإمام الحسين عليه السلام في الشريعة الإسلامية، فهم أهل جاهلية ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وأمّا إسلامهم الظاهري فلم يعد إلاّ حالة سطحية، وعادة اعتادوا عليها. إنّ التشهد بالشهادتين وأداء الصلاة لا تُصير الشخص مسلماً حقيقياً ما لم تكن هذه الأمور عقيدة قلبية يؤمن بها، وتكون له منهجاً حياتياً يسير في ضوئه ويهتدي بهداه، قال تعالى:

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٧٨.

(٢) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥٨٠.

(٣) المنافقون: آية ٣.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. إذا؛ فالمجتمع الذي تحاذل عن نصرته ابن بنت رسول الله ﷺ وأحد القربى الذين أمر الله بمحبتهم وتوقيرهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>، هو في أشد درجات الانحطاط.

ومن الشواهد الأخرى لهذا المعنى ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام - وهو يصف أحوال المسلمين في تلك الفترة -: «ولولا أن قريشاً جعلت اسمه [عليه السلام] ذريعة إلى الرياسة، وسلباً إلى العز والإمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً، ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصمة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولائها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبث ناره...»<sup>(٣)</sup>.

**الأدراج الحسيني**: اعتذر بعض - كما لك بن النضر الأرحبي - عن عدم النصره بأن عليه ديناً وأن له عيلاً، فأذن له الإمام عليه السلام بالانصراف، فهل تعدد مثل هذه الأعذار مبرراً لترك نصرته الإمام الحسين عليه السلام، أو كان ينبغي التخلي عنها مهما كانت النتائج؟ (الشيخ الكوراني): إن اعتذار بعضهم كما لك بن النضر الأرحبي عن عدم النصره بأن عليه ديناً وله عيلاً<sup>(٤)</sup>، يمكن أن يدخل ضمن الأعذار المبررة، فإذا ما ألحقتنا

(١) الحجرات: آية ١٤.

(٢) الشورى: آية ٢٣.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٤) أنظر: الأزدي، لوط بن يحيى بن مخنف، مقتل الحسين: ص ١٠٨.

به إذن الإمام الحسين عليه السلام له بالانصراف<sup>(١)</sup>، فإن هذا التصرف يخرج عن نطاق عدم النصرة والتخاذل، لكن بشرط ابتعاد هذا الشخص وعدم سماعه لواعية الإمام الحسين عليه السلام واستنصاره يوم حصول المواجهة، وهذا ما يمكن أن نستفيد منه مما ورد في المحادثة بين الإمام الحسين عليه السلام وهرثمة بن أبي مسلم، الذي تذرّع عن عدم نصرته للإمام عليه السلام بنفس ما تقدّم، حيث قال عليه السلام: «فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً، فالذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعتنا أحدٌ فلا يعيننا إلا كبه الله لوجهه في جهنم»<sup>(٢)</sup>.

لكن هذا الانصراف سوف يجرم هؤلاء من المنزلة العالية والشرف العظيم الذي يحظى به من يبقى مع إمامه عليه السلام وينصره، ويختتم ذلك بالشهادة بين يديه، فمثلهم مثل الصائم الذي أتم صيامه إلى الليل، فهل يا ترى تكون مكانته مساوية لمن يسافر في نهار شهر رمضان لمجرد الهروب من الصوم؟ من المعلوم أن ثواب الصائم أكثر ومنزلته أعظم. ومن هذا المنطلق حظي أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ومناصروه بالمدح والثناء من قبله عليه السلام، حيث قال في حقهم: «اللهم إنك تعلم أنني لأعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت خيراً من أهل بيتي، فجزاكم الله خيراً، فقد آزرتم وعاونتم»<sup>(٣)</sup>.

**الخلاص الحسني**: كيف تفسرون موقف الإمام عليه السلام من النصرة المشروطة التي تقدّم بها الضحّاك بن عبد الله المشرقي، حيث اشترط على الإمام أن يقاتل ما رأى مقاتلاً، فإذا لم ير مقاتلاً فهو في حلّ من الانصراف، فلما لم يبق مع الإمام غير أهل بيته ورجلين ذكر الإمام عليه السلام بالشرط فأذن له بالانصراف؟  
(الشيخ الكوراني): في إجابتنا عن السؤال السابق أتضح الموقف من اشتراطات

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٠٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٧٤.

كعده، ومن إذن الإمام عليه السلام لبعض الأشخاص بالانصراف. وما نود التطرق إليه في المقام هو أن أمثال هؤلاء يمكن أن نصفهم بسيئي الحظ والتوفيق، فهم لتقاعسهم وتعلقهم بهذه الدنيا الفانية قد رضوا بالكون في الدرجة السفلى، وخسروا هذا الشرف والمقام العظيم في الجنة، قال عليه السلام - بعد أن أبى الانصراف من بقي معه ليلة العاشر من المحرم -: «إن كنتم كذلك، فارتفعوا رؤوسكم وأنظروا إلى منازلكم في الجنة، فكشّف لهم الغطاء، ورأوا منازلهم وحوورهم وقصورهم فيها، والخور العين ينادين: العجل العجل، فإننا مشتاقات إليكم! فقاموا بأجمعهم وسلّوا سيوفهم»<sup>(١)</sup>.

**الإصلاح الحسني**: مما يثير الجدل في موضوع نصره الإمام الحسين عليه السلام غياب شخصيات معروفة وتخلّفها عن نصره الإمام عليه السلام، كعبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، كيف تفسّرون غياب مثل هذه الشخصيات مع أنهم أعلم بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام ومسؤولية المجتمع تجاه نصرته من سائر أفراد المجتمع؟

(الشيخ الكوراني): يمكننا في المقام أن نورد رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقطع الطريق أمام هذه التساؤلات، حيث يجيب فيها عليه السلام عمّن يسأله عن غياب هؤلاء أو بعضهم عن المشاركة في معركة الطفّ، بأن أسماء أصحاب جدّه الحسين عليه السلام مكتوبة من الأزل، وهنا نقول: إنّ انحصار المشاركين في يوم عاشوراء هؤلاء، لا يعني أنّه لا توجد أدوار فاعلة لآخرين في أماكن أخرى غير كربلاء، خذ على سبيل المثال ميثمًا التمار، فهو من الذين وصلت درجة ولائهم ومحبّتهم إلى مصاف شهداء الطفّ، لكن دوره ومسؤوليته لم يكونا في كربلاء، وإنّما كانا في الكوفة، تقول الرواية: «حجّ في السنة التي قُتل فيها، فدخل على أمّ سلمة رضي الله عنها، فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم، قالت: والله، لربّما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل. فسألها عن الحسين،

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٩٧.

قالت: هو في حائط له. قال: أخبريه أيّ قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله. فدعت له بطيب فطيبت لحيته، وقالت له: أما إنّها ستخضب بدم. فقدم الكوفة، فأخذه عبيد الله بن زياد...»<sup>(١)</sup>.

ونجد أنّ الكشي بعد روايته الحادثة أعلاه ذكر أنّ ميثماً التمار لله قال: «فخرجنا فإذا ابن عباس (رحمة الله عليهما) جالس، فقلت: يا بن عباس، سلني ما شئت من تفسير القرآن، فأني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام، وعلمني تأويله. فقال: يا جارية، الدواة وقرطاساً. فأقبل يكتب، فقلت: يا بن عباس، كيف بك إذا رأيتني مصلوباً تاسع تسعة، أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة؟ فقال لي: وتكهن أيضاً؟! خرق الكتاب، فقلت: مه، احتفظ بما سمعت مني، فإنّ يك ما أقول لك حقاً أمسكته، وإن يك باطلاً خرّفته. قال: هو ذاك»<sup>(٢)</sup>.

طبعاً، على الرغم من أنّ هؤلاء الشخصيات الذين لم يشاركوها كانت لهم أدوارهم الخاصّة التي تصبّ في خدمة القضية الحسينية كما أسلفنا، إلّا أنّه من الواضح أنّه يوجد اختلاف فيما بينهم في المستوى المعرفي، والتسليم الكامل بما يقوله المعصوم عليه السلام، وهذا ما نستفيده بشكل واضح من الرواية الثانية على وجه الخصوص.

**الافراح الحسينية:** وأخيراً هل كانت فرصة نصرّة الإمام الحسين عليه السلام متاحة لمن عاصره فقط، أو هي متاحة في جميع الأمكنة والعصور؟ فإذا كانت متاحة لجميع العصور فكيف يمكننا أن نصر الإمام عليه السلام في عصرنا الراهن؟

(الشيخ الكوراني): إنّ فرصة نصرّة الامام الحسين عليه السلام في جميع العصور متاحة نسبياً، وهذه النصرّة ذات مظاهر متعدّدة، فبعض ينصره من خلال فتح مؤسّسات تبليغية من أجل نشر الثقافة الدينية بين الناس، أو مؤسّسات تهتم بحفظ التراث الديني وتنقيحه بشكل عامّ، أو التراث المتعلّق بالنهضة الحسينية على وجه الخصوص،

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ١، ص ٣٢٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج ١، ص ٢٩٤.

وبعض آخر ينصره من خلال البذل وإقامة المجالس لإحياء الشعائر الحسينية.  
ومن المظاهر البارزة للنصرة في هذا المجال هو ما يُبذل في خدمة زوّار أبي  
عبد الله عليه السلام، وخصوصاً الزيارة الأربعينية التي نالت حضوراً منقطع النظير، أوصل  
صوت الحقّ الذي صدح به الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ إلى بقاع شتى من هذه  
المعمورة.

وبعض ثالث ينصره من خلال التضحية بنفسه دفاعاً عن الدين الذي دافع  
عنه المولى أبو عبد الله عليه السلام، ومن مصاديق هذا البذل التضحيات الكبيرة التي يُقدّمها  
الشباب المقاوم للمحتلّين والغاصبين والتكفيريين؛ دفاعاً عن الأرض والعرض،  
وترسيخاً للمبادئ السامية التي نادى بها الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته البررة عليهم السلام، وضحوّاً  
من أجلها بالغالي والنفيس.

وفي الختام نرجو أن يكون عملنا هذا مقبولاً عند الله عز وجل، ومسجلاً في سجل  
المناصرين للإمام الحسين عليه السلام وروحي له الفداء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.  
**الإصلاح الحسيني**: نشركم (سماحة الشيخ) جزيل الشكر على إتاحتكم هذه  
الفرصة، على أمل أن تكون لنا معكم لقاءات أخرى نقدّم فيها خدمة علمية للنهضة  
الحسينية وقيمها ومبادئها، ونكون فيها مع القارئ الكريم في أهمّ الموضوعات التي  
تشغل مساحة من الاهتمام في مجال النهضة الحسينية.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ - الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)،  
صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية،  
قم المقدّسة.

٢ - اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)،

- تصحيح وتعليق: المعلم الثالث ميرداماد الإسترآبادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، ١٤٠٤ هـ.
- ٣- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٤- الأمالي، محمد بن علي بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٥- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٦- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠)، مؤسّسة الأعلمي، طهران، ١٣٦٢ ش / ١٤٠٤ هـ.
- ٧- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٨- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.
- ٩- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ١٠- العوالم (الإمام الحسين عليه السلام)، عبد الله البحراني (ت ١١٣٠ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدّسة، الطبعة الأولى المحقّقة، ١٤٠٧ هـ / ١٣٦٥ ش.
- ١١- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد الفيومي، لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

- ١٢ - اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٣ - مدينة المعاجز، السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١٤ - مفاتيح الجنان، عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، منشورات مكتبة العزيزي، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش / ٢٠٠٦م.
- ١٥ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ١٦ - مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزاق المقرّم (ت ١٣٩١هـ)، منشورات الشريف الرضي.
- ١٧ - مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن سعيد بن مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)، علّق عليه: حسين الغفاري، طبع في المطبعة العلمية.
- ١٨ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، انتشارات أسوة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٩ - الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.



# عاشوراء وحقيقة الخلاص

## مقاربة قرآنية نقدية لنظرية الفداء..

### (القسم الثاني)

الشيخ ثناء الدين الدهلڪي\*

#### مقدمة

عند دراستنا لآيات القرآن الكريم، تنكشف أمامنا موضوعات قرآنية متعددة يمكن استخدامها في عملية نقد القراءة الميثولوجية لعاشوراء، وقد تقدم في القسم الأول من هذه الدراسة الحديث عن القاعدة الأساسية للخلاص في القرآن الكريم، حيث تم بيانها في ضوء مسألتين أساسيتين، تكمن الأولى في كون الخلاص هو حاصل الفعل الإنساني، وتتجلى الثانية في نفي مقولة (تحمّل الذنب بالنيابة)، واستكمالاً لما مرّ بيانه في القاعدة الأساسية يدفعنا الحديث إلى الإجابة عن سؤالين يتصلان بمحلّ البحث، وهما:

- ١- بعد أن ورد مصطلح الفداء بصيغته الاسمية والفعلية في عدة آيات قرآنية، يقع السؤال التالي: ما هي المعاني التي ينطوي عليها هذا المفهوم قرآنياً؟ وما هي السياقات التي برزت في ضوءها هذه المعاني؟
  - ٢- ما هي العوامل والسبل التي عرضها القرآن الكريم والتي يمكن سلوكها للوصول إلى السعادة الأخروية والنعيم الأبدي؟
- سنحاول - من خلال المطالبين التاليين - بسط الإجابة عن هذين السؤالين.

---

\* أستاذ في جامعة المصطفى ﷺ العالمية، من العراق.

## المطلب الأول: نفي الفداء في سياق التصوير القرآني ليوم الحساب

من المعلوم أنّ السؤال الأوّل قد سبق وأن تمّت الإجابة عنه في الإطار المفاهيمي من القسم الأوّل، وقد ذكرنا في محله أنّ مصطلح الفداء قد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغتيه الاسمية والفعلية، وأريد منه المعاني التالية: عوض الأسر، والكفّارة (بالاصطلاح الفقهي)، وبدل الخلع، والعوض عن ذبح إسماعيل عليه السلام، والبدل عن العقاب الأخرى.

واستكمالاً لمعاني الفداء في القرآن سنحاول في هذا المطلب تسليط الضوء على المعنى الخامس، حيث وردت فيه آيات متعددة تتحدّث عن العقوبة الحتمية لطوائف من الناس، لتؤكد أن لا نجاة لها من العقاب حتّى وإن افتدت بأفضل ما تملكه أو تحبّه. ومن أجل إيضاح الفكرة بشكل جلي، نعرض النصوص القرآنية التي ورد فيها فعل الفداء منفياً في سياق التصوير القرآني ليوم الحساب وذلك بلحاظ العناوين التي تحتمّ عليها العقاب الأخرى:

### ١. عنوان الكفر

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يقال في تقريب الآية: إنّ الكلام قد وقع على سبيل الفرض والكناية؛ بلحاظ أنّ الذهب باعتبار مادّي يكون أعزّ شيء لدى الإنسان، فإذا ما وجد إليه الكافر سبيلاً وقدر على بذله وهو غاية في الكثرة لما تمكّن من تخليص نفسه من عذاب الله، ونتيجة ذلك أنّ العقاب محتوم عليه البتّة إلى حدّ حرمانه من النصرة والشفاعة أيضاً؛ ويؤيّد ما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله قوله: «يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ

(١) آل عمران: آية ٩١.

لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم. فيقال: لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك»<sup>(١)</sup>.

وزيادة على اشتغال هذه الآية على نفي الفداء فإنها تنفي تحقق النصرة لديهم، فلا فداء ولا شفاعة يمكن تصوورها في ذلك المشهد العظيم على أن يكونا بدلاً عن التوبة أو المغفرة، «والبدل إنما يكون من فائت يفوت الإنسان وقد فاتتهم التوبة في الدنيا ولا بدل لها يحل محلها في الآخرة؛ ومن هنا يظهر أن قوله وماتوا وهم كفار في معنى: وفاتهم التوبة»<sup>(٢)</sup>. وقريب من الآية السابقة آية أخرى وردت في سياق بيان عاقبة الكافرين، وقد توفرت على مصطلح الفداء بصيغته الفعلية، إذ تنفي تحقق الفداء وعدم قبوله حتى وإن كان ضعف ما في الأرض جميعاً، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

## ٢. عنوان النفاق

هناك آية كريمة أخرى تصوّر لنا مشهداً آخر من مشاهد يوم القيامة وقد توفرت على دلالات متعددة، كما برز فيها مصطلح الفدية في سياق النهي عن أخذها من المنافقين والكافرين، يقول تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup>.

والمنافق هو مَنْ أسلم ظاهراً وأنكر الإسلام باطناً، ويُعرف ذلك من خلال أفعاله وسلوكياته، التي تتناقض وروح الإسلام وتعاليمه، يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور: ج ٢، ص ٥٠.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٣٤٢.

(٣) المائدة: آية ٣٦.

(٤) الحديد: آية ١٥.

(٥) البقرة: آية ٨.

ثم إن نفي أخذ الفدية من المنافقين في هذه الآية لا يعني تحقق ذلك في غيرهم من الناس؛ والدليل عليه يتجلى في القاعدة القرآنية الأساسية الحاكمة بأن النفس الإنسانية رهينة العمل والكسب، ولا مكانة للفداء في عالم الخلاص والنجاة، ولم يثبت الاستثناء إلا في مورد الشفاعة كما سيوضح ذلك لاحقاً.

### ٣. عنوان الظلم

هناك آيتان جاء فيها فعل الفداء ماضياً، وهي قريبة من الآيات السابقة، إذ تعكس حقيقة هول يوم القيامة وسوء ما يحلّ بالظالمين من العذاب الأليم؛ ما يدفعهم إلى تمنّي أن لو كان لهم ما في الأرض جميعاً لافتدوا به عوضاً عن ذلك العذاب، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف في معنى الظلم في الآيتين، فذهب بعض إلى أنه الكفر<sup>(٣)</sup>، وفسره بعض بأنه الشرك، ومال آخرون إلى إرادة عموم الظلم<sup>(٤)</sup>، ولعل منشأ ذلك العموم أن بعض الأفعال الإنسانية - من وجهة قرآنية - يمكن أن توصف بالظلم وذلك في ضوء العلاقات السلبية التالية:

١- علاقة الإنسان بخالقه، وأعظمها الكفر والشرك والنفاق، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الزمر: آية ٤٧.

(٢) يونس: آية ٥٤.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج ١١، ص ١٦٠.

(٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ١٩٨. الراغب

الإصصهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٣٨.

(٥) لقمان: آية ١٣.

٢- علاقة الإنسان بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- علاقة الإنسان مع الآخرين من أبناء جلدته، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم فإن شمول هاتين الآيتين لهذه المعاني المتعددة يتحقق فيما لو تلبس الإنسان بمبدأ الظلم ولم يتبعه بتوبة واستغفار وأداء الحقوق، وأصر على ما ارتكبه من الإثم والعدوان حتى أدركه الموت.

#### ٤- عنوان عدم الاستجابة

يقول تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ آتَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾<sup>(٣)</sup>.

جاءت الاستعارة التخيلية مرة أخرى في هذه الآية الكريمة لتنبه على شدة هول يوم القيامة وحتمية العذاب الذي لا تنفع معه الوسائط المتعددة، مع تغيير الوصف من الكفر والنفاق والظلم إلى عدم الاستجابة.

ومعنى عدم الاستجابة ينطوي على مظاهر متعددة منها: عدم استجابة الدعوة إلى الحق، وعدم الإقرار بالنبى والعمل بما دعا إليه<sup>(٤)</sup>، وقد بين الله سبحانه في هذه الآية آثار الاعتقاد الباطل نتيجة عدم تحقق الاستجابة.

#### ٥- عنوان الإجماع

يقول تعالى: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ \* وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ \* وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُوْبِهِ \* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ \* كَلَّا إِنَّمَا الظَّنُّ...﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) آل عمران: آية ١٣٥.

(٢) الشورى: آية ٤٢.

(٣) الرعد: آية ١٨.

(٤) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٢٤١.

(٥) المعارج: آية ١١-١٥.

في هذا المقطع من القرآن الكريم ورد أيضاً مصطلح الفداء بصيغته الفعلية من باب الافتعال، حيث يتمنى المجرم - من شدة ما يراه من العذاب - الافتداء بأعز الناس إليه وأكرمهم لديه، فيأتي الجواب بـ(كلا) ردعاً لما يتمناه من الافتداء بكل هذه الأصناف.

والمجرم - كما عن تفسير الميزان<sup>(١)</sup> - من تلبس بالإجرام، وهو أعم من الكافر، أو هو خصوص الكافر كما عن مقاتل<sup>(٢)</sup> وآخرين، أو هو المشرك كما عن الثعلبي<sup>(٣)</sup>، أو كل من أذنب ذنباً استحق به النار<sup>(٤)</sup>، سواء تلبس بمبدأ الكفر أم لم يتلبس، ولعل هذا الأخير مأخوذ من المعنى اللغوي من كون الجرم هو الذنب<sup>(٥)</sup>، وهذا المعنى قريب إلى ما ذكره صاحب (الميزان) من كون المجرم في الآية أعم من الكافر.

### النتيجة

من خلال ما تقدم يمكننا القول: إن عذاب يوم القيامة إنما ينشأ جزاء الأعمال القبيحة والأفكار الفاسدة، فيطراً نتيجة ذلك تراكم الحجب والظلمات بين النفس الإنسانية ونور الرحمة الإلهية، وإذا ما تحققت ذلك الانفصال فلا يفيد في رفعه وإصلاحه الفداء، فإنَّ الفداء لا يتناسب ورفع الحجب عن النفس، ولا يؤثر في إزالة آثار الظلم والطغيان والانحراف والعصيان.

### المطلب الثاني: عوامل الخلاص في القرآن الكريم

في إطار الإجابة عن السؤال الثاني نؤكد أن القرآن الكريم قد أولى أهمية بالغة للخلاص الأخروي، وأعطى صورة واضحة له لا تحتمل الإبهام والشك والتأويل،

(١) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ١٠.

(٢) أنظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: ج ٣، ص ٣٩٨.

(٣) أنظر: الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٣٧.

(٤) أنظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير: ج ٥، ص ٢٩٠.

(٥) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٦، ص ١١٩.

ولا تعكس ألواناً تحاكي الرؤية الميثولوجية في الخلاص، بل إن كل ما تعكسه من عوامل يُظهر أن الخلاص هو حاصل الفعل الإنساني بعد أن كانت الخطيئة فعلاً من أفعاله كذلك، ومنه يتجلى عنصر الاختيار الذي أضحي مشكلة أساسية حال تفسير الفداء على أسس عقلية ومنطقية.

والتحقيق يدلنا على وجود عوامل متعددة للخلاص والغفران في القرآن الكريم، ولكن إمعان النظر يرشدنا إلى كون الكثير من هذه العوامل منضوية تحت لواء الفعل والعمل، حيث تحدّث القرآن الكريم عن وسائل من قبيل: التقوى<sup>(١)</sup>، إطاعة الرسول ﷺ واتباعه<sup>(٢)</sup>، الجهاد والهجرة والإيذاء والقتل في سبيل الله<sup>(٣)</sup>، اجتناب كبائر الذنوب<sup>(٤)</sup>، الإقراض<sup>(٥)</sup>، صدقة السر<sup>(٦)</sup>، وغيرها.

ومنه يمسي الحديث عن الخلاص في القرآن الكريم يدور مدار الفعل الإنساني. نعم، هناك وسيلتان أُخريان تحدّث عنهما القرآن الكريم وقد تجلّت فيهما الرحمة الإلهية على العباد المنيبين، يتمثلان بالتوبة والشفاعة. وعليه؛ يمكن تقسيم عوامل الخلاص في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام رئيسة:

### أولاً: العامل الأساسي (الإيمان والعمل الصالح)

قد مرّ في القاعدة الأساسية أن الخلاص هو حاصل الفعل الإنساني، وعند النظر في آيات قرآنية متعددة نستنتج أن الفعل الإنساني لا بدّ أن يتقوم بعنصر نفسي هو عنصر الإيمان والتصديق، ومن ذلك يمسي عامل الخلاص الأساسي عاملاً مركباً من عنصرين، هما: (الإيمان) و(العمل الصالح).

(١) أنظر: الأنفال: آية ٢٩.

(٢) أنظر: آل عمران: آية ٣١.

(٣) أنظر: آل عمران: آية ١٩٥.

(٤) أنظر: النساء: آية ٣١.

(٥) أنظر: التغابن: آية ١٧.

(٦) أنظر: البقرة: آية ٢٧١.

## حقيقة الإيمان

يعدّ الإيمان بنظرة قرآنية مبدأ العمل الخلاصي للإنسان، وقد حفلت آيات قرآنية متعددة في إبراز العامل الإيماني ومكانته في مجموعة القضايا الدينية. والإيمان في اللغة هو التصديق<sup>(١)</sup>، فالمؤمن بالله هو المصدّق به. وأمّا اصطلاحاً فقد اختلفوا في بيان ماهيته من كونها مجرد معرفة، أو تصديق، أو أنّ حقيقته تتجاوز نطاق التصديق لتعمّ أفعال الجوارح أيضاً. ولا نريد أن ندخل في أعماق البحث الكلامي وتعدد الآراء فيما يتصل بحقيقة الإيمان والتدليل على ذلك، ولكننا نحاول أن نطرح على طاولة البحث المعنى الذي ينسجم بشكل عام مع مجمل الآيات القرآنية التي تتحدّث في سياق هذا الموضوع أو القريبة منه.

فأمّا بخصوص كون حقيقته هي المعرفة<sup>(٢)</sup>، فإنّ هذا القول - كما لا يخفى - من قبيل تعريف الشيء بمقدماته ومبادئه، فالمعرفة هي بداية التصديق ولا يلزم بمجرد تحقّقها تحقّقه، وعليه يمكن اجتماعها مع الكفر والجحود بصريح النصّ القرآني، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾<sup>(٥)</sup>، فإذا كان الإيمان هو نفس المعرفة لصحّ اجتماعه مع الكفر، وهذا منفيّ بحكم وقوع التقابل بينهما، وما ورد في بعض الكتب اللغوية من كون «الإيمان ضدّ الكفر»<sup>(٥)</sup> يُرشد إلى هذا التفسير أيضاً،

(١) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٨، ص ٣٨٩. وأيضاً: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ١٣٣.

(٢) المعروف أنّه مذهب جهنم بن صفوان. أنظر: الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف: ج ٨، ص ٣٢٣. وقد نُسب أيضاً إلى بعض الإمامية. أنظر: الحلي، مسلم، القرآن والعقيدة: ص ٢٢.

(٣) البقرة: آية ٨٩.

(٤) النحل: آية ١٤.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٣، ص ٢١.

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ما يؤكّد ذلك حين قال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به»<sup>(١)</sup>، فالمعرفة هي نقطة الانطلاق، ولا يتحقّق في ساحتها الظفر ما لم يدخل العبد إلى فضاء التصديق، فإذا ما تمّ ذلك فإنّه يُنبئ بكمال معرفة العبد بخالقه تعالى.

وعلى أساس ذلك بنى أكثر المتكلّمين تعريفهم لحقيقة الإيمان بأنّه التصديق، لكنّهم اختلفوا في تحديد نطاقه، هل هو التصديق القلبي، أو التصديق اللساني، أو هما معاً؟

وبشكل عام يمكننا القول: إنّ الشواهد القرآنية كفيّلة بإثبات كون الإيمان حالة نفسانية ورسوخ قلبي<sup>(٢)</sup>، فإنّ اقتران الإيمان بالقلوب في بعض الآيات يوحي إلى كونه أمراً قلبياً، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، ويؤكّد هذا المعنى أيضاً ما ورد في بعض النصوص الروائية من كون القلب هو مستودع الإيمان ومقرّه، فقد جاء في مسند أحمد مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»<sup>(٧)</sup>، وروى الشيخ الكليني مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الإيمان ما وقر في القلوب»<sup>(٨)</sup>.

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): ج ١، ص ١٤، الخطبة ١.

(٢) وقد عرّفه العلامة الطباطبائي بأنّه: «تمكّن الاعتقاد في القلب». الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٥.

(٣) النحل: آية ١٠٦.

(٤) المجادلة: آية ٢٢.

(٥) الحجرات: آية ١٤.

(٦) المائدة: آية ٤١.

(٧) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١٩، ص ٣٧٤.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٦.

وعلى هذا؛ ينتفي الرأي القاضي بأن الإيمان هو التصديق اللساني وحده وإن كان مجرداً عن الاعتقاد القلبي، حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وبهذا يسمي التصديق اللساني مجرد طريق كاشف إجمالاً  
 عما يلج في باطن العبد وسريرته، ولا يُمثّل لوحده حقيقة الإيمان، فإذا علم عدم  
 المطابقة بين الإقرار اللساني والاعتقاد القلبي، فلا تصدق على المقرّ صفة الإيمان وإنها  
 تتحقّق فيه صفة النفاق؛ وعلى هذا الأساس ذكر الشريف المرتضى: «أنّ الإيمان هو  
 التصديق بالقلب، ولا اعتبار بما يجري على اللسان، فمن كان عارفاً بالله تعالى وبكلّ ما  
 أوجب معرفته، مقرّاً بذلك مصدّقاً، فهو مؤمن»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن ميثم: «إنّ الإيمان عبارة  
 عن التصديق القلبي بالله تعالى، وبما جاء به رسوله من قول أو فعل، والقول اللساني  
 سبب ظهوره، وسائر الطاعات ثمرات مؤكّدة له»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا التفسير يتّضح عدم مدخلية الأعمال في تقويم ماهية الإيمان، وإن كانت  
 في حدّ ذاتها كماله وآثاره المؤكّدة له، وعطّف العمل على الإيمان في كثير من الآيات  
 يُرشد إلى وقوع التغاير بينهما، وأنّ العمل لا يُعدّ ركناً في تحقّق ماهيته. على خلاف  
 ما انساق إليه الخوارج والمعتزلة من كون العمل شرطاً في تحقّق ماهية الإيمان، وعليه  
 حكم الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة ونفوا عنه صفة الإيمان، بينما وضع له المعتزلة  
 منزلة بين المنزلتين، فلا هو مؤمن ولا هو بكافر.

### التفريق بين ماهية الإيمان وكماله

لعلّ هناك من يورد نقضاً على ما تقدّم بوجود مجموعة من النصوص الدينية  
 تدلّ على أنّ العمل يمثّل ركناً أساسياً في حقيقة الإيمان، ومن جملة ذلك ما روي عن

(١) البقرة: آية ٨.

(٢) المرتضى، علي بن الحسين، الذخيرة في علم الكلام: ص ٥٣٦-٥٣٧.

(٣) البحراني، ميثم بن علي، قواعد المرام في علم الكلام: ص ١٧٠.

رسول الله ﷺ قوله: «إِنَّ الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»<sup>(١)</sup>، وروي مثله عن الإمام الرضا عليه السلام أن «الْإِيمَانَ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ، وَلَفْظٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، لَا يَكُونُ الْإِيمَانُ إِلَّا هَكَذَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي معرض الجواب عن ذلك نقول: إنَّ الحديث في فضاء النصوص الروائية يقتضي عقد مقال مستقلّ يتمّ من خلاله جمع هذه النصوص ومن ثمّ تحليلها سنداً ودلالة مع التركيز على الفضاء الذي صدرت في ظلّه هذه النصوص عن المعصوم عليه السلام، والظروف الاجتماعية والفكرية التي كانت تحيّم على زمن الصدور. لكن خلاصة ما ينبغي بيانه في الجواب عن هذه الشبهة أن نقول:

١- قد تمت الإشارة مسبقاً إلى وجود جملة من النصوص الدينية ترشد إلى كون الإيمان فعلاً من أفعال القلوب.

٢- إنَّ القراءات والمطالعات التاريخية ترشدنا إلى بروز بعض الحركات الفكرية المتحرّرة، ومن جملتها ما يعرف قديماً بالمرجئة، وهي جماعة تهدف إلى جعل الحياة الدينية عبارة عن معرفة مجرّدة عن العمل بالوظائف، وعدم اعتبار العمل عنصراً أساسياً في عملية الخلاص الأخرى، مكثفية بعنصر التصديق فقط؛ ولأجل ذلك وقف أئمة الهدى عليهم السلام بالصدّد من هذه العقيدة «التي لا تعبد الله على شيء»<sup>(٣)</sup> كما صرّحت الأخبار بذلك؛ لما تمثّله من خطر على المجتمعات الإسلامية بحكم ما تسوّقه من نظريات بقوالب فكرية تحرّرية، الأمر الذي يمثّل بحدّ ذاته سقوطاً في مستنقع القوى الشهوانية التي لا تُنتج إلا ظاهرة التحلل والانفلات الفكري والأخلاقي؛ ومن هذا المنطلق وردت أخبار متعدّدة بالردّ عليهم<sup>(٤)</sup>، وتأكيد أهمّية البعد العملي في الحياة الاجتماعية.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٠٩.

(٤) أنظر: المصدر السابق.

وبنظرة فاحصة على مجمل ما ورد في النصوص الدينية فيما يتعلق بحقيقة الإيمان، يمكن أن نضع سطحين لهذه المفردة:

أ- النصوص التي تحدّثت عن الإيمان بلحاظ مفهومه وماهيته، وهو التصديق الخاص، وكونه فعلاً من أفعال القلوب.

ب- النصوص التي تحدّثت عن الإيمان بلحاظ كماله وحقيقة كنهه، ذلك الإيمان الذي به يظهر واقع الاعتقاد، وحقيقة الإذعان، وهو التصديق الممتزج بالعمل، والذي يمثل القاعدة الأساسية للنجاة في النص الديني كما بيّنا سابقاً، والذي يمكن التعبير عنه بالإيمان الكمالي أو بكمال الإيمان. ومنه ما روي عن الأصبغ بن نباته أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن صفة المؤمن، فنكس صلى الله عليه وآله رأسه ثم رفعه، فقال: في المؤمنين عشرون خصلة، فمن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه...»<sup>(١)</sup>، ثم عدّد عليه السلام تلك الخصال. ففي الحديث تصريح من قبل الإمام عليه السلام بأنّ من لم تكن فيه هذه الخصال لم يكمل إيمانه، ولم يقل: لم يكن مؤمناً.

وكما تقدّم سابقاً فإنّ النظرية القرآنية في الخلاص تقضي بأنّ الثواب والعقاب رهن عمل الإنسان وما يكسبه، فإنّ مجرد المعرفة أو التصديق بحقيقة شيء لا يغني ما لم يحمل الإيمان العبد على تمثيل جانب الاعتقاد والتصديق على مسرح السلوك والعمل.

وعليه؛ فإنّ الطرح المتقدّم - من كون العمل ليس جزءاً في تحقّق ماهية الإيمان - لا يعدو كونه بحثاً عن ماهية الإيمان وأجزائه التي يتقوم بها على مستوى المفهوم، ولا يعدّ ذلك بحثاً عن كمال حقيقته ومنزلته، فإنّ كمال ذلك لا يتأتّى إلا بالعمل، وما عدّ في القرآن الكريم كوسيلة للفوز والنجاة هو ذلك العامل المركّب منها، ومنه نرى أنّ القرآن الكريم قد قرن في آيات متعددة الإيمان بالعمل الصالح.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٦٤٠. وأنظر: المصدر السابق: ص ٢٣٢.

ويؤكد ذلك ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «الإيمان ما استقرّ في القلب، وأفضى به إلى الله عز وجل، وصدقته العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره»<sup>(١)</sup>، وفي هذا دليل جلي على كون العمل مصدقاً ومبيناً ومظهراً للإيمان وموجباً لكماله، وذلك بحكم كون التصديق القلبي متعذراً من جهة التشخيص؛ لأنه أمرٌ باطنيٌّ، فجاءت النصوص الدينية مبرزة لما به امتياز المؤمنین بعضهم عن البعض الآخر من العلامات والآثار والتجليات.

وعليه؛ يسمي العمل عنصراً ينمّي لدى العبد جانب الحركة التي يتجلّى فيها جانب الاختيار والإرادة، وذلك بما يمليه عليه اعتقاده بالله ورسله واليوم الآخر، فيسعى إلى ممارسة نشاطه في المجتمع على أساس ما يتمخض من قضايا يُنتجها الوحي والعقل الفطري، يمكن أن تشكّل بمجموعها دافعاً نحو أفعال الخير، ومعايير أساسية لتشخيص أعمال الإنسان على مستوى الصلاح أو الفساد.

### ماهية العمل الصالح

لم يعرض القرآن الكريم تعريفاً صريحاً لمفهوم العمل الصالح، لكنّه برز مصاديق وعناوين متعددة لذلك، وبكلمة موجزة يمكننا تعريف العمل الصالح بأنه: كلّ عمل يدفع باتجاهه الوحي الإلهي أو يحسّنه العقل الفطري. كما لا يفرّق في ذلك بين ما كان من فعل القلب كالخشية والخوف والرجاء والحبّ، أو من فعل اللسان كإبداء النصيح والذكر، أو من أفعال الجوارح كأنواع العبادات وغيرها. كما أنّ كلّ فعل خالف أحكام الوحي والعقل الفطري يمكن عدّه عملاً غير صالح.

وعندما نتحدّث عن العقل كمعيار لتشخيص العمل الصالح بمعنية الوحي؛ فإنّ ذلك بلحاظ حجّيته ذاتاً وإرشاد الوحي إليه في كثير من النصوص الدينية، وقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «إنّ الله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأما

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٦.

الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»<sup>(١)</sup>، وكذلك فلا يُكتفى في تشخيص مصاديق العمل الصالح بما يُدركه العقل فحسب من حُسن الأفعال وقبحها، كما يروّج له البعض؛ لأنّ العقل لا يُدرك الحُسن إلّا بالإدراك الكلّي، وأما الوحي فله القابلية أن يُحدّد العناصر الجزئية أيضاً طبقاً للمصالح أو المفسدات المعلومة لديه. نعم، هناك ما يدلّ من الآيات القرآنية بأنّ العمل الصالح لا يقتصر صلاحه على حسنه الفعلي، بل لا بدّ أن يتحقّق فيه حسنٌ فاعليٌّ أيضاً، بمعنى أن يكون الفعل حسناً في ذاته وأن يؤتّى به لوجه الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنَظِّمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءً وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>. ومنه يظهر أنّ الأفعال من قبيل الإطعام والصبر والإنفاق وغيرها إذا لم تكن لوجه الله، فلا تعدّ عملاً صالحاً بالنظرة القرآنية؛ وذلك لانتفاء حُسنها الفاعلي، وإن كانت عملاً حسناً في حدّ ذاتها.

### عقيدة التبرير بالإيمان فقط

تقدّم في القسم الأوّل أنّ نظرية الفداء - في اللاهوت المسيحي - تعدّ تفسيراً أساسياً لعمل الله الخلاصي، وقد ذهب كثير من النصارى - وبخاصة البروتستانت - أن لا حاجة إلى الالتزام العملي ما دام أنّ الخلاص قد تمّ بصلب المسيح، رافضين أيّ مدخلة للأعمال الصالحة في تحقّق الخلاص، مقتصرين على الإيمان وحده، فالتبرير عندهم هو «عمل النعمة الإلهية وحدها، وشرطه الوحيد هو الإيمان... وليس للمعمودية ولا للأعمال الصالحة أيّ دور في التبرير»<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ١٦.

(٢) الإنسان: آية ٩.

(٣) الرعد: آية ٢٢.

(٤) البقرة: آية ٢٧٢.

(٥) رودلف يني، الخلاص بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، مجلة الرسالة: العدد ٧.

وهي عقيدة شبيهة بما آمنت به المرجئة من عدم اعتبار العمل عنصراً أساسياً في عملية الخلاص الأخرى - كما تمّ بيانه سابقاً - مكتفين بالتصديق فقط، وقد أتضح أنّ هذه الرؤية تخالف تماماً الرؤية القرآنية القاضية بكون الإيمان والعمل الصالح هما جوهر العمل الخلاصي للإنسان.

وكرّدة فعل على ما تمخّض من فهم لهذه النظرية، فقد قام المجمع المسكوني الكاثوليكي (١٥٤٥-١٥٦٣م) بإعطاء توضيح عن مدخلية الأعمال وأهميتها في موضوع الخلاص، إذ اعتبر «أنّ الإنسان يحتفظ بحالة التقديس وينمو فيها بطاعة الوصايا وبالأعمال الصالحة»<sup>(١)</sup>. ولكن المدرسة البروتستانتية لم تتفاعل مع العقيدة الكاثوليكية المتقدمة.

وعليه؛ يكون الاعتقاد بأنّ الخلاص إنّما يكون بالإيمان نصراً لبولس الطرسوسي، فيها هو لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م) - قائد حركة الإصلاح البروتستانتية - بعد خمسة عشر قرناً من الزمان يجعل بولس رسول الإصلاح الديني، ذلك الرجل الذي أحلّ الإيمان بالمسيح محلّ العمل الصالح، معتقداً بأنّ الإنسان الذي سقط في الخطيئة ذو طبيعة فاسدة، وهو غير قادر على الرجوع إلى حياة الطهارة أو حتّى القيام بأعمال صالحة؛ لذا فإنّ الخلاص هو عطية إلهية مجّانية، فهو يعتمد فقط على كفارة دم المسيح الفادي والإيمان بها.

ثمّ إنّ تعليم الخلاص بالإيمان لم يبدأ بالبروتستانت، بل سبقهم في ذلك منذ زمن بعيد (أوغسطينوس) عندما أنكر أيّة حرية تُذكر لإرادة الإنسان بعد السقوط، وهو في معرض ردّه على (بلاجيوس) الذي آمن بحرية إرادة الإنسان وإمكان القيام بالأعمال الصالحة في نجاته وخلاصه من دون تدخّل النعمة<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

## ثانياً: العامل الاستدراكي (التوبة)

تجلى الرحمة الإلهية على العباد من خلال دعوتهم إلى الإنابة والتوبة قبل وقوع الحساب، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(١)</sup>. وقد تجلّى هذا المعنى في آيات متعددة في القرآن الكريم، فأبما عبد قد صدر منه ذنب أو خطيئة فله أن يستدرك ذلك بالتوبة والإنابة، وتدارك ما فاته من الإلزامات وتأدية الحقوق المتعلقة بذمته، على ألا يعاود ارتكاب الخطيئة مرّة أخرى.

والتوبة النصوح - كما ورد على لسان الأخبار - هي التوبة الصادقة التي ينوي من خلالها العبد الإقلاع عن الذنب وعدم العود إليه مرّة أخرى<sup>(٢)</sup>.

وقد توافرت النصوص الدينية على ترسيخ هذا المفهوم في المجتمع الإسلامي كعامل من عوامل التكفير من خلال إبراز بعض الآثار الإيجابية المترتبة عليه، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»<sup>(٣)</sup>، بل قد ورد في النصّ القرآني أنّ التائب المنيب يبدّل الله سيئاته حسنات، يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ومثله ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «أوحى الله إلى داوود النبي عليه السلام: يا داوود، إنّ عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب من ذلك الذنب واستحى مني عند ذكره غفرت له، وأنسيته الحفظة، وأبدلته الحسنة، ولا أبالي، وأنا أرحم الراحمين»<sup>(٥)</sup>.

(١) التحريم: آية ٨.

(٢) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٣٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٣٥.

(٤) الفرقان: آية ٧٠.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١٣٠.

وبالنظر إلى عموم النصوص الدينية ينجلي لنا أنّ حقيقة الاستغفار لا تقتصر على الرجوع اللساني فحسب ، بل إنّ للتوبة شروطاً ينبغي توفرها لتحقيق الغفران، وهذه الشروط يمكن اختزالها في ثلاثة موارد:

١- الندم على ما ارتكبه العبد من ذنب.

٢- العزم على عدم العودة.

٣- تدارك ما فات من الفرائض وتأدية الحقوق.

ومن هذا المنطلق يصف أمير المؤمنين عليه السلام الاستغفار بأنّه درجة العليين، حيث يقول عليه السلام: «الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى. والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعه. والرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها. والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتؤدّيه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس أن تُذيق الجسم ألم الطاعة كما أدقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: أستغفر الله»<sup>(١)</sup>.

وكلّ ما ورد من النصوص الدينية في بيان حقيقة التوبة وأثرها يناهض القول: بأنّ الخطيئة إذا ما صدرت من الإنسان فهي ملاصقة له، ونتيجة ذلك تحقق العقوبة البتّة، فعلى التقرير الشرعي المتقدّم يتّضح إبطال هذا الرأي الأخير وأنّ التوبة عامل من عوامل الغفران، ومع فرض أنّ الخطيئة لازمة غير منفكّة عن طبيعة الإنسان فلا يبقى موضوع للصفح والمغفرة بأيّ وجه من الوجوه حتّى على القول بنظرية الفداء، كما أنّ المرتكز عند العقلاء أنّ للمولى الحقّ في إلغاء أثر المخالفة عن العبد والعفو عنه إذا تحققت الشروط المستلزمة لذلك، وهذا على مستوى المولى العرفي، فكيف بالمولى الحقيقي وهو أرحم الراحمين.

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): ج ٤، ص ٩٧، الحكمة ٤١٧.

### ثالثاً: العامل التفضيلي (الشفاعة)

ونقصد به عامل الشفاعة التشريعية<sup>(١)</sup> بالمعنى الأخص، أي: الشفاعة يوم القيامة، فمن نَعِمَ الله على المؤمن، وإكراماً لأوليائه الصالحين أن جعل الشفاعة وسيلة من وسائل الخلاص يوم القيامة.

وقد جاء في كتب اللغة أنّ «الشفع ضمّ الشيء إلى مثله»<sup>(٢)</sup>، «والشافع: الطالب لغيره، وتقول: استشفعت بفلان فتشفّع لي إليه فشفّعه فيّ». والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفيع»<sup>(٣)</sup>. وقد ورد الشفع في كتب اللغة بمعنى الزوج أيضاً، ويقابله الوتر وهو الواحد المفرد<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا المعنى انطلق بعض المفسرين في تعريف الشفاعة اصطلاحاً بأئها: انضمام الشفيع إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع، فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً؛ فيقوى على نيل ما يريده؛ وذلك لعدم قدرته على نيله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها<sup>(٥)</sup>. وهذا النوع من الشفاعة يُستعمل عادة في الأمور الاجتماعية التي تستتبع الثواب والعقاب من أجل اكتساب منفعة أو خير، ودفع ضرر وشر، وأمّا الأمور الطبيعية والكونية فالتوسّل إليها يكون عن طريق أسبابها المناسبة لها في عالم الطبيعة.

وأصل الشفاعة ثابت بالنص والإجماع<sup>(٦)</sup>، والاختلاف كلّ الاختلاف في بيان

(١) وتقابلها الشفاعة التكوينية، فكلّ سبب تكويني يمكن عدّه شفيعاً عند الله بما هو واسطة بينه وبين الأشياء. وأمّا الشفاعة التشريعية فهي الواقعة في عالم التكليف والمجازات. أنظر: الطباطبائي،

محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٧١.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٥٧.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ١، ص ٢٦١.

(٤) أنظر: المصدر السابق.

(٥) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٥٧.

(٦) أنظر: التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد: ج ٢، ص ٢٣٩.

حقيقتها، فقد أنكرت الوعيدية - وهم المعتزلة والخوارج - كون الشفاعة تخلصاً للمذنب من العقاب، واقتصروا على كونها طلباً لزيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب فحسب، ومنشأ ذلك الإنكار قولهم بخلود أهل المعاصي في النار إذا ماتوا بلا توبة. ويقابل هذا الرأي ما ذهبت إليه التفضيلية - وهم الأشاعرة والإمامية - من أن الله سبحانه يتفضل على بعض عباده يوم القيامة - من غير استحقاق - بعدم المؤاخذة<sup>(١)</sup>؛ وذلك باعتبارات متعددة ستوضح في الأبحاث اللاحقة.

ومنه يتضح أن الشفاعة - بمقاربة وعيدية - خارجة عن محل البحث من كونها وسيلة للنجاة، بينما هي كذلك بمقاربة تفضيلية.

### تحليل آيات الشفاعة

جاء مصطلح الشفاعة بصيغته الاسمية والفعلية في آيات متعددة من القرآن الكريم، وعند تبّعنا لهذه الآيات المباركة نراها تنقسم على خمسة أنحاء:

١- ما ينفي - بشكل عام - تأثير الوسائط والأسباب الدنيوية يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَآ لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- ما يحكم باختصاص الشفاعة بنحو الأصالة لله تعالى وحده من غير شريك، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- ما تُثبت الشفاعة لغير الله تعالى ولكن بقيد الإذن والرضا الإلهي، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- ما تُثبت الشفاعة لغير الله عز وجل ولكن بقيد الارتضاء للمشفوع له، كقوله

(١) أنظر: الحلي، الحسن بن يوسف، كشف المراد: ص ٥٦٥.

(٢) البقرة: آية ١٢٣.

(٣) الأنعام: آية ٥١.

(٤) طه: آية ١٠٩.

تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (١).

٥- ما ينفي تحقق الشفاعة أو النصره بحق طوائف من الناس، كالضالين والظالمين والمجرمين، من قبيل قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٢).

ومن خلال التدقيق في آيات الشفاعة يمكننا القول: بأن الشفاعة ثابتة في الجملة، وهذا ما يؤمن لنا إمكان جعلها وسيلة قرآنية من وسائل الخلاص، وقد شاع في أسلوب القرآن، أنه «ينفي كل كمال عن غيره تعالى، ثم يُثبت لنفسه، ثم يُثبت لغيره بإذنه ومشيته، فتفيد أنّ الموجودات غيره تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها واستقلالها، وإنما تملكها بتملك الله لها إياها» (٣)، فلا مؤثر في الوجود إلا الله عز وجل، وما تتحلّى به هذه الموجودات من الكمالات لا تعدو كونها أسباباً ووسائط في طريق الفيض الإلهي، هندسها الله تبارك وتعالى وفق حكمته وعلمه، وليس ذلك على نحو الاستقلال في الملك والتأثير؛ ومن هنا يظهر «أن الآيات النافية للشفاعة، إن كانت ناظرة إلى يوم القيامة فإنما تنفيها عن غيره تعالى بمعنى الاستقلال في الملك، والآيات المثبتة تثبتها لله سبحانه بنحو الأصالة، ولغيره تعالى بإذنه وتملكه، فالشفاعة ثابتة لغيره تعالى بإذنه» (٤).

وطريق الجمع بين ما ظاهره نفي الشفاعة وبين ما ظاهره ثبوتها يمكن أن يكون بحمل الأمر على اختلاف الأحوال يوم القيامة، كما ترسخ آيات النفي ابتداءً القاعدة القرآنية الأساسية للخلاص - التي مرّ ذكرها في القسم الأول - من خلال نفي تأثير الوسائط والأسباب الدنيوية يوم القيامة.

(١) الأنبياء: آية ٢٨.

(٢) غافر: آية ١٨.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٥٧.

(٤) المصدر السابق.

## شروط الشفاعة

واستكمالاً للجمع بين آيات الشفاعة نستكشف من خلال مطالعتنا لتلك الآيات أن الاستجابة للشفيع لا تتحقق بشكل مطلق ما لم تتوفر بعض الشروط التي تمكن الشفيع من استحصال الموافقة لصالح المستشفع؛ وعليه تبقى هذه العملية خاضعة لمقدمات تقتضيها الحكمة الإلهية ولا يمكن بمعزل عنها إعطاء رؤية دينية لهذا المفهوم الدقيق.

ويمكننا أن نستخلص هذه الشروط بما يلي:

١- لا بدّ للشفيع أن يتحلّى بصفات يمكن من خلالها التقرب بها إلى المولى لتحقيق الأثر، من قبيل: وجاهته، وكرامته، وعلو منزلته عند المولى، والتزامه المطلق بأوامره، وغيرها من الصفات المقرّبة، وهذا ما يمكن استظهاره من بعض الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ ۗ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فإنّ الآية المباركة تبيّن شرطين أساسيين من شروط الشفاعة، أحدهما يتعلق بالشفعاء من كونهم عباداً مكرمين عند ربهم، لا يسبقونه بقول، ويعملون بأمره تعالى. والاعتبار العقلي يقضي كون المصداق الأمثل لهؤلاء الشفعاء هم المعصومون عليهم السلام. وأمّا الشرط الثاني فيرتبط بالمستشفعين الذين لا بدّ من كونهم مرضيين عند الله تعالى، ومن المعلوم فإنّ هناك من الصفات ما يمنع من الدخول في ساحة الارتضاء الإلهي كما تبيّنه النقطة اللاحقة.

٢- لا بدّ من توفرّ الصلاحية المناسبة في (المستشفع) كي يستحقّ الخير أو دفع العقوبة، كأن يتوفّر فيه أمر يربطه بالمستشفع عنده.

(١) الأنبياء: آية ٢٦-٢٨.

وتوضيح ذلك بمقاربة عرفية أنّ شفاعة الجاهل - الذي يريد أن يتسّم منصباً علمياً - لا تتعلّق عرفاً لعدم تحقّق التناسب الذي يؤهّله لذلك، ولا المتمرّد على سيّده لعدم تحقّق العُلقة بينهما. وبشكل عام - لا بدّ من توفّر صفات في المستشفّع تستدعي إعمال جانب العفو والرفع من قبل المستشفّع عنده، تلك الصفة التي عبّر عنها القرآن الكريم بصفة (الارتضاء)، أمّا مَنْ لم يكن مرضياً عند الله تعالى فخارج عن دائرة الشفاعة، وفي هذا السياق نجد الكثير من الآيات القرآنية التي تنفي تحقّق الشفاعة في عناوين متعددة منها: الظلم<sup>(١)</sup>، واتخاذ الدين لهواً ولعباً والاعتزاز بالحياة الدنيا<sup>(٢)</sup>، والافتراء على الله الكذب<sup>(٣)</sup>، والضلال<sup>(٤)</sup>. وقد جاء في سورة المدثر أيضاً جملة من الصفات المانعة من شمول الشفاعة، حيث يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۗ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ۗ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۗ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالَُوا لَنْ نُكْرِمَنَّ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۗ وَلَمْ نُكْ نَطْعِمُهُمُ الْمَسْكِينِ ۗ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۗ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۗ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۗ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن هنا يمكن للشفيّع أن يتشبّه ببعض الصفات التي يتحلّى بها هو، والتي يتحلّى بها المستشفّع، وكذلك التي يتّصف بها المستشفّع عنده من الرحمة والرفقة والصفح وغيرها؛ ليتحقّق أثر الوساطة بعد أن ثبت الحكم بحقّ العبد بتحقّق أسبابه الطبيعية؛ ومن هذا المنطلق لا يتأتّى للشفيّع أن يتحدّث في سياق إبطال مولوية المولى وعبودية العبد، أو إبطال حكمه أو جزائه، فهذا خارج عن صلاحيته وقدرته؛ ومن

(١) أنظر: غافر: آية ١٨.

(٢) أنظر: الأنعام: آية ٧٠.

(٣) أنظر: الأعراف: آية ٥٣.

(٤) أنظر: الشعراء: آية ٩٦-١٠٠.

(٥) المدثر: آية ٣٨-٤٨.

هنا عبّر العلامة الطباطبائي عن حقيقة الشفاعة بأنها «التوسط في إيصال نفع أو دفع شر بنحو الحكومة دون المضادة»<sup>(١)</sup>، ويقصد بذلك: «أنّ الشفيع إنّما يُحْكَم بعض العوامل المربوطة بالموارد، المؤثرة في رفع العقاب، مثلاً من صفات المشفوع عنده أو نحوها، على العامل الآخر الذي هو سبب وجود الحكم وترتب العقاب على مخالفته»<sup>(٢)</sup>، فأخراج المذنب عن كونه مصداقاً لشمول العقاب يجعله مصداقاً لشمول الرحمة الإلهية، ليس هو من قبيل إبطال الأحكام بالمعارضة والغلبة في التأثير.

ومّا تقدّم يتجلّى لنا أنّ صدور الذنب من المؤمن ليس علّة تامّة لتحقق العقاب والمؤاخذة، وإنّما هو مقتضى لذلك بعد ثبوت كون التوبة والشفاعة عاملين تُرتفع في ضوئهما المؤاخذة، فصحيح أنّ العدل الإلهي يدفع نحو معاقبة المذنب وإثابة المطيع، إلّا أنّ استحقاق العقوبة قد لا يصل إلى مرحلة الفعلية وذلك لتوفر المانع عن العقوبة بتحقيق بعض عوامل النجاة.

وعليه؛ فلا يرد ما قيل: إنّ رفع العقوبة عن شخص وإثباتها على آخر خلاف عدله سبحانه وتعالى، فإنّ إخبار المولى بجواز رفع المؤاخذة بالتوبة أو الشفاعة من خلال التصوير القرآني لهما يُنبئ بأنّ العقوبة ليست أثراً غير قابل للانفكاك عن الذنب على سبيل الإطلاق؛ وعليه فلا تعارض بين الوعيد الإلهي والشفاعة، بعد أن كان رفع العقوبة عن الإنسان المؤمن نوعاً من التفضّل الإلهي، ووفاء لما قرّره سبحانه بحقّ عباده الذين ارتضى.

### إشكالية الإغراء ومشكلة الفداء

لسائل أن يسأل: إذا أمكن عدّ الشفاعة وسيلة قرآنية للخلاص، فما هو وجه الاختلاف بينها وبين عقيدة الفداء، فكلتاهما يشملهما إشكال الإغراء المستلزم

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق.

للتجربي على مخالفة أحكام الله تعالى وعدم الانصياع إلى أوامره ونواهيه، وهو مناف للغرض الذي على أساسه تمّ تشريع تلك الأحكام؟

ويمكن الإجابة عن ذلك: بأنّ الوعد بالشفاعة في النصوص الدينية يمكن أن يساوق الإغراء في حال تمّ تحديد المذنبين بعينهم بشمولهم الشفاعة، أو تشخيص طائفة بعينها، أو جميع البشر بأنهم لا يحاسبون على ما فعلوه من خطايا وذنوب، أو وقع التحديد على نوع من أنواع الذنوب بأنّها خارجة عن دائرة الحساب ومشمولة بالشفاعة، فإنّ ذلك يمكن عدّه إغراء في ارتكاب المعاصي، إلّا أنّ حقيقة المسألة خلاف ذلك، فلا يوجد شيء من هذا في ما وعدت به النصوص الدينية من مسألة الشفاعة، بل العكس من ذلك، حيث نقرأ العديد من النصوص المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تبرز الصفات التي لا بدّ أن يتحلّى بها المؤمنون لكي ينالوا بذلك شفاعتهم يوم القيامة؛ الأمر الذي يتطلّب بحدّ ذاته السعي لنيل تلك الصفات في إطار طاعة الله تعالى وامتنال أوامره.

ومن هذا المنطلق يتجلّى أمامنا البحث في أنّ الشفاعة تتحدد على نطاق الأوصاف، سواء الأوصاف المتعلقة بالشفيع أم المتعلقة بالمستشفع، ولا يستقيم إنكار ذلك التحديد بعد ثبوت القاعدة الأساسية بأنّ خلاص الإنسان مرتين بعمله، وأجلى ما تمّ تقريره في هذا المجال قول الإمام الصادق عليه السلام في رسالة كتبها إلى أصحابه، وقد جاء فيها: «فاعملوا بطاعة الله، واجتنبوا معاصيه، واعلموا أنّه ليس يُعني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا من دون ذلك، فمن سرّه أن تنفعه شفاعته الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه»<sup>(١)</sup>. وهذا كلام واضح يدفع نحو سلوك الطريق الذي يؤدّي بالعبد إلى مرتبة الارتضاء لكي ينال شفاعته الشافعين. نعم، إنّ القول بالشفاعة على نحو مطلق هو الذي يدفع إلى الإغراء والتجربي، وهو مرفوض على نطاق الوحي والعقل. وفي هذا السياق نجد الكثير من الآيات

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ١١.

القرآنية تنفي تحقّق الشفاعة في عناوين مرّ ذكرها، وقد ورد أيضاً في النصوص الروائية جملة من الأوصاف النافية لتحقّق الشفاعة، من قبيل: الشرك بالله تعالى<sup>(١)</sup>، عدم الإخلاص لله<sup>(٢)</sup>، الاستخفاف بالصلاة<sup>(٣)</sup>، نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام<sup>(٤)</sup>، التكذيب بشفاعة الرسول صلى الله عليه وآله<sup>(٥)</sup>.

وما ورد في الأثر من أنّ الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة، مع كون فعلها يعدّ ظلماً حسب الظاهر، حيث تشملهم الآية الكريمة: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(٦)</sup>، فإنّ ذلك يفسّره ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّنا شفاعة لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل. قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا بن رسول الله، فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيئِهِمْ مُشْفِقُونَ﴾، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى؟ فقال: يا أبا أحمد، ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة. وقال عليه السلام: من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن. فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً، والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾... وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ﴾، فإنّهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفة بعاقبته في القيامة»<sup>(٧)</sup>.

وعلى هذا الأساس؛ فإنّ فعل الكبائر يعدّ ظلماً للنفس بحدّ ذاته، وإذا ما كان

(١) أنظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١، ص ٣٠١.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٠٧.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٧٠.

(٤) أنظر: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ١٨٦.

(٥) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٧١.

(٦) غافر: آية ١٨.

(٧) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٤٠٨.

كذلك فلا تشمل الشفاعة بدلالة الآية المتقدمة، إلا أن يتحقق فيه عامل الندم، فإن ذلك يُعدّ من صفات المؤمنين، ومن لم يندم على ذنب يرتكبه فهو ظالم مشمول بالآية القرآنية المتقدمة؛ ومنه يمكننا القول: إن العامل الاستدراكي يعدّ من مقدمات الإذن الإلهي لإعمال الشفاعة، وهذا ما يمكن لنا تصوّره أيضاً في الممارسات الاجتماعية والعرفية بأنّ الشفاعة متوقّفة على ندم المخطئ واعترافه بخطئه والسعي إلى استدراك ما فاتته من الالتزامات العرفية والواجبات الاجتماعية.

### النتيجة

قد تمّ في هذه الدراسة التركيز على البعد العملي في عملية الخلاص، وقد تمّ تناول مباحث قرآنية متعددة تتصل بهذا المفهوم، لنصل إلى نتيجة مفادها أنّ النظرية الفدائية في النهضة الحسينية لا تنسجم تماماً مع الرؤية القرآنية في حقيقة الخلاص، وقد ورد في القسم الأول - من هذه الدراسة - مقاطع من كلام بعض العلماء - كالشيخ النراقي والشيخ الكاشاني والميرزا الطباطبائي والملا الإصفهاني - ينظّرون فيها لمسألة الفداء، مؤكّدين في طيات كلماتهم مسألة التناسب الطردي بين الألم والخلاص، ذلك التناسب الذي قامت عليه نظريتهم في الغفران، حيث ذكر الشيخ النراقي ما ترجمته: «حتّى يعلم المحبّون وشيعة أهل البيت أنّه كلّما كان تألّمهم وحزنهم على مصيبة أهل بيت رسول الله ﷺ أكثر، وكان بكأؤهم والنياحة على محتّمهم أكثر، كان اتحادهم مع سيّد الشهداء أوثق، ووصولهم إلى الشفاعة العظمى أقرب»<sup>(١)</sup>. وقد ورد أيضاً في كلام الميرزا الطباطبائي ما مضمونه: إنّ الإمام عليه السلام أراد أن يُقتل لكي يجزع عليه المؤمنون من الأوّلين والآخرين، ويبكوه وينحبوا عليه... حتّى يكون بكأؤهم وحزنهم كفارة لذنوبهم، وهذا البكاء والحزن لا يتأتّى من دون شهادة إنسانٍ كالإمام الحسين عليه السلام.

(١) النراقي، محمد مهدي، محرق القلوب: ص ٣١.

وعليه؛ فإنَّ شهادة ذلك الإنسان العظيم تُعدّ كفارة لجميع المذنبين<sup>(١)</sup>.

والذي ينبغي قوله: إنَّ الحديث عن نظرية الفداء يحتم علينا تسليط الضوء على مسألتين أساسيتين تمّ تداولهما في تصوير هذه النظرية، وهما: مسألة الاتحاد وحقيقة التشيع.

### ١. مسألة الاتحاد

الذي ينبغي بيانه - استكمالاً لما تمّ استنتاجه - أنَّ تصوّر الاتحاد بين نفسين ممّا لا محذور فيه بعد الحكم بكون ذلك الاتحاد اتحاداً معنوياً، ولا خلاف كذلك عند الإمامية في أنَّ شفاعة المعصومين عليهم السلام لشيعتهم قد ورد بيانها في النصوص الروائية<sup>(٢)</sup>، غير أنَّ تحديد عوامل ذلك الاتحاد على نطاق البكاء والحزن على سيّد الشهداء عليه السلام وطرحها بأدبيات توحى إلى كونها علّة تامّة لتحقيقه، فإنَّ ذلك لا ينسجم مع النصوص الدينية التي يمكن من خلالها الحديث عن القاعدة الأساسية التي تُهندس عملية ذلك الاتحاد، بحيث يمكن عليه السلام أن «يرفع الترسبات وآثار السيئات عن جميع النفوس المتّحدة معه، أي: نفوس شيعته ومحبيه، وأن يكون ذلك سبباً للوصول إلى الشفاعة الكبرى التي تقتضي استخلاص جميع المحبّين والموالين»<sup>(٣)</sup>، كما ذكر الشيخ النراقي.

ومن جملة الأصول القرآنية التي يمكننا عدّها كوسيلة أساسية لتحقيق جانب الاتحاد هو أصل (الاستجابة) الذي مرّ ذكره سابقاً، وكيف أن تحقّقها يحمل آثاراً اجتماعية طيّبة، إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ أَنْبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ

(١) أنظر: اسفندياري، محمد، عاشورا شناسي: ص ٧٧. نقلاً عن شريف طباطبائي، محمد باقر، أسرار شهادة آل الله (صلوات الله عليهم): ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) أنظر على سبيل المثال: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ١٨٣.

(٣) النراقي، محمد مهدي، محرق القلوب: ص ٣٠.

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ  
وَنَدْعُوكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿١﴾.

ويُفهم من آيات الاستجابة أن طريق الكمال والخلاص يتأطر بالالتزام بما دعا إليه الأنبياء والرسل على نطاق الاعتقاد والعمل. ومن المعلوم أن دعوة النبي ﷺ لم تنقطع برحيله عن عالم الدنيا، وأن وظيفة الاستجابة ممتدة بامتداد الإمامة الإلهية، وهذا ما أكدته النصوص الدينية التي سبقت في بيان مقام الولاية والإمامة، ذلك المقام الذي تمثل بأشخاص معينين حسب ما تعتقده مدرسة أهل البيت ﷺ، ومنه نقرأ في سيرة هؤلاء الأشخاص التركيز على تأصيل تلك الدعوة وإحلال التعاليم الوحيانية والقيم الأخلاقية التي جاء بها النبي ﷺ، وذلك من خلال تفعيل آليات متعددة تتناغم والظروف التي يمر بها الواقع الحاكم في عصر كل إمام.

وفي ضوء ذلك انبرى سيد الشهداء ﷺ ليؤكد أن نهضته بالصد من الممارسات الأموية لا تتأطر بحدود دنيوية مجردة، بل تتأطر بحدود إصلاحية تحمل أبعاداً قيمية ودينية تهدف إلى تقويم انحراف السلطة وانعكاساته المدمرة على واقع المجتمع الإسلامي، وذلك كله من خلال إحياء تلك الدعوة التي تحدت عنها القرآن الكريم وتفعيلها على نطاق المجتمع والدولة، حين قال ﷺ: «إني لم أخرج بطراً، ولا أشراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب صلاح في أمة جددي محمد، أريد [أن] أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، [و] أسير بسيرة جددي وسيرة أبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، وهو أحكم الحاكمين»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يتجلى لنا البحث من كون العلاقة بين سيد الشهداء ﷺ ومريديه لا تصح قراءتها إلا في ضوء مفهوم الاستجابة والقاعدة الأساسية القرآنية لعملية

(١) غافر: آية ٣٨-٤١.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤١.

الخلاص، فإنّ ذلك هو الذي يرسم صورة الاتحاد المتكاملة بين ولي الله وأتباعه من الشيعة والمحبّين.

وقد مرّ في القسم الأوّل من هذه الدراسة أنّ استحباب الحزن والبكاء والتأمّن على سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، ممّا لا شكّ في ثبوته على لسان النصوص الروائية، فإنّ إقامة الشعائر الحسينية الثابتة شرعاً ومن جملتها الحزن والبكاء والزيارة وغيرها هي جزء من منظومة القضايا الدينية، وغير قابلة للانفكاك عنها في فضاء الفكر المدرسي الشيعي، وهي بدورها توّمن للمستشفع جانباً من جوانب مفهوم الاتحاد، إلّا أنّ ذلك لا يبرّر القول بنظرية الفداء ومقولة الأُمّ الخلاصي في الإسلام، وذلك بلحاظ كون هذه الشعائر لا تقتصر حقيقتها والحكمة من تشريعها على مجرد الأُمّ بها هو كذلك، وإنّما تتعدّى حدود ذلك لتعبّر عن حركة مستمرّة ونهضة دائمة يقودها مجتمع الحسين عليه السلام للتعبير عن تمسّكه بأدبيات النهضة الرافضة لكل مظاهر الظلم والفساد والانحراف عن المسار الذي رسمته التعاليم الإلهية.

وعلى هذا؛ فإنّ ما ذكر من أحاديث عن أهل البيت عليهم السلام تؤكّد مرغوية البكاء والحزن على سيّد الشهداء عليه السلام لا ينسف ما جاءنا عنهم من الأحكام الشرعية والمعايير الأخلاقية والأسس العقدية، التي لا بدّ للمكلّف من الالتزام بها لينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، فالبكاء والحزن وإقامة الشعائر كلّها داخله ضمن منظومة دينية متماسكة، لا ينفي بعضها البعض الآخر في طريق تكامل الإنسان وسموه وخلاصه الأبدي.

وعليه؛ يتّضح موقفنا ممّا أورده المحقّق النراقي من أنّ للإمام الحسين عليه السلام قابلية رفع الكدورات والسيئات عن نفوس شيعته المتحدّين معه بالحزن والبكاء عليه<sup>(١)</sup>. فإنّ المعادلة - حسب النصّ القرآني - تقتضي أنّ الاتحاد يتحقّق بالطاعة والاستجابة،

(١) أنظر: النراقي، محمد مهدي، محرق القلوب: ص ٣٠.

وأما الحزن والألم فإتّهما يمثلان جزءاً من ذلك الاتحاد الذي تكتمل صورته في ضوء العامل الأساسي، ألا وهو: الإيمان والعمل الصالح.

وبتقريب آخر: فيما أنّ المعصوم عليه السلام يعدّ مظهرًا من مظاهر الجمال والجلال الإلهي، فكلّ ما يصدر منه هو الخير والكمال بعينه، وطريق الكمال لا يتأتّى إلا من خلاله؛ وعليه فلا يتحقّق الاستخلاص إلاّ بمشايعته واتباع أثره، وبهذا المعنى يمكن تصوّر رفع الكدورات والسيئات وذلك بلحاظ ما يصدر عنه عليه السلام من حُسن وخير، شريطة أن يجري المكلف في ضوء ذلك الحُسن ليتحقّق جانب الاتحاد. وهذا ما يصعب قراءته وتفسيره على شاكلة ميثولوجيا الفداء.

ومنه نقرأ موقفاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يشير من خلاله إلى حقيقة الاتحاد بين سيّد شباب أهل الجنّة وبين أتباعه وشيعته، ذلك الاتحاد الذي يتجلّى بشكل واضح في النصرّة والاستجابة، حيث ينقل ابن أعثم: «خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر له، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبريل يُخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها: كربلا، يُقتل بها ولدي الحسين بن فاطمة. فقيل: مَنْ يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له: يزيد، لا بارك الله له في نفسه... ثمّ رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سفره ذلك مغموماً، ثمّ صعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بن علي بين يديه مع الحسن... فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللّهمّ، إنّني محمّد عبدك ونيبك، وهذان أطايب عترتي وخيار ذريّتي وأرومتي ومَنْ أخلفهم في أمتي، اللّهمّ، وقد أخبرني جبريل بأنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهمّ، فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، إنّك على كلّ شيء قدير، اللّهمّ، ولا تبارك في قاتله وخاذله... وضجّ الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتبكون ولا تنصرونه؟! اللّهمّ، فكن أنت له ولياً وناصرًا»<sup>(١)</sup>.

وتأكيداً لهذا المعيار ننقل تقريراً للسيّد روح الله الموسوي الخميني رحمته الله من خلاله

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٤، ص ٣٢٥.

إلى مسألة تتصل بشكل وثيق ببحثنا هذا عند بيانه لحقيقة الشفاعة والغفران، حيث نفى بشدة ما يصوره البعض عن السنن الإلهية وكأتمها أمور اعتبارية، كما في مسألة استحقاق العبد للعقوبة أو المثوبة، معتقدين بأن المولى إن شاء عاقب طبقاً لذلك الأمر الاعتباري، وإن شاء تركه لحاله، أو يأتي أحد فيطلب للعبد العفو فيعفى عنه! حيث أكد أن هذه القراءة للشفاعة هي نتيجة الفهم الخاطيء لبعض النصوص التي أخفق البعض في التثبت من سندها وتحليل دلالتها، حيث جعلوا سيّد الشهداء عليه السلام شفيعاً للجميع، والمولى تبارك وتعالى بدوره يتنازل عن ذلك الأمر الاعتباري (استحقاق العقوبة) ويعفو عن الجميع... فإن الشفاعة التي نطق بها القرآن الكريم والسنة الشريفة لا تعني هذا الشمول الواسع بحيث يتخيّل البعض أن الإنسان مهما ظلم وعصى فإن الشفاعة يمكن أن تشمله.

فإذا كانت الشفاعة من الشفع، وهو الزوج، فإذا ما تحققت وشفع ولي الله فهذا يعني أن نور الولاية يلحق بنور الشخص المؤمن المشفوع له، فيصبحان زوجين، فيجذبه نحوه، فإذا لم يكن لهذا العبد نور فكيف تتحقق مزوجة هذين النورين؟!

كما أن الشفاعة في القرآن قد تمّ تحديدها بإذن الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يُعلم متى يأذن الله تبارك وتعالى في شفاعة أحد؟! ولعل ذلك الإذن يأتي بعد مئات السنين. نعم، إذا تمّ الإذن بذلك فهذا يعني أن نور العبد قد تحققت فيه قابلية المزوجة مع نور الولاية، أمّا إذا كان نور العبد في ظلمات بعضها فوق بعض، وقد خيّم عليه حجب الشرك الخفي والملكات المظلمة، فهل يمكن - في هذه الصورة - أن يتزوج نور العبد مع نور ولي الله؟! إن هذا الإذن إذن إلهي، والإذن الإلهي ليس اعتبارياً كإذن بعضنا بعضاً، وإنما هو إذن حقيقي، كما أن رحمته ومغفرته حقيقتان، فإن استحقاق العقوبة في الآخرة لها حقيقة، والعقوبات من لوازم هوية الذات وملكاتهما؛ وعليه لا ينبغي - في قبال السنن الإلهية - إغراء الإنسان بشفاعة لا يعرف

(١) البقرة: آية ٢٥٥.

معناها؛ وذلك لاحتمال عدم تحقق الإذن الإلهي، أو يتحقق بعد سنوات متتالية<sup>(١)</sup>. وتأكيدها لما مرّ نقرأ في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام التركيز على مسألة في غاية الأهمية وهي عدم السعي إلى منهجة حياة الفرد الدينية والاجتماعية على أساس الشفاعة، مع إلغاء العامل الأساس الذي مرّ بيانه سابقاً، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث مخاطباً أصحابه، وقد جاء فيه: «وارغبوا فيما عند الله عز وجل، واطلبوا طاعته، واصبروا عليها، فما أقبح بالمؤمن أن يدخل الجنة وهو مهتوك السر. لاتعنونا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدّمتم، لا تفضحوا أنفسكم عند عدوّكم في القيامة، ولا تكذبوا أنفسكم عندهم في منزلتكم عند الله بالحقير من الدنيا، تمسّكوا بما أمركم الله به»<sup>(٢)</sup>.

### ٣. حقيقة التشيع في كلمات أهل البيت عليهم السلام

مما لا شك فيه أن مفهوم التشيع قد أخذ حيزاً ملحوظاً في فضاء النصوص الروائية المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن للشيعة مكانة في قلوبهم عليهم السلام، وقد ورد في مدحهم الكثير من النصوص إلى حدّ نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام أن المعصوم عليه السلام يعلم زائر الحسين عليه السلام أن يدعو بأن يلحقه الله بهم وبشيعتهم<sup>(٣)</sup>. وقد وردت الأخبار الكثيرة الدالة على نجات الشيعة وفلاحهم، ومن جملة ذلك ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله: «شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>. وقد نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ أوّل أربعة يدخلون الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين... وشيعتنا عن أيّماننا وعن شأئنا»<sup>(٥)</sup>.

والسؤال الذي ينبغي طرحه استكمالاً للأبحاث السابقة: هل يوجد هناك معيار

(١) أنظر: الأردبيلي، عبد الغني، تقريرات فلسفه امام خميني (فارسي): ج ٣، ص ٢٦٧-٢٧٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٦١٤.

(٣) أنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، الإقبال: ج ٣، ص ٧١.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٤٩٦. وأنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة

دمشق: ج ٤٢، ص ٣٣٢ و٣٧١.

(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ١، ص ٣١٩. وج ٣، ص ٤١.

وضعته النصوص الدينية لتحديد مفهوم التشيع الخاص؟ وبعبارة أخرى: ما هي الشواخص الحقيقية في كلمات أهل البيت عليهم السلام التي يمكن من خلالها الحديث عن جانب الاتحاد بينهم وبين محبيهم؟

من خلال مطالعة النصوص التي وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وتماشياً مع القاعدة الأساسية للخلاص في القرآن الكريم، وتعميقاً للفكرة التي طرحناها في حقيقة الاتحاد، فإن حقيقة التشيع يتجلى فيها عنصران: عنصر التصديق بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعنصر المتابعة فيما ورد من أقوالهم وأفعالهم عليهم السلام، وقد ركز أهل البيت عليهم السلام في بيان حقيقة التشيع على جانب المتابعة والاستجابة، وعدم الوقوف على مرحلة التصديق والإيمان بولايتهم بعيداً عن العنصر العملي الذي يمثل أثر ذلك التصديق وحقيقته وعلامة شاخصة في التدليل عليه، ومن جملة ما جاء في بيان هذا المعنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إنَّ شيعتنا مَنْ شيعنا، وأتبع آثارنا، واقتدى بأعمالنا»<sup>(١)</sup>، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ليس من شيعتنا مَنْ وافقنا بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا مَنْ وافقنا بلسانه وقلبه، وأتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا»<sup>(٢)</sup>، وعنه عليه السلام: «قوم يزعمون أنّي لهم إمام، والله ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله، كلّما سترت ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم، أقول: كذا، يقولون: إنّما يعني كذا، إنّما أنا إمام مَنْ أطاعني»<sup>(٣)</sup>.

وعند متابعتنا لنصوص أخرى نقف على أنّ مصطلح التشيع له معنى خاص تنضوي تحته مجموعة من الالتزامات الشرعية والمعايير القيمية التي سعى أهل البيت عليهم السلام إلى ترسيخها في المجتمع الإسلامي، والحث على مزاولتها وذلك في سياق بناء مجتمع فاضل ومتماسك، وما نهضة سيّد الشهداء عليه السلام إلاّ مظهر من مظاهر ذلك المشروع المتسامي.

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كلّ

(١) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ٣٠٧.

(٢) الطبرسي، علي، مشكاة الأنوار: ص ١٣٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج ٢، ص ٥٩٠.

برّ، فمن البرّ: التوحيد، والصلاة، والصيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ورحمة  
الفقير، وتعهد الجار، والإقرار بالفضل لأهله. وعدونا أصل كل شرّ، ومن فروعهم كل  
قبيح وفاحشة، فمنهم: الكذب، والبخل، والنميمة، والقطيعة، وأكل الربا، وأكل مال  
اليتيم بغير حقّه، وتعدي الحدود التي أمر الله، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن،  
والزنى، والسرقه، وكلّ ما وافق ذلك من القبيح، فكذب من زعم أنّه معنا وهو متعلّق  
بفروع غيرنا»<sup>(١)</sup>.

وروى الكليني بسنده عن مفضل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إياك والسفلة،  
فإنّما شيعة علي من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف  
عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك فلوئك شيعة جعفر»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله لجابر: «يا جابر، أيكفي من ينتحل التشيع أن  
يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه»، ثم ذكر عليه السلام صفات  
متعددة يُعرف بها شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتبعها بقوله: «يا جابر، لا تذهبن بك  
المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحبّ علياً وأتولاه. ثم لا يكون مع ذلك فعلاً؟! فلو  
قال: إني أحبّ رسول الله. فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل  
بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة،  
أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر، والله ما  
يُتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من  
حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا  
إلّا بالعمل والورع»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٤.

## خاتمة

في ختام هذه الدراسة من الضروري تأكيد جملة من الموضوعات:

١- إنّ الأساس الفكري لنظرية الفداء لا ينسجم تماماً مع الأحكام الدينية والمعايير العقلية، فلا علاقة منطقية تُذكر بين الشهادة والخلاص يمكننا أن نتصوّرهما في عقيدة (الكفّارة)، فإذا كان الفداء تكفيراً عن الخطايا والذنوب وتغييراً لواقع الإنسان المذنب إلى واقع آخر خالٍ من الملاحقة، فإنّ ذلك التكفير المجاني والشامل لا يحتاج معه إلى فداء على هذا التقدير؛ إذ يمكن للمولى إعماله من دون أن تكون في البين تضحيات من العيار الثقيل؛ وعليه تغدو هذه المسألة أسيرة عدم التفاعل الوجداني؛ لأنّ عملية الفداء هذه متعلّقة الفعل الإنساني، فكيف يمكن أن يتحمّل إنسان كلّ هذا العناء من أجل التكفير عن ذنوب الآخرين؟!

ومن هذا المنطلق، يُظهر لنا تاريخ الفلسفة الغربية أنّ الفلاسفة سعوا كثيراً إلى الاستفادة من العقل والمفاهيم الفلسفية في تبين وتوضيح المفاهيم الدينية والدفاع عنها، إلّا أنّه - وباعتقاد كثير من الفلاسفة - أنّ هذه المساعي، فيما يتعلّق بمسائل من قبيل الفدية، قد باءت بالفشل<sup>(١)</sup>.

٢- قد بيّنا سابقاً في القسم الأوّل من هذه الدراسة أنّ القوانين الإلهية تمثّل طريقاً نحو استقامة النوع الإنساني والسير به نحو الكمال، فإنّ تشريع العقوبة بداعي مخالفة الإلزامات وفعل المحظورات لا يعني أنّ طريق العود إلى الله قد أُغلق بالمخالفة على نحو الإطلاق، فإنّ الرحمة الإلهية اقتضت جواز الرجوع والانضمام إلى دائرة الخلاص بواسطة عوامل أُخرى، كما في التوبة أو الشفاعة، ولا يمكننا الخروج عن دائرة النصوص الدينية والأحكام العقلية في إضافة وسائل أُخرى وتسويقها في مجال البحث وجعلها مصداقاً من مصاديق الرحمة الإلهية في الوقت الذي تتصادم فيه مع كثير من المبادئ والأصول الدينية.

(١) أنظر: خسرو بناه، عبد الحسين، كلام جديد: ص ٧٣.

٣- إن عقيدة الفداء تتصادم مع الترسانة الكبيرة التي يجويها الدين الإسلامي - كتاباً وسنة - من أحكام شرعية ومفاهيم عقديّة ومعايير قيمية تنظّم حياة الإنسان على مستوى الفكر والسلوك، وقد حفلت سنة الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ بالتبليغ من أجل إقامة أحكام الله وشريعته، وتوجيه الناس نحو السلوك الرفيع والتفكير القويم؛ وعليه فإنّ الإيمان بعقيدة الفداء يضعنا أمام مقارنة خطيرة في تفسير فلسفة التشريع وعلاقته بالخلاص، كما فعل بولس الطرسوسي؛ حيث ألغى أيّ تأثير للناموس وأبدل محلّه فكرة الفداء كعملية فريدة للخلاص مكتفياً بالإيمان فقط.

٤- إن عقيدة الفداء - إذا ما وجدت - لا بدّ من عدّها أصلاً أساسياً وركناً مهماً في منظومة الأصول والأحكام الدينية عند الشيعة الإمامية، وعليه فلا بدّ من توافر الدواعي لنقلها وتعريفها للمجتمع الإسلامي، «وكلّ شيء تتوفر الدواعي لنقله لا بدّ وأن يكون متواتراً»<sup>(١)</sup>، والفحص عن ذلك يرشدنا إلى أنّ هذه العقيدة لم تأخذ حيزاً بين المسائل الكلامية كأصل من الأصول كما أخذت بقية الأصول والعقائد الأساسية، ولم يتعرّض لنقلها علماء الإسلام المتقدّمين، ولو كانت كذلك لذاع صيتها وتمّ تداولها وتدوينها كعقيدة أساسية، ولسار عليها المشرّعة، مع أنّ الدواعي متوافرة على نقلها وعرضها كعقيدة دينية، فإنّ عقيدة من هذا الطراز تحمل جهات متعددة كافية لأن تكون محلاً لاهتمام المسلمين، وسبباً لانتشارها وظهورها بينهم، وعلى أقلّ تقدير في الوسط الشيعي منهم وبالخصوص أصحاب الأئمة ﷺ، فقد كانت القضية الحسينية تتداول على ألسنة العامة والخاصة، ولها حضور واسع في عقول الناس وضمائرهم بصورة عامّة، وقد اهتمّ الأئمة ﷺ ببيانها وذكر أحداثها في الجملة، فكيف غاب بيان تلك العقيدة مع شدّة خطرها وعظم أمرها؟! كما أنّ القطع

(١) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ص ١٢٤.

بلزوم كون أصول العقائد لا تثبت إلا بالدليل القطعي دال على بطلان هذه النظرية وكذبها.

٥- مما تقدم يمكننا الحكم بأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام لا تعدّ بذلاً من أجل التكفير، وإنما هي بذل من أجل استرجاع القيم والمبادئ، فهي بذل لمشروع خلاصي بنسخة إسلامية أصيلة يحمل لواءه الإنسان بكامل إرادته متسلحاً بسلاح الإيمان والعمل الصالح، وليست بنسخة أسطورية رسمتها ميثولوجيات العقل الوثني القديم.

ومن هذا المنطلق؛ فإن هذه النهضة تضع المجتمع الإسلامي أمام مسؤولية كبيرة لأداء تلك الأمانة التي ضحى من أجلها سيّد الشهداء عليه السلام بكل ما يملك مردداً: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير»<sup>(١)</sup>.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ - اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق: المعلم الثالث مير داماد الاسترآبادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام، ١٤٠٤ هـ.

٢ - أسرار شهادة آل الله (صلوات الله عليهم)، محمد باقر الشريف طباطبائي، الناشر: بينا، مشهد، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٣٩.

- ٣ - الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يُعمل مرّة في السنّة، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٤ - الأمالي، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٥ - البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- ٦ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق ومراجعة: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، لبنان - بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٧ - التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٨ - تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفّة - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ ش / ١٤٠٤ هـ.
- ٩ - تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (ت نحو ٣٢٩ هـ)، منشورات مكتبة الهدى، صحّحه وعلّق عليه وقدم له: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، ١٣٨٧ هـ.
- ١٠ - التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ١١ - التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، التحقيق والنشر في مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى المحقّقة، ١٤٠٩ هـ.
- ١٢ - تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

١٣ - تقريرات فلسفه امام خميني (فارسي)، عبد الغني الأردبيلي، مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، ١٣٩٢ ش.

١٤ - التوحيد، محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.

١٥ - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، قدّم له: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخراسان، منشورات الرضى، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ ش.

١٦ - جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.

١٧ - الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ / ١٣٦٢ ش.

١٨ - الخلاص بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، رودلف نيني، مجلّة الرسالة، تصدرها جمعية الدراسات القبطية، نيوجرزي - أمريكا، السّنة العاشرة، العدد ٧، سبتمبر ١٩٩١ م.

١٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٢٠ - شرح المقاصد في علم الكلام، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م.

٢١ - شرح المواقف، علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، شرح: علي بن محمد الجرجاني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧ م.

- ٢٢ - عاشورا شناسي (پژوهشي درباره هدف امام حسين)، محمد اسفندياري، نشر: ني، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ ش.
- ٢٣ - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- ٢٤ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صحّحه وقدم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٥ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، نشر: عالم الكتب.
- ٢٦ - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢٧ - القرآن والعقيدة، السيّد مسلم نجل حمود الحسيني الحلّي النجفي (ت ١٤٠١هـ)، تقديم: الدكتور محمد طه السلامي، تحقيق: فارس حسون كريم.
- ٢٨ - قواعد المرام في علم الكلام، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٩٩هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، باهتمام السيّد محمود المرعشي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٢٩ - الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ ش.
- ٣٠ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الحسن بن يوسف الحلّي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ حسن زادة الأملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطبعة السابعة المنقّحة، ١٤١٧هـ.
- ٣١ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٣٢ - كلام جديد، عبد الحسين خسروپناه، مركز مطالعات و پژوهشهای فرهنگی حوزة علمیه، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ.

٣٣ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٥ - المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ / ١٣٣٠ش.

٣٦ - محرق القلوب (غم های جانسوز در تاریخ ومصیبت های اهل بیت (علیهم السلام))، محمد مهدي بن أبي ذر النراقي (ت ١٢٠٩هـ)، باهتمام: علي نظري منفرد، انتشارات سرور، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ش.

٣٧ - مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٣٨ - مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، أبو الفضل علي الطبرسي (المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري)، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٩ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، دار إحياء التراث العربي.

٤٠ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٤١ - مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

- ٤٢ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- ٤٣ - موسوعة الشريف المرتضى، الجزء الخامس (الذخيرة في علم الكلام)، علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ٤٤ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٤٥ - نهج البلاغة (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيّدنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام)، شرح: الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش.

## الآيات المؤولة بالإمام الحسين عليه السلام دراسة وتحليل (القسم الثاني)

السيد شهيد طالب الموسوي \*

### تمهيد

كان منهج أهل البيت عليه السلام في التعامل مع القرآن الكريم وآياته منهجاً وسطياً معتدلاً بين منهجين متطرفين، وهما: منهج الاقتصار على التأويل وهجران ظاهر القرآن، ومنهج التعامل مع القرآن بالحرفية والألفاظ، والابتعاد عن روحه التأويلية وحقائقه الغيبية. وهذا لا يعني أن أهل البيت عليه السلام لهم مسلكهم الخاص وإيديولوجيتهم المتميزة، بل إنهم أخذوا ذلك المنهج من القرآن الكريم، وصرّحوا مراراً أن حديثهم هو حديث جدّهم عن جبرئيل، وأنّ منهجهم هو منهج رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>. ومن هنا؛ فإنّ روايات أهل البيت عليه السلام في تأويل القرآن منسجمة تماماً مع آيات القرآن الكريم التي تناولت التأويل في موضوعاتها.

وكان للتأويل عند أهل البيت عليه السلام أنماط وصور متعدّدة ظهرت من خلال تراثهم الروائي وطرق تأويلهم للنص القرآني. ومن تلك الصور نجد التأويل الرمزي الذي يعني أنّ اللفظ له دلالة رمزية على معناه، وذلك من قبيل ما ورد «عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، قال: قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه ممّن يأخذه»<sup>(٣)</sup>.

\* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

(١) النجم: آية ٤-٣.

(٢) عبس: آية ٢٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ٩٦.

وهناك التأويل الباطني الذي يعني أنّ بين اللفظ ومعناه علاقة باطنية عميقة لا يُدركها إلا أصحاب الحقائق العليا كأهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك ما ورد «عن يونس بن عبد الرحمن... قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾<sup>(١)</sup>، قال: إنّ ظاهرها الحمد، وباطنها ولد الولد، والسابع منها القائم عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما كان التأويل هو الواقع العيني للمعنى والمتحقق بالخارج، أو ما يُعبّر عنه بالمصداق الخارجي. وقسم آخر من التأويل يُعبّر عن حقائق علوية سبقت هذه النشأة، كما في تأويل التين والزيتون، وغير ذلك من صور التأويل التي تفيد أنّ التأويل لم يكن في نسق واحد أو رتبة واحدة، بل إنّ التأويل وبمقدار صلته بالقرآن الكريم يُعبّر عن مراتب للمعنى ودرجات للحقائق القرآنية. ومن خلال تأويل الآيات القرآنية ظهرت لنا حقائق تحمل في جوهرها مأساة كربلاء ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن بيان مقاماته العليا ومنزلته الرفيعة عند الله تعالى. وستتطرق لبعض تلك الآيات القرآنية وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تأويلها بالإمام الحسين عليه السلام، مع الإشارة إلى ما يمكن بيانه في موضوع التأويل وقواعده بما يناسب المقام.

### الآيات المؤولة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

**الآية الأولى:** قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وردت في تأويل هذه الآية الكريمة روايات من الفريقين أشارت صراحة إلى أنّ السماء والأرض بكت على يحيى والحسين عليهم السلام، ومنها ما رواه الطبري في تفسيره، قال: «يقول تعالى ذكره: فما بكت على هؤلاء الذين غرقهم الله في البحر، وهم فرعون

(١) الحجر: آية ٨٧.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٤٣٨.

(٣) الدخان: آية ٢٩.

وقومه، السماء والأرض، وقيل: إنَّ بكاء السماء حمرة أطرافها... عن السديّ، قال: لما قُتل الحسين بن عليّ (رضوان الله عليهما) بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن عساكر بسنده المتصل «عن ابن سيرين، قال: لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك توجد في مصادرنا روايات كثيرة تصل إلى حدّ الاستفاضة أو الشهرة قد وردت بنفس المضمون، منها ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾، قال: لم تبك السماء على أحد منذ قُتل يحيى بن زكريا حتّى قُتل الحسين عليه السلام، فبكت عليه»<sup>(٣)</sup>.

ورواية الفريقين للمضمون مع استفاضة عندنا ترفع عنّا مؤونة البحث في السند. وأمّا عن جهتها الدلالية فربما يُقال: كيف لنا تصوّر بكاء السماء والأرض؟ وكيف للجمادات غير العاقلة أن يصدر منها هذا الشعور - كما في السماء - الذي يبدو أثره بالحمرة كما في الرواية؟ أو ما هي طبيعة البكاء بالنسبة للأرض؟ فنقول: إنَّ ذلك يمكن تصوّره بعدة نقاط:

أولاً: إنّها وإن كانت جمادات فهي كذلك بحسب الاصطلاح العلمي، وهذا لا يعني خلوّها من الشعور بدرجة معتدّ بها لا يُدرّكها الجيولوجيون بطبيعة الحال، وإنَّ سبب عدم إدراكنا لذلك لكونها غير مختارة في أفعالها، فهي ممثلة لأوامر خالقها، مذعنة له، ولا تملك نصيباً من الاختيار على ما جُبلت عليه. وما تُغيّر أحوال السماء والأرض - الذي يظهر لنا ونشعر به - إلا لتلك النسبة من الإدراك الذي يجعلها طائعة لأوامر الحقّ تعالى.

والأدلة الشرعية من القرآن والسنة فيها الكثير الذي يشير صراحة إلى هذا

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢٢، ص ٣٣.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٥.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٢.

المعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾<sup>(١)</sup>، ومنها كذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه»<sup>(٢)</sup>.

وإلى هذا المعنى أشار الألوسي في تفسيره بقوله: «ومن أثبت - كالصوفية - للأجرام السماوية والأرضية وسائر الجمادات شعوراً لائقاً بحالها لم يحتج إلى اعتبار التمثيل، وأثبت بكاءً حقيقياً لها حسبما تقتضيه ذاتها ويليق بها، أو أوله بالحزن أو نحوه وأثبتها لها حسب ذلك أيضاً»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: إنَّ المراد من السماء والأرض ليس السماء والأرض المعهودتين لدينا، بل المراد منهما مَنْ يسكن السماء من الملائكة، ومَنْ يسكن الأرض من الناس، فهو تعبير بالكل والمراد هو الجزء، كما في آيات نزول الماء من السماء، فالماء حقيقة ينزل من السحاب، ولكون السحاب جزءاً من السماء صحَّت هذه التسمية.

ثالثاً: وهو قريب من التصوّر الثاني؛ إذ قد يكون المراد من السماء هو عالم الملكوت الذي فيه الملائكة وأرواح الأموات من الأنبياء والمؤمنين، والمراد من الأرض عالم الناسوت من البشر وحتى الحيوانات والنباتات التي تتمتع بشيء من الشعور، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾<sup>(٤)</sup>، والمراد هو سؤال أهل القرية.

وأما لو قيل: إنَّ الروايات فسّرت بكاء السماء بالحمرة وهذه الحمرة، لها قانون فيزيائي اكتشفه العلماء، فكيف نفسره بأنه بكاء على يحيى والحسين عليهما السلام؟

نقول: إننا سواء قلنا: إنَّ حمرة السماء ليس المراد منها الحمرة المشرقية أو المغربية التي نراها الآن كظاهرة طبيعية، بل لعلها حمرة حصلت بعد مقتلها وبقيت فترة من الزمن ثم تلاشت. أو نقول: إنَّها نفس الحمرة الموجودة الآن، فالجواب يصلح

(١) الأحزاب: آية ٧٢.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ج ٢، ص ٢٥٥.

(٣) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج ١٣، ص ١٢٣.

(٤) يوسف: آية ٨٢.

لكلا الاحتمالين، وهو: إنَّ القوانين الفيزيائية والطبيعية، وإن ظهر لنا تفسير لها ولطبيعة وجودها وتكوُّنها كما في قانون المطر والجاذبية وانتقال الحرارة وغيرها، إلاَّ أنَّ ذلك لا يمنع من القول: بأنَّ هذه القوانين بحدِّ ذاتها خاضعة لقوانين أعلى منها، وقد عبّر عنها العلماء بقوانين القوانين، كذلك فإنَّ وجود تفسير لظاهرة معيَّنة لا يعني أنَّ هذه الظاهرة غير خاضعة لقوَّة غيبية متصرِّفة بها وحاكمة عليها، فإنَّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه؛ ولذلك فإنَّ التعرّف عليها واكتشاف أسبابها لا يعني إطلاقاً أنَّنا انتهينا إلى علَّتْها التامَّة أو غاية العلل، قال السيّد محمد الصدر: «إنَّنا تعبَّدنا بما علَّمنا به أئممتنا عليهم السلام، وهو أنَّ الكون الخارجي محرَّك بأسباب خارجية وعلل موجودة، هي بالدرجة الأولى الملائكة وهم (قوانين القوانين) حسب ما عبّر عنه السيّد أبو جعفر عليه السلام، وفي المرتبة التي فوقهم أرواح المعصومين عليهم السلام وأنوارهم، فهم أبواب الله وأمناءه»<sup>(١)</sup>.

وصريح الروايات في بكاء السماء والأرض على يحيى وعلى الحسين عليهما السلام فيه دلالة على عظمتها، وأنَّ السماء وما فيها من ملائكة أو أرواح الأنبياء، إنَّما تأثرت لمظلوميتها وطريقة قتلها مع أنَّهما كانا يحملان الخير الكثير للبشر، ومع ذلك واجها قتلاً ومظلومية ومأساة عظيمة سبَّبت هذا الحزن العميق لأهل السماء والأرض، وهما بطبيعة الحال متشابهان في كثير من المزايا، إذ يُستفاد من الروايات أنَّ هناك جهات مشتركة وأوجه تشابه بين يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهما السلام غير بكاء السماء والأرض عليهما، منها:

### أولاً: الولادة

وكانت مدَّة حملها أقلَّ من المعتاد، حيث وُلد يحيى عليه السلام لستَّة أشهر، كذلك الإمام الحسين عليه السلام وُلد لستَّة أشهر، حيث ورد «فوضعت لستَّة أشهر، ولم يُسمع بمولود وُلد لستَّة أشهر إلاَّ الحسين ويحيى بن زكريا عليهما السلام»<sup>(٢)</sup>.

(١) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ١٩٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٧٢.

## ثانياً: المظلومية

قُتِلَ الحسين عليه السلام مظلوماً، وكذلك يحيى عليه السلام، وهذا من الثوابت التاريخية، حيث إنَّ قتل يحيى عليه السلام كان لقول كلمة الحقِّ ورفضه للباطل بعد أن أراد الملك أن يتزوَّج بربيبته وأفتى يحيى عليه السلام بعدم جواز ذلك، وكذلك الحسين عليه السلام، فإنَّ كلمة الحقِّ هي أساس نهضته وسبب مظلوميته بعد أن أراد يزيد أخذ البيعة من المسلمين، وهي بيعة باطلة غير قائمة على أُسس شرعية، فرفض الإمام الحسين عليه السلام ذلك.

## ثالثاً: الشهادة

شهادة الحسين عليه السلام كشهادة يحيى عليه السلام؛ حيث قُتِلَ يحيى عليه السلام وقُطِعَ رأسه ووضع في طشت أمام طاغية زمانه، وكذلك ذُبح الحسين عليه السلام وقُطِعَ رأسه ووُضِعَ في طشت أمام الطاغية عبيد الله بن زياد، ثمَّ الطاغية يزيد.

وقد ورد في قتل يحيى عليه السلام: «إنَّ امرأة ملك بني إسرائيل كبرت وأرادت أن تزوَّج بنتها منه للملك، فاستشار الملك يحيى بن زكريا، فنهاه عن ذلك، فعرفت المرأة ذلك وزينت بنتها وبعثتها إلى الملك، فذهبت ولعبت بين يديه، فقال لها الملك: ما حاجتك؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا. فقال الملك: يا بنية حاجة غير هذا. قالت: ما أريد غيره. وكان الملك إذا كذب فيهم عُزِلَ عن ملكه، فحُيِّرَ بين ملكه وبين قتل يحيى فقتله، ثمَّ بعث برأسه إليها في طشت من ذهب، فأمرت الأرض فأخذتها، وسلَّط الله عليهم بخت نُصَّر»<sup>(١)</sup>.

وروي عن الإمام السجَّاد علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلَّا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنَّ رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٢٩٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٣٢.

## رابعاً: فوران الدم والثأر له

عندما سقط دم يحيى عليه السلام على وجه الأرض أخذ يغلي ويفور، وكلما ألقى عليه التراب زاد ارتفاعاً، وبقي هكذا حتى خرج بخت نُصْر و قتل من بني إسرائيل سبعين ألفاً ثأراً ليحيى عليه السلام، فسكن الدم، وورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي حتى يبعث المهديُّ الله، فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً»<sup>(١)</sup>.

## خامساً: التسمية

كُلُّ من الإمام الحسين و نبي الله يحيى عليه السلام لم يسبقهما أحد في تسميتهما، فقد ورد «عن زرارة، عن عبد الخالق، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾. فقال: الحسين لم يكن له من قبل سَمِيًّا، ويحيى بن زكريا لم يكن له من قبل سَمِيًّا، ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً. قلت: فما كان بكاؤها؟ قال: كانت تطلع الشمس حمراء وتغيب حمراء، وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا، وقاتل يحيى بن زكريا ولد زنا»<sup>(٢)</sup>.

**الآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْتَقَىٰ وَلَا تُظَلَمُونَ فَنِيلاً﴾<sup>(٣)</sup>.

تناولت الآية الكريمة أمرين إلهيين مختلفين في حقيبتين مختلفتين، في الأولى إلزام للمسلمين بالكف عن القتال والتفرغ للعبادة، والتزام مبدأ التقية أو العفو في حق الأعداء، وفي الحقة الثانية كان الأمر بالقتال. ويرى المفسرون أن الآية نزلت فيمن

(١) المصدر السابق.

(٢) الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة: ج ١، ص ٣٠٢.

(٣) النساء: آية ٧٧.

كانوا في مكة أو من هاجروا إلى المدينة وطلبوا القتال، وكان الرسول ﷺ لم يؤمر بعد بالقتال، فلما كتب عليهم القتال تردّد الكثير منهم خشيةً من قريش<sup>(١)</sup>.  
ومن الواضح أنّ هذا من أسباب النزول أو شأنه وكليهما لا يعني توقف الآية على هذه الحادثة وعدم صلاحية انطباقها على حادثة غيرها في زمان آخر، بل غاية ما يدلّ عليه شأن النزول أنّه يصلح كقرينة لفهم الآية وتفسيرها وبيان المراد من مفرداتها، وأمّا صلاحيتها لكلّ زمان ومكان وانطباقها على حادثة أخرى تحاكي ذلك الأمر الواقع فهو من المسلّمات عند عامّة المسلمين، وهذا هو أحد معاني التأويل التي أشارت إليها روايات كثيرة، منها: «عن فضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: (ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن)؟ فقال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلّما<sup>(٢)</sup> جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٣)</sup>، ونحن نعلمه»<sup>(٤)</sup>.

وعلى أساس ذلك وردت روايات أوّلت الحقبة الأولى في الآية المباركة بزمان الإمام الحسن عليه السلام، ذلك الزمان الذي وقع فيه الصلح بينه عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان، وكان ذلك سبباً في إثارة حفيظة بعض المؤمنين (المتسرّعين) غير المدركين للمصلحة العليا، وأنّ الإمام إنّما يتّبع ما يؤمر به ويعمل وفق مقتضيات المصلحة والحكمة الإلهية، حتّى أنّنا نرى بحسب ما نقل لنا التاريخ صعوبة المواقف التي واجهها الإمام السبط الزكي، وخاصّة من أتباعه المقربّين، فهناك من خان العهد والتحق بمعاوية، كعبيد الله بن العباس الذي كان قائداً على رأس جيش الإمام الحسن عليه السلام، وهناك من وقف موقفاً سلبياً من الإمام وأصبح يهجوه بعبارات غير

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٨، ص ٥٤٩.

(٢) في المصدر ورد (كما).

(٣) آل عمران: آية ٧.

(٤) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢١٦.

لائقة جهلاً وغفلة، ولكن الإمام الحسن الزكي - وهو ابن رسول الرحمة ومنقذ الأمة - واجهه برحابة الصدر ودمائة الخلق وشفقة الحليم<sup>(١)</sup>.

ولما كُتِبَ القتال في زمن الإمام الحسين عليه السلام نرى أن الكثير من المسلمين قد تنكروا وتخلّفوا عنه عليه السلام، إمّا رغبة في الدنيا أو خوفاً من يزيد وأتباعه ونسوا خشية الله تعالى وبدأوا يقدمون الأعذار الواهية، غير مدركين أنّ متاع الدنيا قليل، وأنّ الدار الآخرة خير مقام وأحسن مأوى يأوي إليه المؤمنون الصالحون المطيعون لربّهم.

وقد وردت في بيان هذا التأويل للآية عدّة روايات، منها: «عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله، للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة ممّا طلعت عليه الشمس، والله، لقد نزلت هذه الآية ﴿الرَّ تَرَى إِلَى الدِّينِ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، إنّما هي طاعة الإمام، وطلبوا القتال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام، قالوا: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(٢)</sup>، قالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، نجب دعوتك ونتبع الرسل. أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

وهذا التخلّف عن نصره الإمام الحسين عليه السلام وعدم طاعته في القتال بعد أن كتبه الله تعالى على الأمة، ترك في تاريخ الأمة الإسلامية جرحاً لا يبرأ، وفوّت عليها فرصة عظيمة في إرساء دعائم الدولة الإسلامية العادلة، بل انعكس سلبياً عليها كما نرى في الأحداث التي وقعت بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث حزم يزيد أمره في قتال أهل المدينة في وقعة الحرّة التي ذكرت لنا الروايات التاريخية أبشع الصور عن أحداثها، ثمّ زحف الجيش إلى مكّة ورمى الكعبة بالمنجنيق، وهذه الإساءة للمسلمين ومقدّساتهم وأرواحهم إنّما كانت نتيجة تخلّفهم عن طاعة أمر الله في

(١) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٩.

(٢) النساء: آية ٧٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٣٣٠.

الوقوف أمام الظلم وطلب الإصلاح في أمة رسول الله ﷺ، ذلك الشعار الذي حمله الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه ودعا به المسلمين إلى نصرته. فأصبحت الأمة بعد مقتل الحسين عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وربما قيل: إن هذا النوع من التأويل لا يخالف التفسير، فهما مصداقان لمعنى واحد، وبعبارة أخرى: إن معنى الآية ثابت وأن المتغير إنما هو المصداق والانطباق. فنقول: إن من معاني التأويل هو الواقع الخارجي الحاكي عن معنى الآية، وبعبارة أخرى: فإن التأويل ليس بالضرورة أن يكون من الأمور النظرية العقلية، بل يمكن أن يكون هو الواقع الخارجي العيني كما يقول السيد الطباطبائي: «التأويل أمر خارجي هو مرجع ومآل لأمر خارجي آخر، فتوصيف آيات الكتاب بكونها ذات تأويل من جهة حكايتها عن معان خارجية كما في الإخبار، أو تعلقها بأفعال أو أمور خارجية كما في الإنشاء، لها تأويل، فالوصف وصف بحال متعلق الشيء لا بحال نفس الشيء»<sup>(٢)</sup>.

### الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَيْتُونِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهي الآية الأولى من سورة التين المباركة، وتعد من قصار السور القرآنية كما هو معروف، وذكر المفسرون لتفسيرها أقوالاً كثيرة، وأبرز من فصل في ذلك من علماء الجمهور هو الفخر الرازي، فذكر في تفسيره قولين: الأول هو تفسير ظاهري، والثاني تأويل باطني، وقد ذكر أن سبب تعدد الأقوال: «هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة، فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بهما؟ فلأجل هذا السؤال حصل فيه قولان، الأول: أن المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران»<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر فوائد

(١) الشورى: آية ٣٠.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٢٨.

(٣) التين: آية ١.

(٤) الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٣٢، ص ٨.

التين والزيتون وطبيعتها ومقارنتها مع بعض الفواكه مؤيداً هذا التفسير بروايتين: واحدة عن النبي ﷺ والأخرى عن الإمام الرضا عليه السلام، وأبرز ما قاله في وصف التين ومقارنته مع بعض الفواكه هو أنه نافع وطيب من حيث الظاهر والباطن، كما وصف النبي ﷺ بصفات شجرة التين من حيث اهتمامها بنفع الآخرين قبل نفسها<sup>(١)</sup>.

أما القول الثاني الذي يرى إشكالاً في صحّة القسم بالتين والزيتون المعهودين، فقد ذهب إلى تأويل التين والزيتون بحمل اللفظ على غير معناه الظاهري؛ لقرينة عقلية منعت من الحمل على الظاهر، وهذا هو أحد معاني التأويل، فمع وجود القرينة المانعة من الحمل على الظاهر يكون تأويل اللفظ بحمله على غير ظاهره، وقد ورد هذا المعنى من التأويل في كلمات بعض اللغويين<sup>(٢)</sup>.

ومما ذكره في معنى التين والزيتون هو أنّها جبلان مقدّسان ينبت فيهما التين والزيتون، وقيل: إنّهما مسجدان: مسجد دمشق، ومسجد بيت المقدس. إلى غير ذلك من التأويلات التي عرضها الرازي في تفسيره<sup>(٣)</sup>.

وأما الزيتون فهو في مصاف التين في الوصف على ما بيّنه الرازي كذلك، فهي شجرة مباركة كما أنّها إدام من وجه، ودواء من وجه على حد وصفه، وقال أيضاً: «وقيل: من أخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى»<sup>(٤)</sup>. وهذا المعنى من التأويل وارد أيضاً؛ لأنّ المنام الصادق بحاجة إلى تأويل كما في رؤيا يوسف للشمس والقمر والكواكب، فرؤية الشمس والقمر لا تعني رؤية الشمس والقمر المعهودين حقيقة، بل أوّلت بوالديه، كما أنّ رؤية الكواكب أوّلت بإخوته، وأشار القرآن بشكل

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٨-٩.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٣٢.

(٣) الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٣٢، ص ٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٩.

واضح إلى هذا المعنى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوبَيْهٍ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ...﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أشارت روايات أهل البيت عليهم السلام إلى هذا النوع من التأويل فقد ورد «عن محمد ابن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال: التين الحسن، والزيتون الحسين»<sup>(٣)</sup>. والرواية من تفسير فرات الكوفي، وقد ذكر في تفسيره أربعة طرق إلى رواية الصيرفي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقد اشتركت بالمضمون مع اختلاف يسير باللفظ، وحتّى مع جهالة حال فرات الكوفي وعدم ذكره في كتب الرجالين إلا أنّ رواية المتقدّمين من علمائنا عن تفسيره كوالد الشيخ الصدوق، ورواية الشيخ الصدوق عنه بواسطة، واعتماد الأقدمين - كالشيخ الحاكم أبو القاسم الحسكاني في (شواهد التنزيل) - على تفسيره وروايتهم عنه، كل ذلك يصلح أن يكون قرينة على اعتبار ما فيه من روايات بالجملة.

يقول السيّد الخوئي رحمته الله في ترجمة فرات بن إبراهيم: «ابن فرات الكوفي، صاحب التفسير المعروف، المقصور على الروايات عن الأئمة الهداة عليهم السلام... ويروي التفسير عن فرات، والد الشيخ الصدوق، وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى سنة (٣٢٩)، وأمّا الشيخ الصدوق، فيروي في كتبه عنه كثيراً، إمّا بواسطة والده، أو بواسطة شيخه الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي»<sup>(٤)</sup>.

ومع ذلك فإنّ الروايات التي وردت بهذا المضمون لم ينفرد بها ابن فرات الكوفي في تفسيره، بل روى غيره بهذا المضمون، كما في كتاب (تأويل الآيات الظاهرة) للسيّد شرف الدين علي الحسيني، و(كنز جامع الفوائد) لعلم بن سيف بن منصور الحلّي،

(١) يوسف: آية ١٠٠.

(٢) التين: آية ١.

(٣) الكوفي، فرات، تفسير فرات الكوفي: ص ٥٧٨.

(٤) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ١٤، ص ٢٧١-٢٧٢.

ونقل الشيخ المجلسي في (البحار) ثلاث روايات من كتبها، اثنان منها عن ابن دراج وأبي الربيع الشامي عن أبي عبد الله عليه السلام، والثالثة عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

وكيف كان، فإن مجموع الروايات واختلاف الطرق يكون باعثاً على الاطمئنان بصدور المضمون وتأويل التين والزيتون بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ومع أن القمّي في تفسيره يرى أن التين والزيتون هما رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، إلا أن هذا التفسير لا يعارض ما تقدّم؛ لإمكان تعدّد مصاديق الآية تفسيراً وتأويلاً، أو أن الراجح ما تقدّم في تأويلها بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام؛ لأنه تأويل ورد مروباً وباستفاضة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أن من أهمّ قواعد التأويل عندنا أن يكون مؤيداً بما ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام؛ لأنهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويله.

وقد أجرى السيّد شرف الدين مقاربة لطيفة بين صفات الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من جهة، والتين والزيتون من جهة أخرى، وبالتالي يكون هذا التعبير القرآني بنحو الكناية عنهما عليهما السلام، قال: «أما قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>(١)</sup> الحسن والحسين عليهما السلام، إنّما كنّى بهما عنهما لأنّ التين فاكهة خالصة من شوائب التنغيص، ولأنّه سبحانه جعل الواحدة على مقدار اللقمة، وفي ذلك نعم جمّ على عباده... وأما الزيتون: وهو الذي يخرج منه الزيت، قال الله تعالى: ﴿بُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وفيه منافع كثيرة في الدنيا. وأما الحسن والحسين عليهما السلام فمنافعها لا تحصى كثرة في الدين والدنيا، والأمر في ذلك واضح لا يحتاج إلى بيان»<sup>(٣)</sup>.

(١) التين: آية ١.

(٢) النور: آية ٣٥.

(٣) الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢، ص ٨١٥.

وهذا الارتباط إنّما هو من جهة الوصف، وهو أشبه بالكناية التي يُقصد بها لازم الكلام وليس الكلام نفسه.

ويمكن أن يكون هناك وجه آخر ليس من قبيل الكناية بل هو ارتباط حقيقي غيبي، وبعبارة أخرى: إنّ المراد بالتين والزيتون هما الواقعيان وليس المعهودين من الفاكهة، وهما ما كانا من عالم الجنّة وثمارها، نظير ما ورد عن الزهراء عليها السلام من أنّها خلقت في هذا العالم من أصل غيبي، وهي تفاحة جاء بها جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث روي: «عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ما لك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً؟ قال: إنّه أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني تفاحة فأكلتها، فصارت نطفة في ظهري، فلما نزلت من السماء واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، فكلمّا اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها»<sup>(١)</sup>.

فالتين والزيتون تأويلاً هو الحقيقة الواقعية لهما، وهما الحسن والحسين عليهما السلام في نشأتها في عالم الجنّة. أو قل: إنّ هناك حقيقة واقعية غيبية للزيتون (لفظاً ومعنى)، فاللفظ هو العبارة، والمعنى هو تلك الثمرة التي لها وجودها العيني الخارجي، فكلاهما معاً له حقيقة عليا واقعية هي تأويل للفظ ومعناه على حدّ سواء. ولعل هذا هو مذهب السيّد الطباطبائي في التأويل، قال: «إنّ الحقّ في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، وإنّما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب»<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أنّ التأويل قد يكون كذلك هو الحقيقة العينية الخارجية (المصداق المتحقّق في الخارج) وهذا لا يتعارض مع ما ذهب إليه السيّد

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٢، ص ١٣١.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٤٩.

الطباطبائي؛ لأننا نعلم أنّ التأويل هو بطن الآية وأنّ البطن له بطن وهكذا، حيث ورد في تفسير العياشي: «عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثمّ سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال عليه السلام لي: يا جابر، إنّ للقرآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرّف على وجوه»<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أنّ التأويل له مراتب، وأنّ فوق كلّ حقيقة حقيقة أخرى حاكمة عليها.

وربما يقال: إنّ التين والزيتون مختلفان بالحقيقة، وأمثما من شجرتين مختلفتين وإن كانا متشابهين بالصفات، فكيف لنا أن نقول: إنّ الحسن والحسين من شجرتين مختلفتين، وهما من شجرة واحدة وهي شجرة النبوة؟

فنقول: إنّ ذلك إنّما يكون على قياس ما في هذا العالم وهذه النشأة، وهو صحيح، لكن الكلام في التأويل إنّما هو عن شجرتين من عالم مختلف تماماً، له قوانينه وحقيقته الخاصة وإن استخدمت تعبيرات لفظية متشابهة، ففي تلك النشأة قد تكون الشجرة واحدة وثمارها مختلفة كما في الرواية التي وصفت شجرة آدم، حيث ورد «عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت، فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد؟ فقال عليه السلام: كلّ ذلك حقّ. قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت، إنّ شجرة الجنة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، وليست كشجرة الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

**الآية الرابعة:** قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ

(١) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٧٤.

مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ  
فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ  
بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا \* إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ  
فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿١﴾.

ذهب أغلب المفسرين إلى أن فساد بني إسرائيل في الأرض كان في قتلهم الأنبياء  
وأذيتهم وتغيير التوراة وعدم العمل بها، وانحصرت أقوالهم عن المقتولين في زكريا  
ويحيى، ومنهم من أضاف قصدهم لقتل عيسى وحبس أرميا النبي وجرحه بعد أن  
وعظهم وبشّرهم بالنبي الخاتم ﷺ. (٢).

ثم ذكرت الآيات وعدين إلهيين حتميين في سياق القضاء الإلهي على بني  
إسرائيل، وكانت لتفسير هذين الوعدين أقوال عند المفسرين، رجح صاحب  
الميزان منها ما ذكره بقوله: «والذي يظهر من تاريخ اليهود أن المبعوث أولاً لتخريب  
بيت المقدس هو بخت نُصْر وبقي خراباً سبعين سنة، والمبعوث ثانياً هو قيصر الروم  
اسبينانوس سير إلهم وزيره طوطوز فخرّب البيت وأذلّ القوم قبل الميلاد بقرن تقريباً.  
وليس من البعيد أن يكون الحادثان هما المرادتان في الآيات، فإنّ الحوادث الأخرى لم تفن  
جمعهم، ولم تذهب بملكهم واستقلالهم بالمرّة» (٣).

ومن الروايات - عندنا - التي أوّلت هذه الآيات القرآنية ما ورد «عن صالح  
ابن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ  
لُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (٤)، قال: قتل أمير المؤمنين عليه السلام وطعن الحسن بن علي عليه السلام،

(١) الإسراء: آية ٤-٧.

(٢) أنظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج ٨، ص ١٧.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣، ص ٢٦.

(٤) الإسراء: آية ٤.

﴿وَلَنَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، قتل الحسين بن علي عليه السلام، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولُهُمَا﴾<sup>(٢)</sup>، قال: إذا جاء نصر الحسين عليه السلام، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلْدَلَ الدِّيَارِ﴾<sup>(٣)</sup>، قوماً يبعثهم الله قبل قيام القائم عليه السلام، لا يدعون وتراً لآل محمد إلا أحرقوه، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾<sup>(٤)</sup> (٥).

وروى الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام نفس الرواية مع زيادة لا يسع المقام لذكرها<sup>(٦)</sup>.

وما تقدّم في تفسير الآيات القرآنية يبيّن لنا صورة إجمالية عنها، حيث يُعتبر مقدمة تمهيدية للدخول في عالمها التأويلي؛ لأنّ الفارق الأساسي بين التنزيل والتأويل هو التباعد الزمني، والقصد من التنزيل هو سبب نزول الآية أو موضوعها الظاهر أو المتبادر من دلالتها اللفظية، أمّا التأويل هنا فهو الجري الذي صرّحت به روايات أهل البيت عليهم السلام المتقدمة، وأنّ القرآن يجري بالناس مجرى الشمس والقمر. وبعبارة أخرى: إنّ ما جرى على بني إسرائيل يمكن أن يجري على غيرهم، وأنّ ما يجري على غيرهم سيكون مصداقاً وتطبيقاً للآية القرآنية، وسيكون موضوعاً لتأويلها.

والظاهر من الروايات أنّها أوّلت الفساد مرّتين بقتل أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام، وأوّلت العلو الكبير بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهذه الخصوصية بالظلمية، وأنّها أصبحت ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ إما من جهة شدّة المظلومية والمأساة التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام، وأنّها أعظم ممّا جرى على الإمام أمير المؤمنين والإمام

(١) الإسراء: آية ٤.

(٢) الإسراء: آية ٥.

(٣) الإسراء: آية ٥.

(٤) الإسراء: آية ٥.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٣-١٣٤.

(٦) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٠٦.

الحسن عليه السلام، أو من جهة أنّ الأمة تبادت في الظلم، فمع أنّهم قتلوا أمير المؤمنين عليه السلام ثم قتلوا الحسن عليه السلام لم ينتهوا، بل زادوا بطغيانهم إلى أن قتلوا الإمام الحسين عليه السلام.  
وربما قيل: كيف نجمع بين ما جرى في بني إسرائيل وما جرى في أمة الإسلام؟ وهل الإسلام كأمة يصدق عليه أن يكون كبني إسرائيل؟  
والجواب يمكن أن يكون بعدة نقاط:

**الأولى:** إنّنا قدّمنا أنّ حمل بني إسرائيل على أمة الإسلام من قبيل التأويل، والتأويل يتعامل أحياناً مع الألفاظ برمزياتها لا بحقيقتها، فالأمة الإسلامية هي الأمة التي احتضنت النبوة السماوية وذريتها كما احتضنت بنو إسرائيل النبوات سابقاً، وكما أنّ السُّنن جرت في بني إسرائيل بهذا التصوير القرآني فهي تجري بنفس الوتيرة في الأمة الإسلامية، وإلى هذا المعنى يشير الحديث النبوي المشهور: «ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة»<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** إنّ التأويل ينظر غالباً إلى الحدث والفعل وليس إلى العناوين، فإن تشابهت الأحداث - وإن كان هناك فارق - تكون بالجملة مصداقاً وتطبيقاً للآية، وهذا أحد معاني التأويل، وهو أنّ من ينطبق عليه مضمون الآية ودلالاتها يكون موضوعاً لها من الناحية التأويلية. أو هو من قبيل: (إياك أعني واسمعي يا جارة)، كما دلّت على ذلك الروايات، منها: «عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة»<sup>(٢)</sup>.

**الثالثة:** إنّنا نعلم أنّ القرآن وبشكل عام إنّما تعرّض لأحوال الأمم السابقة من قبيل ضرب المثل وأنها عبرة للمؤمنين، وبالتالي فإنّ السُّنن التاريخية التي جرت على الأمم السابقة تجري على غيرها طبقاً لقانون السُّنن الكونية، فإذا كان تفسير

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٤، ص ١٢٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦٣١.

الآية ظاهراً في بني إسرائيل، فإنّ هذا يجري على كلّ أمة بعدها أو التي تعاصرها على حدّ سواء، وإنّما كان الكلام عن بني إسرائيل من باب المثل. وفي هذا المعنى روايات كثيرة، منها: «ما رواه محمد بن العباس رضي الله عنه، عن أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمد السيارى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجل: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾<sup>(١)</sup>، قال: هذا مثل ضربه الله لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>، مع ملاحظة أنّ ذكر مريم عليها السلام لا ينحصر بكونه مثلاً لفاطمة عليها السلام، بل يمكن تحقيق أهداف أخرى من ذكرها قصدها الله عزّ وجل في حكمته اللامتناهية بطبيعة الحال؛ ولذلك نجد أنّ الرواية المتقدمة لم تأتِ بلفظ يدلّ على الحصر من قبيل (إنّما).

وبين تفسير الآيات وتأويلها يتنقّح عندنا إشكال مفاده: أنّ الآيات تتحدّث عن فساد بني إسرائيل الأول، وما حدث بعده من سبي وهو وعد الأولى، ثمّ توبتهم ورجوعهم إلى الله وعمّا كانوا عليه، فحصل لهم الرّدّ والنفير وهو الكرّة. وبعدها حصل الفساد الثاني فجاء وعد الآخرة. أمّا الروايات فإنّها تحدّثت عن فسادين وعلوّ كبير بشكل متتابع، وهما قتل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، وهي أحداث وقعت بتسلسل زمني لم يتخللها حدث مغاير لها، ثمّ يحدث وعد أولاهما وهو ظهور رجال قبل قيام القائم عليه السلام لا يتركون قاتلاً لآل محمد إلاّ قتلوه. ثمّ الكرّة: ﴿رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ﴾، والروايات صريحة على أنّ الحسين عليه السلام أوّل من يرجع إلى الدنيا بعد قيام القائم عليه السلام، كما أنّ الروايات ساكتة عن بيان وعد الآخرة من الناحية التأويلية، إلاّ القمي في تفسيره، فقد ذكر أنّ وعد الآخرة هو خروج القائم عليه السلام وأصحابه، وكأنّ تسلسل الأحداث الإسلامية يختلف عن تسلسل الأحداث في بني إسرائيل، فكيف لنا أن نجمع بين تفسيرها وتأويلها بهذا التباين في الترتيب؟

(١) التحريم: آية ١٢.

(٢) الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢، ص ٧٠١.

فقول في مقام الجواب: إن منشأ هذا التباين يعود إلى قرينة السياق الذي يجعل الأحداث مترتبة بهذا الترتيب، لكن السؤال هنا: هل السياق قرينة على المراد وله الأثر في فهم النص في التأويل كما هو الحال في التفسير؟ والجواب عن ذلك يأتي من خلال تعريف التأويل أو بيان إحدى خصائصه، حيث إن تأويل النص غير الدلالة الظاهرية له، وإلا لأصبح تفسيراً، وبما أن السياق يعتمد على ظواهر ألفاظ النص والتتابع بينها مع مراعاة الوحدة الموضوعية التي تكشفها تلك الظواهر، فهذا ما لا نلتزم به في التأويل لأنه يتعدى ظاهر النص.

وهذا لا يعني أن التأويل يقطع علاقته بالمعنى الظاهري مطلقاً، بل يبقى محافظاً على ارتباطه به، ولكنه لا يلتزم بلوازمه، كما لو قلنا: بأن ﴿الْكُرَّة﴾ في الآية محل البحث تعني الرجعة حسب المعنى الظاهري والباطني، ولكن لوازم معناها الظاهري وخصائصها تختلف عن لوازمها وخصائصها تأويلاً، فالكرة ظاهراً تتضمن معنى تغيير الحال أو العودة إلى الحالة السابقة من الناحية المادية والنفسية، وهذا ما حدث لبني إسرائيل، أمّا تأويلاً فهي تتضمن حياة جديدة ونشأة جديدة غيبية، وهذا ما يحدث للإمام الحسين عليه السلام وصحبه وغيرهم من المؤمنين، فهي كرة ورجعة للمؤمنين ليعيشوا طور الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد ورد أن من الذين يمن الله عليهم بالكرة سلمان المحمدي كما في الحديث النبوي: «يا سلمان، إنك مُدركه، ومن كان مثلك، ومن تولاه بحقيقة المعرفة. قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثم قلت: يا رسول الله، وإني مؤجل إلى عهده؟ قال: فقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا

مَفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ  
نَفِيرًا ﴿١﴾.

وربما لهذه العلة وغيرها كان التأويل من الخطورة بمكان في أن يسبر غواره  
ويقتحم خطبه من لا عهد له بالذوق العرفاني وتهذيب النفس؛ ولذا اعتمدت  
الإمامية على ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال.

## الخاتمة

نعرض فيها مجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

١- إن القرآن الكريم دلّ في جوهره وحقيقته التأويلية على مبدأ الإمامة التي  
انحصرت بالعترة من آل محمد عليهم السلام، وعبر عنهم بما يناسب ظهور مقامهم ومنزلتهم  
وبيان حقائقهم وأحقيتهم، مع احتفاظه بمبدأ أن الحكمة لا يستحقها إلا أهلها.  
وهذا المبدأ سار عليه أهل البيت عليهم السلام، فلم يُطلعوا أحداً على هذه الحقائق العليا إلا  
المستحقين من أتباعهم، وكان المنهج التأويلي أحد الطرق لتحقيق هذا الغرض.  
٢- إن القرآن الكريم وما تضمنه من حقائق تأويلية عن الإمام الحسين عليه السلام  
ومظلوميته، يكون قد حافظ على هذه المظلومية من الانداس والتغيب؛ لأن القرآن  
الكريم محفوظ في ضمير الأمة الإسلامية، وهو بذلك يحفظ لنا تلك الملحمة الحسينية  
الخالدة.

٣- إن تأويل بعض الآيات القرآنية بالإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته يوحى بأن  
هذه المظلومية وهذه القضية يجب أن تعيش في ضمير الأمة الإسلامية كما يعيش  
القرآن الكريم، فكما أن القرآن الكريم عامل مهم وأساسي في هداية الناس كذلك  
قضية الإمام الحسين عليه السلام.

٤- إن الاعتماد على (المنهج التأويلي) في بيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وبيان

(١) البحراني، هاشم، تفسير البرهان: ج ٤، ص ٢٥٣.

حقيقته ومقامه ومنزلته، يوحى للأمة بأن الأقدَر على فتح أبواب القرآن ومعارفه والنهل من حقائقه هم أهل البيت عليهم السلام الذين تفرَّعوا من نسل الحسين عليه السلام على وجه الخصوص.

٥- إنَّ القرآن الكريم قد أثار قضية الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته لتحريك مشاعر الأمة وعواطفها، واعتبر هذه القضية من أهمِّ قضايا الأمة التي تحرك الضمير، وتؤدِّي غرض الهداية والتمسك بالدين والتضحية من أجله ومن أجل مبادئه، فما تضمَّنته الآيات القرآنية من معانٍ دلَّت على الإمام الحسين عليه السلام يشير إلى أنَّها قضية قرآنية إلهية، وعلى الأمة أن تلتزم بمبادئها ومنهجها.

٦- من خلال تتبُّع روايات أهل البيت عليهم السلام في تأويل القرآن الكريم يظهر لنا جلياً تحقُّق قول النبي صلى الله عليه وآله في أنَّها لن يفترقا، فلا فراق بينهما من جهة أنَّهم عليهم السلام العالمون بتأويله والقادرون على سبر أغواره دون غيرهم، ومن جهة أنَّهم المقصودون في آيات كثيرة من القرآن الكريم وخاصة الآيات التي أوَّلَت بالإمام الحسين عليه السلام، وهذا جدير بحفظ العلاقة بينهم وبين القرآن الكريم.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ - اختيار معرفة الرجال، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الأسترآبادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤ هـ.

٢ - الإرشاد، محمد بن محمد العكبري المشهور بالمفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٣ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصحَّحة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٤ - البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٢٧ هـ.

٥ - بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠ هـ)، تقديم وتعليق وتصحيح: الحاج ميرزا محسن، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ هـ.

٦ - تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

٧ - تأويل الآيات (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة)، السيّد شرف الدين الحسيني استرآبادي (ت ٩٦٥ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الامام المهدي ﷺ، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٨ - تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ)، تحقيق وطبع ونشر: مؤسسة البعثة / قسم الدراسات الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٩ - تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢ هـ)، تحقيق: محمد كاظم، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

١٠ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

١١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠ هـ)، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٢ - شذرات من فلسفة تاريخ الحسين ﷺ، السيّد محمد الصدر (ت ١٤١٩ هـ)، حياة تراث السيّد الشهيد الصدر، النجف الأشرف، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

١٣ - عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (ت ٣٨١ هـ)،

تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت  
- لبنان، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

١٤ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري،  
دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٨٩ هـ.

١٥ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: عبد  
الحسين الأميني، دار المرتضوية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ.

١٦ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت -  
لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٧ - مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل  
مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

١٨ - المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: طارق  
ابن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة،  
١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

١٩ - معجم رجال الحديث، السيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، تحقيق: مجموعة من  
العلماء، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، النجف الأشرف.

٢٠ - مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي (ت ٦٠٤ هـ)، دار الفكر  
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

٢١ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي  
للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٢ - ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت ١٢٩٤ هـ)، تحقيق:  
سيّد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

## السلوكيات المستندة إلى القرآن الكريم سلوكيات مواجهة العدو في واقعة الطف أنموذجاً

الشيخ عبد الرزاق النداوي<sup>(١)</sup>

### مقدمة

مما لا ريب فيه أنّ كلّ ما يصدر من أهل البيت عليهم السلام من أقوال وأفعال وحركات وسكنات ينسجم مع القرآن الكريم، ويستند إليه، فقد نزههم الله تعالى من الرجس، وطهرهم تطهيراً، وجعلهم الرسول صلى الله عليه وآله عدل الكتاب، لا يفارقونه حتى يردوا عليه الحوض.. ولذا فإنّ من يطالع سيرتهم عليهم السلام لا يجد لهم خطلةً في فعل، ولا كذبةً في قول، بل ولا أدنى من ذلك، فهم عليهم السلام يحافظون على المستحبات فضلاً عن الواجبات، ويتركون المكروهات فضلاً عن المحرّمات.

وهذا ممّا لا ينبغي التشكيك فيه، فلو أنّ التاريخ قد سجّل عليهم بعض المخالفات للقرآن الكريم - والعياذ بالله - لنشرها خصومهم، ونوّه بها أعداؤهم.. وقد سمعنا في الأخبار أنّ عمرو بن العاص بحث في أحوال عليّ عليه السلام - وهو خصمه اللدود والمعاصر له - فلم يجد ما يذمّه به إلاّ قوله: فيه دُعاة، فلمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام ذلك قال: «عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دُعاة، وأني امرؤ تلعبه، أعافس وأمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. أما وشرّ القول الكذب، إنّه ليقول فيكذب، ويعدّد فيخلف، ويسأل فيلحف، ويسأل فيبخل، ويخون العهد، ويقطع الإل، فإذا كان عند

(١) باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

الحرب فأبي زاجر وأمر هو، ما لم تأخذ السيوف مأخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته. أما والله، إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، إنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتیه أتيه، ويرضخ له على ترك الدين رضىخة»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق عند مطالعتنا لسيرة سيّد الشهداء عليه السلام، نجد أنّ نهضته المباركة تضمّنت الكثير من السلوكيات القرآنية، ابتداء من اندلاع شرارة الثورة برفض البيعة للطاغية يزيد، وانتهاء بمصرعه الشريف على ثرى الطف.

وسنحاول في هذه المقالة رصد وتسجيل بعض تلك السلوكيات مع شيء من التحليل والتفصيل المؤيد بالمنقولات التاريخية، والمصدر بالآيات القرآنية.

### السلوك الأول: الكفر بحكومة الطاغوت

وتمثّل ذلك برفض بيعة يزيد، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

في هاتين الآيتين وموارد أخرى - ربما تأتي الإشارة إليها - يأمر الله تعالى صراحةً

(١) عبده، محمد، شرح خطب نهج البلاغة: ج ١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) البقرة: آية ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) النساء: آية ٦٠.

يرفض الطاغوت، وكلّ حكومة تتعد عن أحكام الله تعالى، وتبتدع شرائع تناقض القرآن، فهي لون من ألوان الطغيان، والعتو عن أمر الله تعالى، وقد ثبت بالدليل القاطع أنّ الطاغية يزيد غير خليق بأدنى مراتب الإيمان فضلاً عن أعلاها، وغير مؤهل لتسنّم منصب القيادة والزعامة في الأمّة، الذي ينبغي فيمن يتسنّمه أن يقود الأمّة نحو الهداية والرشاد، ويردّها إلى صراط الحقّ والسداد، وقد كان الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام، رافضاً لتولّي يزيد السلطة منذ أن بدأ معاوية بالدعوة لولايته، وقد واجهه عليه السلام بكلام جريء وبيان صريح لا يصدر إلّا من البطل المقدم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد ذكر ابن قتيبة أنّ معاوية اجتمع بالحسين عليه السلام وابن عباس في المدينة، فتكلّم في شأن يزيد وولايته، وكان ممّا قال: «... وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية من سدّ الخلل، ولمّ الصدع بولاية يزيد، بما أيقظ العين، وأحمد الفعل، هذا معناني في يزيد، وفيكما فضل القرابة، وحظوة العلم، وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنة، وقراءة القرآن، والحلم الذي يرجح بالصمّ الصلاب»<sup>(١)</sup>.

فأراد ابن عباس أن يُجيبه، فأوماً له الحسين عليه السلام بالترّيث، وانتفض للردّ على معاوية، فكان ممّا قال: «... وهيئات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتّى أفرطت، واستأثرت حتّى أجهفت، ومنعت حتّى محلت، وجزت حتّى جاوزت، ما بذلت لذي حقّ من اسم حقّه بنصيب، حتّى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ ذلك من نفسه على موقع رأيه،

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٦٠.

فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السابق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾...»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النص يجد القارئ الكريم أنه عليه السلام خير بأحوال يزيد قبل توليه السلطة، وفي أيام أبيه معاوية، كما أنه عليه السلام ضمّن كلامه مقطوعاً من قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى أن الإمام عليه السلام كان رافضاً لحكم معاوية فضلاً عن ابنه يزيد، ولكن الذي أوقفه عن مواجهته له والخروج عليه التزامه بصلح أخيه الحسن عليه السلام، وقد كان عليه السلام يصرّح بأن معاوية طاغية على رؤوس الأشهاد، فقد قام خطيباً ذات مرّة في منى بمحضر من الصحابة والتابعين، فقال: «أما بعد: فإنّ الطاغية [يعني: معاوية] قد صنع بنا وبشييعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من أمتّموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله ممّت نوره ولو كره الكافرون، فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلاّ قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمّه وأهل بيته إلاّ رواه، وكلّ ذلك يقول الصحابة: اللهمّ نعم، قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهمّ قد حدّثنا من نصّدقه ونأتمنه، حتى لم يترك شيئاً إلاّ قاله، ثمّ قال: أنشدكم بالله إلاّ رجعتم وحدّثتم به من تثقون به، ثمّ نزل وتفرّق الناس على ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ١٦٠-١٦١.

(٢) ص: آية ٣.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٩.

وعلى هذا النسق كان رفض الإمام عليه السلام لبيعة يزيد، عندما طلبها منه عامل بني أمية في المدينة الوليد بن عتبة عند وصول خبر هلاك معاوية، فإنّ في قبول البيعة خرق لصلح الحسن عليه السلام، الذي نصّ أحد بنوده على أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن عليه السلام، فإن حدث به حادث فلاخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد بالأمر لأحدٍ من بعده<sup>(١)</sup>.

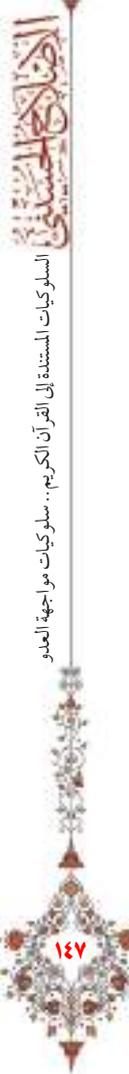
هذا أولاً، وثانياً - وهو الأهم - هو أنّ قبول الإمام ببيعة يزيد يعني إعطاء الشرعية في قيادة الأمة، وهو ما رفضه الإمام عليه السلام رفضاً قاطعاً وبقوّة، ولو كان ثمن ذلك دمه الطاهر، وبذلك سلخ الشرعية من حكومة ذلك الطاغوت، وقد جاء في جوابه عليه السلام للوالي: «أيتها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا نختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله...»<sup>(٢)</sup>. فكان عليه السلام يرى أنّ قيادة مثل يزيد لمسيرة الأمة يعني اندراس معالم الهدى، وضياع جهاد وجهود جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

وعندما لقيه مروان في صبيحة تلك الليلة التي رفض فيها البيعة، قال للحسين عليه السلام - وهو يزعم أنّه ناصح له - «يا أبا عبد الله، إنّ لك ناصح، فأطعني تُرشد، فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟ قلّ حتّى أسمع! فقال مروان: إنّني أمرك ببيعة يزيد بن معاوية؛ فإنّه خير لك في دينك ودنياك، فقال الحسين عليه السلام: إنّنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد»<sup>(٣)</sup>، وبقي عليه السلام رافضاً لتلك البيعة أمام حدّ السيوف حتّى آخر رمق في حياته.

(١) أنظر: آل ياسين، راضي، صلح الحسن عليه السلام: ص ٢٥٩.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٠٩.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٨.



## السلوك الثاني: الهجرة

كل قائد ومصلح يحمل رسالة ومنهجاً يرى فيه خيراً لبني البشر، فإنه يجب لرسالته أن تطبق على الأرض، فإن ضيق عليه الخناق في مكان تطلع إلى مكان آخر، ولهذا نجد جملة من الأنبياء هاجروا، فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء ولد في (ذي قار) من أرض العراق، وهاجر منها إلى (بابل)، وفيها كانت قصته مع النمرود الذي أمر بإحراقه، فأنجاه الله، وجعل النار برداً وسلاماً، ثم هاجر منها إلى (فلسطين)، فسميت باسمه (الخليل)، ومنها هاجر إلى (الحجاز)، وترك ذريته بوادٍ غير ذي زرع. وهكذا نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما ضيقت عليه قريش الخناق، واضطهدت أتباعه، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، ثم هاجر صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، فخرج من مكة وعيناه عليها، حتى جاء في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «وهاجر إلى بلاد الغربية، ومحلّ النأي عن موطن رحله، وموضع رحله، ومسقط رأسه، ومأنس نفسه، إرادةً منه لإعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكفر بك، حتى استتبّ له ما حاول في أعدائك، واستتم له ما دبر في أوليائك»<sup>(١)</sup>.

ولأنّ للإنسان مأنساً في الوطن يصعب فراقه والابتعاد عنه كتب الله للمهاجرين عظيم الأجر، فقد جاءت الآيات تترى في مدح المهاجرين في سبيل الله تعالى، منها: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وآيات أخرى<sup>(٣)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام: ص ٣٤.

(٢) الأنفال: آية ٧٤.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ \* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ \* خَلَدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ \* (التوبة: آية ٢٠-٢٢). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: آية ١٠٠). وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأُ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (الكهف: آية ١٦).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «مَنْ فَرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا»<sup>(١)</sup>.  
 واستناداً إلى هذا الخلق القرآني الذي جسده الأنبياء والصلحاء كان للحسين عليه السلام هجرتان:

### الهجرة الأولى

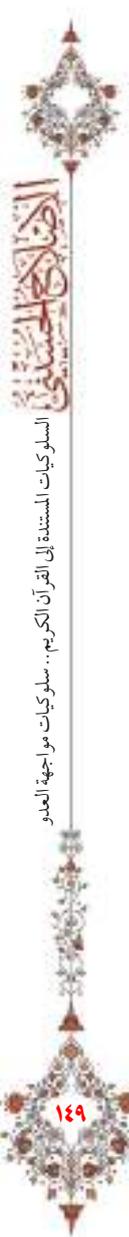
خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة مهاجراً، أمّا البيت الحرام؛ للدفع بالتي هي أحسن، وتجنب الاصطدام بالوالي في المدينة، وهو يرى في مكة الكهف الذي ينبغي أن يأوي إليه؛ لأنّها البلد الآمن، وملتقى المسلمين من كلّ حذب وصب، فلرسالته في مكة فضاء أرحب وانتشار أسرع.

### الهجرة الثانية

الخروج من مكة نحو العراق، وذلك لأسباب عدّة:  
 الأول: أنّه رأى أنّ بني أمية لن يتورّعوا عن قتله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وفي ذلك هتك لحرمتها، وهذا ما صرّح به عليه السلام لعبد الله بن الزبير حين طلب منه المكوث في مكة، فقال عليه السلام: «إنّ أبي حدّثني أنّ بمكة كبشاً به تُستحل حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش، ولئن أقتل خارجاً منها بشر أحبّ إليّ من أن أقتل فيها»<sup>(٢)</sup>.  
 الثاني: توالى عليه كُتب الكوفيين، تدعوه لنصرتهم، والانتصاف لهم من عدوّهم، فكان اللازم على الإمام الاستجابة لهذه الدعوة، ولم يكن بوسع عليه السلام التنصّل عن واجبه في القيام بحقّهم، والدفاع عنهم، ولو أنّه عليه السلام قعد عن ذلك للاحقه التاريخ بالثريب والتسقيط، وأنّ الأمة دعتة لقيادتها والأخذ بزمام سفينتها - وهي ترى أنّه أهل لذلك - فلم يجبهها، وتحاذل وتنصّل عن ذلك، والعياذ بالله!

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٣١.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٩١.



فخرج عليه السلام مع علمه بنتيجة هذه الحركة، معلناً أمّها مشروع شهادة في سبيل الله، فخطب ليلة التروية، وخرج في صبيحتها، وكان من خطبته: «خُطَّ الموت على ولد آدم مَخْطُ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف! وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كآتي وأوصالي يتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء، فيملاّن منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشدّ على رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطنّاً على لقاء الله نفسه، فليرحل، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله»<sup>(١)</sup>.

### السلوك الثالث: الدعاء

من السلوكيات التي واجه بها الإمام الحسين عليه السلام عدوّه هو الدعاء، وقد ورد في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «أنّه كان يقول لأصحابه: عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء»<sup>(٢)</sup>. وهو من الأمور التي حثّ عليها الله تعالى، وأمر بها في كتابه العزيز، فقد استعرضت الآيات المباركة الكثير من دعوات الأنبياء وآثارها في المجتمعات الظالمة والمنحرفة، منها: دعاء نوح على قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا \* إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْسُدُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا \* رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وتبيّن أهمية هذا السلاح من جملة الآيات الحاثّة عليه، وطبيعة الخطاب فيها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

(١) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مشير الأحرار: ص ٢٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٦٨.

(٣) نوح: آية ٢٦ - ٢٨.

فَلَيْسَتْ حِجْبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرشُدُونَ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقد كان للدعاء في واقعة الطف حضور لافت، يمكن رصده من خلال النقاط

الآتية:

### النقطة الأولى

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام افتتح نهضته المباركة في المدينة بالدعاء، فقد ذكر المؤرخون أنه عليه السلام بعد أن رفض بيعة الطاغية، أقبل في الليلة التالية نحو قبر رسول الله صلى الله عليه وآله زائراً، ودعا بهذا الدعاء: «اللهمَّ إنَّ هذا قبر نبيِّك محمد صلى الله عليه وآله وأنا ابن بنت نبيِّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهمَّ إنِّي أحبُّ المعروف، وأُنكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقِّ القبر ومَن فيه إلا اخترت لي ما هولك رضىً ولرسولك رضىً. وبكى» ﴿٣﴾.

### النقطة الثانية

لو رجعنا إلى يوم الواقعة لوجدنا أنَّ الحسين عليه السلام افتتح المعركة بهذا الدعاء: «اللهمَّ أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدة، وأنت لي في كلِّ أمرٍ نزل بي ثقةٌ وعدة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منِّي إليك عمَّن سواك، ففرّجته وكشفته، وأنت ولي كلِّ نعمة، وصاحب كلِّ حسنة، ومنتهى كلِّ رغبة» ﴿٤﴾.

(١) البقرة: آية ١٨٦.

(٢) النمل: آية ٦٢.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٤٢.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٦.

واختتم حياته الشريفة بدعاء من أعظم وأروع الأدعية التي تُقرأ عند نزول الكرب، فحينما كان أبو عبد الله عليه السلام صريعاً على وجه الصعيد، كان يقول عليه السلام: «اللهم متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابق النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، مُحيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومُدرك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذُكرت، أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي إليك مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافياً. احكم بيننا وبين قومنا بالحق، فإنهم غرّونا، وخذعونا، وغدروا بنا، وقتلونا، ونحن عترتنا نبيك، وولد حبيبك محمد بن عبد الله، الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً برحمتك يا أرحم الراحمين»<sup>(١)</sup>.

### النقطة الثالثة

دعوات الإمام الحسين عليه السلام أثناء المعركة، فقد كان عليه السلام يملأ أحداث المعركة بالدعوات في أكثر مفاصلها، ومنها على سبيل المثال:

١- دعاؤه عليه السلام عندما برز ولده علي الأكبر عليه السلام، فقد روى المؤرخون أنه نظر إليه نظرة آيسٍ منه وقال: «اللهم كن أنت الشهيد عليهم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه، اللهم امنعهم بركات الأرض، وفرّقمهم تفريقاً، ومزّقمهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداء، ولا تُرضِ الولاية عنهم أبداً؛ فإنهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا...»<sup>(٢)</sup>.

٢- دعاؤه عليه السلام عند مصرع ولده الرضيع، قال عليه السلام: «هون ما نزل بي أنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٤٨.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٦٩.

فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

٣- دعاؤه ﷺ عند مصرع عبد الله الأصغر بن الحسن السبط ﷺ، فقد روى المؤرّخون أنّه: «خرج - وهو غلام لم يراهق - من عند النساء يشتدّ حتّى وقف إلى جنب الحسين ﷺ... وأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين ﷺ بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا بن الخبيثة، أنقتل عمّي؟! فضربه أبجر بالسيف فاتقاها الغلام بيده فأطّتها إلى الجلدة، فإذا يده معلقة... فأخذة الحسين ﷺ فضمّه إليه... ثم رفع الحسين ﷺ يده، وقال: اللهم إن متّعتهم إلى حين ففرّقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قديداً، ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا فقتلونا»<sup>(٢)</sup>.

### النقطة الرابعة

ومن مظاهر عظمة هذا السلاح سرعة الإجابة، وهو ما زعزع أركان الأعداء، وحطّم معنوياتهم، وجعل بعضهم ينسحب من المعركة<sup>(٣)</sup>، وبعضهم ينقلب إلى معسكر الحسين ﷺ<sup>(٤)</sup>، وقد حصلت الاستجابة السريعة في ثلاثة موارد:

المورد الأوّل: قال المقرّم: «وأقبل القوم يزحفون نحوه، وكان فيهم عبد الله بن حوزة التميمي، فصاح: أفيكم حسين؟ وفي الثالثة قال أصحاب الحسين ﷺ: هذا

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين ﷺ: ص ٣٣٣.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١١ - ١١٢.

(٣) «قال مسروق بن وائل الحضرمي: كنت في أول الخيل التي تقدّمت لحرب الحسين؛ لعلّي أن أصيب رأسه، فأحطى به عند ابن زياد، فلما رأيت ما صنع بابن حوزة عرفت أنّ لأهل هذا البيت حرمة ومنزلة عند الله تعالى، وتركت الناس، وقلت: لا أقاتلهم فأكون في النار». أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين ﷺ: ص ٢٧٨.

(٤) كما فعل الحرّ بن يزيد الرياحي، وآخرون.. وقد ذكر بعض الباحثين أنّ المتحوّلين من معسكر ابن سعد إلى معسكر الحسين ﷺ نيف وثلاثون رجلاً. أنظر: المالكي، فاضل، يوم الحسين ﷺ: هامش ص ٥٣.

الحسين فما تريد منه؟ قال: يا حسين، أبشر بالنار. قال الحسين: كذبت، بل أقدم على ربِّ غفورٍ كريمٍ مُطاعٍ شفيح، فمن أنت؟ قال: أنا ابن حوزة. فرفع الحسين يديه حتى بان بياض إبطيه، وقال: اللهم حزه إلى النار. فغضب ابن حوزة، وأقحم الفرس إليه - وكان بينهما نهر - فسقط عنها، وعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس، وانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب، وأخذت الفرس تضرب به كلَّ حجرٍ وشجرٍ، وألقت في النار المشتعلة في الخندق، فاحترق بها ومات، فخر الحسين ساجداً شاكراً حامداً على إجابة دعائه...»<sup>(١)</sup>.

المورد الثاني: رفع الحسين عليه السلام صوته داعياً بقوله: «اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا، إنك سميع قريب. فقال له محمد بن الأشعث: أي قرابة بينك وبين محمد؟ فقال الحسين عليه السلام: اللهم إن محمد بن الأشعث يقول ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً. فاستجاب الله دعاءه، فخرج محمد بن الأشعث من العسكر، ونزل عن فرسه لحاجته، وإذا بعقرب أسود يضربه ضربة تركته متلوثاً في ثيابه ممّأ به، ومات بادي العورة»<sup>(٢)</sup>.

المورد الثالث: بعد أن بقي الحسين عليه السلام وحيداً فريداً، كان عليه السلام يقاتل و«يكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وطلب في هذه الحال ماءً، فقال الشمر: لا تذوقه حتى ترد النار. وناداه رجل: يا حسين، ألا ترى الفرات كأنه بطون الحيات؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشاً. فقال الحسين: اللهم أمته عطشاً. فكان ذلك الرجل يطلب الماء فيؤتى به فيشرب حتى يخرج من فيه، وما زال كذلك إلى أن مات عطشاً»<sup>(٣)</sup>.

أقول: ولا عجب في سرعة استجابة دعوات الإمام المظلوم عليه السلام بعدما نسمع في الحديث «عن علي بن أبي طالب... عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصيته له: يا علي، أربعة لا

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٣٩.

تُرَدُّ لهم دعوة: إمام عادل، ووالد لولده، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم، يقول الله (جلّ جلاله): وعزّتي وجلالي لأنتصرنّ لك، ولو بعد حين»<sup>(١)</sup>.

### السلوك الرابع: الاحتجاج بالحق والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن

حثّ القرآن الكريم على الدعوة إلى الله بطرق عدّة، منها المحاجّة، والمجادلة، وتمييز الموقف الحق من الباطل، وبيان العقائد الحقّة من خلال عرض الأدلّة والبراهين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى فيما اقتص من خبر إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ودعوات الأنبياء عليهم السلام كلّها قائمة على أساس بيان التوحيد، وما يرتبط بهذه العقيدة الحقّة من ملازمات، كالبعث، والنشور، والحساب، والعقاب، والثواب، وغيرها.

وجرياً على هذا الخلق القرآني حاول الإمام الحسين عليه السلام أن ينصح القوم ويعظهم، ويُخدّرهم غضب الجبار، لعلّهم يرتدعون، وذلك من خلال الخطب والبيانات،

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ١٩٧.

(٢) النحل: آية ١٢٥.

(٣) العنكبوت: آية ٤٦.

(٤) البقرة: آية ٢٥٨.

ابتداءً من لقائه بالحرّ بالقرب من ذي حُسم<sup>(١)</sup> إلى أن وقعت الواقعة، وقد أكثر من الوعظ والإرشاد والتحذير لهم صبيحة اليوم العاشر، وكانت له أكثر من خطبة، احتجّ بها على القوم، حتى جعلهم حيارى لا يدرون ما يقولون، وكما قال الشاعر:

خلط البراعة بالشجاعة      فالصليل عن الدليل  
للسانهِ وسنانهِ      صدقان من طعن وقيل<sup>(٢)</sup>

ومن أمثلة البيانات الحسينية، ما يلي:

### أولاً: محاجة الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد

«وأرسل الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد مع عمر بن قرظة الأنصاري: إني أريد أن أكلمك، فالقني الليلة بين عسكري وعسكريك. فخرج إليه ابن سعد في عشرين، وخرج الحسين عليه السلام في مثلها، فأمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا، وبقِيَ معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحوا، وبقِيَ معه ابنه حفص، وغلام له، فقال له الحسين عليه السلام: ويلك يا بن سعد، أما تتقي الله الذي إليه معادك، أتقاتلني وأنا ابن مَنْ علمت؟! ذر هؤلاء القوم وكنْ معي، فإنه أقرب لك إلى الله. فقال ابن سعد: أخاف أن تُهدم داري. فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيتها لك. فقال: أخاف أن تُؤخذ ضيعتي. فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز. فقال: لي عيال وأخاف عليهم. ثم سكت ولم يجبه إلى شيء، فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: ما لك؟! ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بُرّ العراق إلا يسيراً. فقال: في الشعر كفاية عن البرّ. مستهزئاً بذلك القول»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذو حُسم (بضم الحاء المهملة) جبل في أطراف القادسية، كان النعمان بن المنذر يصطاد فيه. أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٦، ص ١٥١. السماوي، محمد، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ٤٤.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٦.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٣.

ويُتضح من هذه المحاوره أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يدعُ عُذراً لهذا الطاغية، وأنّ ما قدّمه من أذكارٍ إنّما هي أكاذيب ومماطلة وهروب من الحقّ، وركون إلى جبهة الباطل، وأنّ الهدف الحقيقي الذي دفعه لارتكاب جريمته هو ملك الري، الذي وعده به ابن مرجانة، وأبياته التي أنشأها وحفظها التاريخ دليل صارخ على كذبه، فكان يقول:

أترك ملك الريّ والريّ رغبة      أم أرجع مذموماً بقتل حسين  
وفي قتله النار التي ليس دونها      حجاب وملك الريّ قرّة عين<sup>(١)</sup>

وكانت عاقبة أمره أن خسِر ولاية الري، وفي ثورة المختار أرسل إليه من يذبحه على فراشه، وباء بغضب الله، ولعنة التاريخ والأجيال.

### ثانياً: الخطبة الأولى قبل بدء المعركة

«دعا الحسين براحلته، فركبها ونادى بأعلى صوته، فقال: أيّها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظّمكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتّى أعذر إليكم، فإن أعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثمّ اقضوا إليّ ولا تُنظرون، إنّ وليي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين... ثمّ قال: أمّا بعدُ، فانسبوني فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوا، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألسنتُ ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه؟! أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟! أو ليس جعفر الطيار في الجنّة بجناحين عمّي؟! أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فإن صدقتُموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً منذُ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتُموني

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٣.

فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يُخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!... ثم قال لهم الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا، أفتشكون آبي ابن بنت نبيكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟! فأخذوا لا يكلمونه، فنأدى: يا شبت بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد ابن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضرّ الجناح، وإنما تقدم على جندك مجند؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب. فقال له الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد. ثم نادى: يا عباد الله، إني عُدت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ثم إنه أناخ راحلته، وأمر عقبه بن سمعان فعقلها<sup>(١)</sup>. وبتحليل هذا البيان يمكن أن نلاحظ أنه عليه السلام ضمّن خطبته هذه أربع آيات، في بدايتها اثنتان، وفي نهايتها اثنتان، وهذا دأبه عليه السلام؛ إذ إنه عليه السلام يضمّن خطبه آيات من الكتاب العزيز.

ففي بداية الخطبة نرى أن قوله عليه السلام: «فأجمعوا رأيكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقصوا إلي ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»، تضمّن جزءاً من آية في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْنَا نَبَأَ نُوْحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِيَّائِي فَعَلَى اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٣.

يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿١﴾، وآية كاملة، وهي قوله تعالى:  
﴿إِنَّ وَلِيََّ لَعَلِّي اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

وكذلك في نهاية الخطبة، فقد أشار عليه السلام - ضمناً - في قوله: «إني عذت بربي وربكم  
أن ترجمون، أعود بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»، إلى قوله تعالى:  
﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي  
وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٤).

وواضح من هذه النصوص الشريفة أنّها من كلمات الأنبياء عليهم السلام في مواجهة  
مجتمعاتهم المنحرفة، وإنّما ضمّنها في تلك الخطبة وقبل أن يحمي الوطيس؛ لأنّ حاله  
كحال أولئك الأنبياء عليهم السلام، وحال أعدائه كحال تلك المجتمعات المنحرفة المواجهة  
لأنبيائها، ورسالات ربّها.

ثمّ إنّه عليه السلام فسح المجال لبعض أصحابه أن يكلموا القوم، فكلمهم زهير، وتبعه  
برير، ثمّ عاد عليه السلام وخطب فيهم خطبة ثانية.

### ثالثاً: الخطبة الثانية قبل بدء المعركة

ثمّ عاد الحسين عليه السلام يكلم القوم بعد خطبتي زهير وبرير، ولكن هذه المرّة  
على فرسه، وقد أخذ مصحفاً ونشره على رأسه، قابضاً على سيف النبي صلى الله عليه وآله، معتماً  
بعمامته، لابساً لامته، «ثمّ استشهدهم عن نفسه المقدّسة، وما عليه من سيف النبي صلى الله عليه وآله،  
ولامته، وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عمّا أقدمهم على قتله، قالوا: طاعة للأمير  
عبيد الله بن زياد. فقال عليه السلام: تبا لكم أيّها الجماعة وترحاً، أحيان استصرختمونا والهين،  
فأصرخناكم موجفين، سلّتم علينا سيفاً لنا في أيّانكم، وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها

(١) يونس: آية ٧١.

(٢) الأعراف: آية ١٩٦.

(٣) الدخان: آية ٢٠.

(٤) غافر: آية ٢٧.

على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاً لكم الوليات، تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبأ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم! أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟! أجل والله غدرٌ فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أحبث ثمرة، شجى للناظر، وأكلة للغاصب، ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نوثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وخذلان الناصر، ثم أنشد أبيات فروة بن مُسيك المرادي:

فإن هزمَ فهزامونَ قُدمًا	وإن هزمَ فغير مهزّمينَا
وما إن طَبْنَا جبْنٌ ولكن	منايانَا ودولة آخريْنَا
فقلّ للشامتينَ بنا أفيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا
إذا ما الموتُ رفع عن أناسٍ	بكلكله أنَاخَ بآخريْنَا

أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يُركب الفرس، حتّى تدور بكم دور الرحي، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي رسول الله، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه الخطبة من جلائل خطبه عليه السلام، ومن أعمقها معنى، ولعلّ المقام يطول ببيان مضامينها، ولكن نختصرها في عدّة نقاط:

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٨١.

النقطة الأولى: أَنَّهُ ﷺ عاد هذه المرّة ركباً فرسه، ممتشقاً سيفه، بعد أن يأس من تراجع القوم عن غيهم، تعبيراً عن أَنَّهُ مستعد للنزال بقدم ثابتة فيما إذا أراد القوم ذلك.

النقطة الثانية: دلالة نشره القرآن على رأسه هي أن موقفه ينطلق من القرآن وإلى القرآن، كيف لا وهو واحد من العترة الطاهرة، وهم الثقل الآخر الذي قرنه النبي ﷺ بالقرآن، وأمر بالتمسك بهما، وصرح بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

النقطة الثالثة: أما دلالة بروزه بسيف النبي ﷺ وعمامته ولامته، فهي تعبير عن حديثه ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>، وأن من يواجه دم رسول الله ﷺ ولحمه وسيفه وعمامته ولامته، فإنها يواجه الإسلام وهو على حدّ الكفر.

النقطة الرابعة: ومن تمثله بأبيات المرادي نفهم أَنَّهُ ﷺ قد عزم على الموت الذي لا بدّ منه، لا سيّما أَنَّهُ ﷺ قال قبل ذلك كلمته العظيمة التي أصبحت شعاراً يحمله الأحرار والثوار، وينادون به كلّما كانت هناك منازلة بين الحقّ والباطل، وهي: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة».

النقطة الخامسة: أَنَّهُ ﷺ ذيل خطبته بآيتين، الأولى: فيها كلمة نبي الله نوح لقومه، والثانية: فيها كلمة نبي الله هود لقومه، وفيها ما لا يخفى من مطابقة المقال لمقتضى الحال.

ونترك بقية معاني الخطبة لتأمل القارئ الكريم؛ لأنّها من العمق ما لا يسعها المقال بالشرح والتفصيل، وفيها ما لا يخفى من اللوم والتوبيخ للقوم، وموقفهم البائس.

### السلوك الخامس: الجهاد

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٦١.

الْحُسْنِ<sup>٤</sup> وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً<sup>٥</sup> وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(١)</sup>.

الجهاد في القرآن الكريم من السلوكيات المشروعة ضمن حدود وأهداف مقدّسة قد لا تتجاوز الثلاثة، وهي:

الهدف الأول: الدفاع عن النفس، قال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ<sup>٤</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ<sup>(٢)</sup>﴾.

الهدف الثاني: الدفاع عن المظلومين والمستضعفين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا<sup>(٣)</sup>﴾.

الهدف الثالث: إزالة الموانع التي تقف في طريق هداية الناس من الجبابة والطواغيت وأئمة الكفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا<sup>(٤)</sup>﴾.  
وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَنُكُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ<sup>(٥)</sup>﴾.

وهذه الأهداف العالية كلها تنطبق على حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، أمّا الهدف الثالث فقد كان عليه السلام في مواجهة طواغيت بني أمية من خلفاء وولاة جزّارين حاولوا ويحاولون أن يُعيدوا الأمة إلى جاهليتها، وطمس معالم دينها.

(١) النساء: آية ٩٥ - ٩٦.

(٢) البقرة: آية ١٩٤.

(٣) النساء: آية ٧٥.

(٤) النساء: آية ٧٦.

(٥) التوبة: آية ١٢.

وأما الهدف الثاني (الدفاع عن المظلومين والمستضعفين)، فهو نتيجة طبيعية لطغيان بني أمية الذين اتخذوا مال الله دُولاً وعباده خولاً، وما كان للإمام الحسين عليه السلام أن يخرج إلى الكوفة، لولا أنهم استنصروه واستصرخوه، إلا أنهم تخاذلوا وتراجعوا أمام سلطة النار والحديد، والقتل والسجون والتهجير، والأخذ على الظنّة والتهمة. وأما الهدف الأول (الدفاع عن النفس)، فقد تجسّد في الواقعة بأجلى صورته؛ إذ إنّه عليه السلام حاول جهد الإمكان أن يتجنّب الاصطدام، وأن يدفع بالتّي هي أحسن، إلا أنّ الأعداء أجبروه على المواجهة، لكنّه مع ذلك - وحتى ساعة الصفر من صباح اليوم العاشر - رفض أن يبدأ القوم بالقتال، وقال في جواب مسلم بن عوسجة حين أراد أن يرمي شمر بن ذي الجوشن بسهم: «(لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم)»<sup>(١)</sup>.

وأحسب أن مساعي الحسين عليه السلام لدفع الحرب نابعة من كونها حرباً داخلية، أي: في داخل دائرة الإسلام، والضحايا فيها من الطرفين من المسلمين، فوقوعها إضعاف لجهة المسلمين الهشّة، والمهدّدة من قبل الأعداء الخارجيين من يهود وروم؛ ولهذا كان زهير بن القين رضي الله عنه في موعظته للقوم يقول: «نحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف»<sup>(٢)</sup>، فأثنى عليه الحسين عليه السلام ثناءً جميلاً، ثمّ يدلّ على أنّه عليه السلام أقرّه على ما قال<sup>(٣)</sup>.

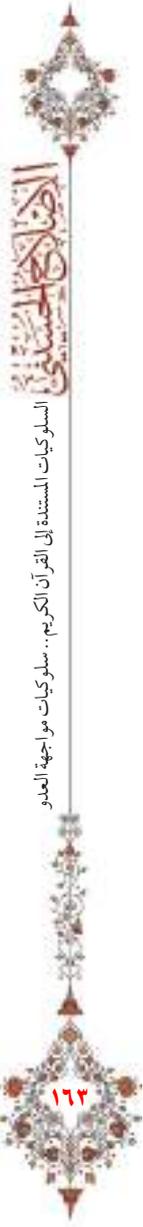
وبعد بيانات ومحاجّات تقدّمت الإشارة إليها، لم يكن أمام الحسين عليه السلام إلا خيار القتال؛ دفاعاً عن نفسه وحرّيمه، وذلك بعدما تقدّم اللعين عمر بن سعد وأخذ قوساً ونبلاً ورمى به معسكر الحسين عليه السلام، وهو يقول: «اشهدوا لي عند الأمير أنّي أول من رمى. فقال عليه السلام: قوموا إلى الموت الذي لا بدّ منه فنهضوا جميعاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٦.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٤.

(٣) أنظر: المصدر السابق.

(٤) الحلّي، ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ٤١.



## السلوك السادس: التضحية

حينما يدخل المجاهد ساحة المعركة، فإنَّ أمامه احتمالات عديدة: فقد يُقتل، وقد يفقد أحد أعضائه، وقد يُجرح، وقد يُؤسر... فالتضحية من نتائج الجهاد، وهي من السلوكيات التي حثَّ عليها الكتاب العزيز عندما لا يكون هناك طريق آخر لحفظ الأنفس، والنواميس، والمقدّسات، وإنَّ أعلى درجات التضحية هي الشهادة في سبيل الله، بل هي أعلى درجات البرِّ، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «فوق كلِّ برٍّ برٌّ، حتَّى يُقتل الرجل في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ...»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا النسق جاءت الآيات القرآنية تترى في مدح المضحيين في سبيل الله تعالى، ومنها: قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِآثَارِهِمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَذِيرٌ لِّبَيْنِ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ أٰمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٩.

(٢) الأحزاب: آية ٢٣.

(٣) التوبة: آية ١١١.

(٤) البقرة: آية ٢٠٧.

(٥) آل عمران: آية ١٤٠.

(٦) النساء: آية ٧٤.

والمسألة لا تتوقف عند حدود التضحية بالنفس، وإن كانت هي أعز ما يملك المرء، فقد يضحي الإنسان بالمال، أو الولد، أو الإخوة، أو الصحب، أو الأهل، ومن عجائب نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وفرائدها ضحى بكل هذه الجهات، فلم يدخر شيئاً إلا وضحى به وقدمه في سبيل الله تعالى، هذا مع التسليم والرضا، فهناك فرق بين أن يضحي الإنسان بشيء عزيز عليه وهو صابر، وبين من يقدم وهو مسلم راضٍ، بل وهو شاكر يرى أن ما أصابه في سبيل الله نعمة اختصه الله بها تستحق الشكر، وليس مصيبة تقابل بالصبر... وهذا هو أعلى درجات العرفان والتسليم والأدب أمام الله تعالى.

وفي هذا المعنى ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... فقلت: يا رسول الله، أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك. فقال لي: إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذا؟! فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشري والشكر»<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان الحسين عليه السلام يقدم الأضاحي تلو الأضاحي مع الرضا والتسليم والشكر، فنسمعه يقول في أكثر من موقف: «هَوْنٌ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

### السلوك السابع: الإعلام وكشف الحقائق ما بعد الشهادة

ومن الأخلاق والسلوكيات القرآنية التي نتعلمها من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، هي أن المصلح المخلص لرسالته التي يحملها لا يريد لها أن تموت بموته، بل يريد أن تبقى حاضرة حية في عقبه وذريته وأُمَّته؛ ليواجهوا بها الإلحاد والشرك والانحراف؛ وهو ما جسده الخليل عليه السلام في دعائه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً

(١) عبده، محمد، شرح خطب نهج البلاغة: ج ٢ ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٩.

لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾، وقال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٣﴾.

ومن هذا المنطلق فإن من الأمور التي خطط لها الإمام الحسين عليه السلام، أنه أراد لوهج هذه الثورة والنهضة أن لا ينطفئ، فكان لا بد من مواصلة الجهاد، واستثمار دمه الطاهر في هدم حكم آل أبي سفيان، وإحياء الإسلام، وهذا أحد أسباب حمله لعياله، فقد أراد عليه السلام لهم أن يمارسوا دورهم في الدعاية والتبليغ؛ لكشف الزيف الأموي وإعلامه المضلل لأبناء الأمة، فهو عليه السلام كان يُدرك أن القمع والإرهاب الذي مارستها السلطة الأموية لم يدع مجالاً حتى للكلمة أن تنطلق، فقد قُطعت الأعناق المعارضة، وغلَّت الأيدي المناهضة، وكُفِّمت الأفواه الحرّة، وقد رأينا يزيد يهتف بإنكار الوحي، متمثلاً بأبيات ابن الزبيري:

لعبت هاشمٌ بالملكِ فلا      خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل<sup>(٤)</sup>

والمسلمون بمسمع وبمنظر، فقد كان المسجد غاصباً بالناس، ولم يجروا أحدٌ على الردّ عليه، فكان من الضروري أن يُخطط الحسين عليه السلام لوجود مجموعة من الأفواه الشجاعة الحرّة الناطقة؛ لتمارس الدعاية والإعلام ضدّ هذا الاستبداد والظلم الأموي، وضدّ الإعلام المضلل، وتقوم بالتعريف بأهداف نهضته النبيلة<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة: آية ١٢٧ - ١٢٩.

(٢) البقرة: آية ١٢٤.

(٣) إبراهيم: آية ٤٠.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٥.

(٥) أنظر: النداوي، عبد الرزاق، مصرع عبد الله الرضيع.. رؤية تحليلية، مجلة الإصلاح الحسيني،

العدد ١٨٨، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م: ص ٢٤٤.

وقد أدى آل الحسين عليه السلام هذا الدور كما ينبغي، فكان لخطب الإمام زين العابدين عليه السلام، والعقيلة، وأمّ كلثوم، وسكينة، وفاطمة الصغرى، في الكوفة والشام بالغ الصدى والأثر في قلب الموازين، ممّا جعل الطغاة يرتعبون، وهم في عقر دارهم، وبين حواشيهم وجيوشهم وشرطتهم، كما بقيت لتلك الخطب والمقالات رنة في مسمع التاريخ والأجيال، تُعلن مظلومية الحسين عليه السلام وانتصار دمه الطاهر على شفير سيف الجلاد، ممّا يعني انتصار القيم التي حملها ودافع عنها سيّد الشهداء عليه السلام، كما صرّح بذلك الإمام زين العابدين عليه السلام - بعد رجوعهم من السبي - حين سأله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله بقوله: «يا علي ابن الحسين، من غلب؟ وهو مغطى رأسه، وهو في المحمل... فقال له علي بن الحسين عليه السلام: [إذ أردت أن تعلم من غلب، ودخل وقت الصلاة، فأذن ثمّ أقم]»<sup>(١)</sup>.

فبنو أمية أرادوا لهذا الدين أن يندرس، وأراد له أبو عبد الله عليه السلام أن يحيى، فكانوا هم المهزومين، وكان هو الفاتح العظيم على حدّ تعبيره عليه السلام: «من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يُدرِك الفتح»<sup>(٢)</sup>.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ - إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبرسي، مركز الدراسات الإسلامية لممثلة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م.
- ٢ - الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيّد محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٦٧٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٧.

٣ - الإرشاد، محمد بن محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٤ - أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٥ - الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (مؤسسة البعثة)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٦ - الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع.

٧ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٨ - تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٩ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

١٠ - حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

١١ - الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣ هـ / ١٣٦٢ ش.

١٢ - شرح خطب نهج البلاغة، محمد عبده، دار الذخائر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٣٧٠ ش.

١٣ - الصحيفة السجادية الكاملة، أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، دفتر نشر الهادي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٤ - صلح الحسن عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٥ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.

١٦ - الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

١٧ - اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن طاووس، أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨ - لواعج الأشجان، السيّد محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - إيران، ١٣٣١هـ.

١٩ - مشير الأحزان، محمد بن جعفر المعروف بابن نما الحلبي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٢٠ - مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزاق المقرّم، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢١ - يوم الحسين عليه السلام، الشيخ فاضل المالكي، مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية، ١٣٩٢هـ.

## المجلات

٢٢ - الإصلاح الحسيني، مجلّة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية، تُعنى بالدراسات الدينية، السنة الخامسة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، العدد الثامن عشر.



# أثر الإمام الحسين عليه السلام في تفسير القرآن

## عرض وتحليل

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي\*

### المقدمة

يُمثّل هذا المقال محاولة لترسيخ البحث في أحد أدوار التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال التركيز على أثر الإمام الحسين عليه السلام في هذا الحقل الديني المعرفي، ذلك الأثر الذي تجلّى في الروايات التفسيرية الواردة عنه عليه السلام في هذا المجال، فيبدأ المقال بالتأكيد على أهميّة دراسة الروايات التفسيرية وبيان الأثر الذي يتركه اهتمام كهذا، ثمّ يبيّن الأساس المتّبع في التعامل مع الروايات التفسيرية، وينتهي إلى بيان دور سيّد الشهداء عليه السلام في تفسير كتاب الله العزيز بوصفه جزءاً من حلقة أدوار التفسير عند أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال القيام بعرضٍ وتحليلٍ لمجموعة من الروايات الواردة عنه عليه السلام في مجال تفسير القرآن الكريم.

### ما هو سبب اهتمامنا بالتفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

شهدت عملية تفسير النصّ القرآني المقدّس تطوّرات عديدة ساهمت في رسم صورة معاصرة خاصّة نعيشها أو نارسها في بعض الأحيان، وقد ساهم في تكوين هذه الصورة بعض التوجّهات الفكرية والسياسية التي تسلّطت على رقاب المسلمين في الحقب التاريخية؛ وبسبب ذلك فقد أصبحنا أمام واقع في تاريخ التفسير لا يضع للروايات التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام حساباً في معادلاته، فلم تلق مسألة التفسير في

---

\* دكتوراه في الاستشراق والدراسات القرآنية، من العراق.

ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام العناية اللائقة بها؛ مع أننا نعتقد بأن الاهتمام بالتفسير في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام يلعب دوراً مهماً، وذلك نظراً لما يلي:

### ١- معرفة أدوار الأئمة عليهم السلام في حركة التفسير

على الرغم من اهتمام علمائنا وباحثينا بالدراسات القرآنية، لكن مسألة تاريخ التفسير وتطوره في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام بقيت شاغرة، بمعنى أنه لم يلاحظ أهل البيت عليهم السلام بصفتهم محور تطور حركة التفسير، وإنما تم التعامل مع هذا الحقل المعرفي على أساس التقسيم الشائع، وهو التفسير في عصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، والتفسير في عصر الصحابة، والتفسير في عصر التابعين، في حين يمكننا أن نغير بوصلة البحث من الأساس، ونتعامل مع حركة التفسير في ضوء سيرة الأئمة عليهم السلام وأدوارهم، فنقسم أدوار التفسير حسب عصر كل إمام أو أكثر تبعاً للظروف التي عاشوها والروايات التي صدرت منهم في هذا المجال. وهذا لا يعني تبعضاً في التعامل مع روايات المعصومين عليهم السلام، ولا يחדش هذا النوع من التقسيم بأصل حجية قولهم عليهم السلام، وإنما يعود السبب في هذه التعددية إلى أن هناك تطورات شهدتها الفترات التي عاش فيها الأئمة، وكانت تقتضي بطبيعة الحال تعاملات خاصة وتفسيرات متناسبة معها، أو استراتيجية جديدة على أقل تقدير.

ويمكن أن تقسم أدوار التفسير في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في عصر المعصوم كالاتي:

أ- التفسير في عصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

ب- التفسير في عصر الإمام عليّ والإمامين الحسين عليهم السلام.

ج- التفسير في عصر الإمام السجاد عليه السلام.

د- التفسير في عصر الإمامين الصادق عليهم السلام.

هـ- التفسير من عصر الإمام الكاظم عليه السلام وحتى نهاية الغيبة الصغرى للإمام

الثاني عشر عليه السلام.

فتكون المراحل التي مرّ بها التفسير في عصر حضور المعصوم خمس مراحل، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار ظروف كلّ مرحلة ونمط الروايات التفسيرية في التقسيم. ولا نقصد بهذا التقسيم الفصل الرياضي التام بين المراحل، بل هي أدوار تقريبية.

## ٢. معرفة منهج أهل البيت عليهم السلام في فهم القرآن

من خلال التركيز في روايات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية نستطيع التعرّف على آفاق جديدة في فهم آيات القرآن الكريم وسبر أغواره، فالروايات التفسيرية الواردة عنهم عليهم السلام ذات جانبين: جانب تعليمي، وجانب تلقيني؛ إذ يساعدنا الجانب الأوّل في اكتشاف أدوات ومعرفة طرقٍ تساعدنا على فهمٍ أعمقٍ وأشمل للنصّ القرآني المقدّس، ويساعدنا الجانب الثاني في أخذ أجوبة جاهزة عن بعض الأسئلة ذات الارتباط بمعاني الآيات القرآنية ومدلولاتها.

وربما تعامل واقعنا العلمي في الدراسات القرآنية - في كثير من الأحيان - مع الروايات التفسيرية على النحو الثاني؛ الأمر الذي أفقدنا التركيز على اكتشاف مناهج وآليات تعاملٍ ناجعة مع كتاب الله العزيز؛ وهنا نستثني ثلاث محاولات في عالمنا الشيعي اتخذت من الجانب الأوّل محوراً في عملها:

### المحاولة الأولى: محاولة العلامة محمد حسين الطباطبائي رحمته الله

سار العلامة الطباطبائي رحمته الله في تفسيره الموسوم بـ(الميزان في تفسير القرآن) على وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن ذاته، أي: استنطاق هذا الكتاب العظيم ليُفسّر نفسه. وهذا المنهج قد استخلصه رحمته الله من الروايات الشريفة، فقد قال في هذا المجال: «أن نفس القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبرّ المدوّب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرّفها بالخواصّ التي تُعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>... ثم إنّ النبي صلّى الله عليه وآله الذي علّمه

(١) النحل: آية ٨٩.

[أي: الله تعالى] القرآن وجعله معلماً لكتابه، كما يقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ ...﴾<sup>(١)</sup>، ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>... وعترته وأهل بيته الذين أقامهم النبي ﷺ هذا المقام في الحديث المتفق عليه بين الفريقين: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأمتها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... كانت طريقتهم في التعليم والتفسير هذه الطريقة بعينها على ما وصل إلينا من أخبارهم في التفسير<sup>(٣)</sup>.

### المحاولة الثانية: محاولة الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ

من أهم مرتكزات التفسير الموضوعي بالطريقة التي دشنها الشهيد الصدر ﷺ، هي مسألة استنطاق النص القرآني من خلال عرض أسئلة الإنسان المعاصر عليه، ومحاولة أخذ الأجوبة القرآنية وفق طريقة يُفصلها لا مجال لذكرها، وفي مقام الاستناد يعرض الشهيد الصدر ﷺ النص الروائي الذي استوحى منه تلك النكتة فيقول: «ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائماً بتيار التجربة البشرية؛ لأنها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة؛ ومن هنا أيضاً كانت عملية التفسير الموضوعي عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست مجرد استجابة سلبية، بل استجابة فعّالة وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى. قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن الكريم: ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم.

التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام ابن القرآن عليه السلام أروع تعبير عن عملية التفسير

(١) الشعراء: آية ١٩٣-١٩٤.

(٢) النحل: آية ٤٤.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١١-١٢.

الموضوعي بوصفها حواراً مع القرآن الكريم، وطرحاً للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها»<sup>(١)</sup>.

### المحاولة الثالثة: محاولة الشيخ محمد هادي معرفة ﷺ

ذهب الشيخ معرفة ﷺ إلى تفسير خاصّ لمعنى بطون القرآن، وبين نظريته في هذا المجال مستنداً إلى بيان النبي ﷺ وما جاء عنه من روايات في هذا المجال، وهنا ننقل نصّ كلامه ﷺ: «والمصطلح الآخر للتأويل هو تبين المفهوم العامّ الخابئ وراء ستار اللفظ الذي يبدو خاصاً حسب التنزيل، فإنّ غالبية الآيات النازلة حسب المناسبات تبدو خاصة بها لا تعدّها ظاهرياً، فهذا يجعل من رسالة القرآن عقيمة مدى الأيام، غير أنّ النبي ﷺ أكد على ضرورة استخلاص الآية من ملابسها، ولتكون ذات مفهوم عامّ وشامل لجميع الأقوام والأعصار»<sup>(٢)</sup>. ثمّ يستمرّ الشيخ بذكر الروايات التي يستفاد منها هذا المعنى.

ومن هنا؛ فإنّه مع ملاحظة المحاولات الثلاث المتقدّمة نفهم أنّ التدقيق في الروايات التفسيرية بحثاً عن مناهج وآليات لفهم القرآن تنفعنا كثيراً في هذا المجال، بل يُعدّ ذلك أمراً ضرورياً لا يمكن التخلّي عنه؛ وعلى هذا الأساس لا بدّ لنا من التدقيق في روايات كلّ زمن واستكشاف أدوار الأئمة عليهم السلام في التفسير؛ كي نصل إلى منهج دقيق لتفسير القرآن الكريم.

### ٣- اختلاف بيئة التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن غيرها

تختلف بيئة التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن بيئة التفسير عند بقية المذاهب الإسلامية الأخرى، وحال التفسير في هذا المجال حال كثير من فروع العلوم الإسلامية الأخرى: كالفقه، والأصول، والحديث، والرجال. ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ

(١) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية: ص ١١.

(٢) معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع: ج ١، ص ٣٠.

علم التفسير هو الأكثر اختلافاً من بين هذه العلوم، فالروايات التفسيرية بقيت تُدَوَّن في أوقات متسلسلة من عصر النبي الأعظم ﷺ وحتى الغيبة الصغرى في مدرسة أهل البيت عليه السلام، ولم تخضع للقوانين الصارمة المتبعة من قبل القائلين بمنع الحديث. يضاف إلى ذلك ارتباط تلك الروايات بالمنع الصافي المتصل بالنبي الأكرم ﷺ، ولم تتدخل فيها الاجتهادات أو الأمور الظنيّة، وأكثر من ذلك اشتغالها على مستويات عديدة لدلول النصّ القرآني المقدّس.

وعليه؛ فالاهتمام بالروايات التفسيرية الواردة عن أهل البيت عليه السلام، هو بسبب كونها تحكي واقعاً خاصاً في التفسير، ولها قيمة معرفية خاصّة؛ ومن هنا فلا بدّ لنا من الوقوف عندها وتحليلها وتمييز المعتمد من غيره بما يتناسب وروح القرآن الكريم.

### منهج التعامل مع الروايات التفسيرية

هناك منهجان للتعامل مع الأحاديث في مختلف الأبواب الشرعية: أحدهما يأخذ القرائن وسيلة للاعتماد على الرواية الواردة عن المعصوم عليه السلام، والآخر يأخذ السند كمبدأً أساسياً، وقد اختار الجيل السابق من علمائنا الأبرار الطريق الأول، في حين اعتمد الجيل اللاحق منهم على الطريق الثاني.

وأما القرائن التي اعتمد عليها القدماء من علمائنا في مقام تصحيح الحديث، فهي عبارة عن كون الحديث موافقاً لنصّ الكتاب، أو موافقاً للسنة المقطوع بها من جهة التواتر، أو موافقاً لما أجمعت عليه الفرقة المحقّقة، أو كونه مأخوذاً من أصل أو مصنّف معتبر أو كتاب عُرض على الإمام، إلى غير ذلك من القرائن الخارجية التي تُثبت صدور الحديث؛ هذا هو الصحيح عند القدماء. وأما الخبر الصحيح عند المتأخّرين فهو عبارة عن كون السند متّصلاً بالمعصوم عليه السلام من خلال نقل الإمامي العدل الضابط عن مثله في جميع الطبقات<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ حال اعتبار الروايات التفسيرية أقرب إلى منهج القدماء منه إلى منهج

(١) أنظر: السبحاني، جعفر، دروس موجزة في علمي الرجال والدراية: ص ٦٨.

المتأخرين، بل إنَّ الحجّية في هذا الباب غير الحجّية المبحوث عنها في الأبحاث الفقهيّة، فالحجّية هنا ليست بمعنى المنجزية والمعدّرية التي يبحث عنها الفقيه، فالمفسّر لا يستند إلى الرواية لتنجّز فهمه للنص القرآني المقدّس أو تعدّره؛ لأنّه أمام نص بلسان عربي مبين يحتاج فيه إلى قوّة كشف وإزالة للغموض الذي يكتنف فهمه للنصّ، فقوّة الرواية بمقدار كشفها وتوضيحها للنصّ بما ينسجم وروحه. فإذا جاز لنا استخدام الحجّية هنا فهي بمعنى قوّة الكشف عن معاني القرآن واكتشاف كنوزه. ولا بدّ للرواية التفسيرية من عدم مخالفة روح القرآن الكريم ومحتواه، وإذا خرجت عن هذا الإطار فتدخل في إطار معارضتها لكتاب الله العزيز، وقد ثبت في محلّه طرح هذا النوع من الروايات.

### دور الإمام الحسين عليه السلام في التفسير

تنتمي الروايات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام إلى المرحلة الثانية، وفقاً للتقسيم الذي قدّمناه لمراحل التفسير، ومن الطبيعي أن نجد روايات متقاربة في النصّ والمضمون عن الأئمّة عليهم السلام في هذه المدّة، وهذا لا يمنع من نسبتها إلى إمام معيّن ما دامت قد رويت في مصادر مهمّة باسمه. وما نستخلصه من بعض الروايات التي سنوردها أدناه عنه عليه السلام يُعدّ جزءاً من دور أهل البيت عليهم السلام في هذه الحقبة.

#### ١- توضيح أبعاد فهم القرآن

جاء عن سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليه السلام: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(١)</sup>. وروي هذا النصّ عن النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً.

يضع الإمام عليه السلام في هذه الرواية مراتب لفهم كتاب الله العزيز، وأنّ كلّ فرد ينهل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٢٠.

منه حسب درجته، والظاهر أنّ المقصود من تفاوت الدرجات هو قرب الإنسان إلى الله تعالى وعلو درجته في مقام السير إليه.

وفي نصّ آخر يُبيّن الإمام عليه السلام ثنائية فهم القرآن الكريم، وأنّ الفهم الدقيق لا يقتصر على الفهم الظاهري للنصّ القرآني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يضع عليه السلام التعبير القرآني بجانب اللفظ على حساب قوّة المعنى، ولا بجانب المعنى على حساب قوّة اللفظ، فالتعابير القرآنية متناسقة منتظمة بشكل دقيق جداً، وفي الوقت نفسه تحمل معاني عميقة ودلالات متعدّدة، تُماشي العصور المختلفة؛ وهذا ما يمكن فهمه من قوله عليه السلام: «القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق»<sup>(١)</sup>.

## ٢- بيان الطريق الصحيح في التفسير

بما أنّ القرآن الكريم هو المحور الأساسي في الإسلام، فلا بدّ أن يرتكز فهمه على أسس صحيحة، وأن يستند إلى أركان وثيقة تمنع وقوع الأجيال المسلمة في متاهة الانحراف والتذبذب. وهنا يأتي دور الإمام ليبيّن الخطوط العامّة للتعامل مع ثقل الله الأكبر، قال وهب بن وهب القرشي: «وحدّثني الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه عليه السلام: أنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

وهنا يوضّح الإمام عليه السلام أنّ تفسير القرآن الكريم ليس صنعة العاجز، وليس مرتعاً لحديث من لا أهلية له في هذا المجال، فلا بدّ أن يكون المتصدّي لهذا الأمر قد توفّرت فيه شروط المفسّر، وعلى رأسها وأساسها أن يكون بيانه للقرآن على أساس البيان العلمي والدليل والبرهان؛ ومن هنا بيّن عليه السلام في كلام آخر له أنّ تفسيرهم عليه السلام للقرآن

(١) المصدر السابق.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٩١.

لا يعتمد على الظن وإنما يستند إلى الحقيقة والدليل، ففي خطبة للإمام الحسين عليه السلام، قال فيها: «نحن... أحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله، فيه تفصيل لكل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله، بل نتبع حقائقه»<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ما تقدّم؛ فعلى المفسّر - الذي يبتغي الوصول إلى حقائق القرآن - استبعاد الطرق الظنيّة والأساليب الاستحسانية: كالمقياس، والاستحسان، وقول غير المعصوم، فلا يمكن التعامل مع هذه الطرق على أنّها طرق علمية مؤدّية إلى نتائج مثمرة في التفسير.

### ٣- تفسير الآيات وتوضيحها

تحتوي روايات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية على جانبين مهمّين، جانب توضيح وشرح مفردات ونصوص قرآنية، والجانب الآخر هو الجانب التطبيقي والتوسعة الدلالية. ويجب الأخذ بنظر الاعتبار ظروف تلك الروايات والزواية التي يُفسّر من خلالها النصّ القرآني.

#### أ- التفسير التوضيحي للمفردات

بيّن الإمام الحسين عليه السلام في بعض الروايات التفسيرية الواردة عنه معاني بعض المفردات القرآنية، وهذا ما نلاحظه في الرواية الآتية: «قال الباقر عليه السلام: حدّثني أبي زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنّه قال: الصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي قد انتهى سوءده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد الذي لا ينام، والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٩٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٩٠.

## ب. التفسير التطبيقي للقرآن الكريم

يلاحظ في روايات متعدّدة واردة عن الإمام الحسين عليه السلام في التفسير تفسيره للآيات من خلال المثال، وهذه الظاهرة لا تقتصر على روايات الإمام الحسين عليه السلام التفسيرية، بل نشاهدها أيضاً في روايات سائر المعصومين عليهم السلام، كما أنّها لا تقتصر على روايات أهل البيت عليهم السلام، بل منتشرة في روايات المسلمين عامّة.

ومن تلك الروايات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام في هذا المجال: «قلت للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا أبا عبد الله، حدّثني عن قول الله عز وجل: ﴿هَذَا نَبَأٌ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا النوع من الانطباق يمكن أن تكون له مصاديق أخرى، ويمكن أن تتجدّد مصاديقه في كلّ عصر، فالصراع في هذه الأرض بين الصالحين والمفسدين لا ينتهي إلى يوم الدين، وهناك من يرفع راية الصلاح والخير، وستبقى هذه الراية خفاقة ما دام هناك صالحون، وقد رفعها الإمام الحسين عليه السلام في عصره، بصفته الإمام وصاحب الحقّ الشرعي والقانوني، غير أنّ بني أمية حاربوها فكانوا مثال الكافر بالله تعالى. وتمارس هنا عملية التوسعة الدلالية للنصوص القرآنية، ولكن هذه التوسعة ليست اعتباطية، بل لا بدّ أن يتمّ ذلك في ضوء الأطر التفسيرية ودلالات النصّ القرآني؛ وعلى هذا الأساس فيمكننا استخراج قواعد عامّة في مجالات مختلفة من حياتنا المعاصرة.

ويمثّل هذا النوع من التفسير ديناميكية القرآن في الحياة البشرية، ويجعل المفاهيم القرآنية أكثر تطبيقاً وعملاً في المجتمع، وتحتاج هذه المرحلة من التعامل مع القرآن

(١) الحج: آية ١٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٤٣.

الكريم إلى حذاقة ودقة وابتعاد عن الآراء الشخصية؛ كي لا يقع المفسر في متاهات التفسير بالرأي.

وقد شهدت واقعة عاشوراء حركة واضحة في مقام تفسير القرآن الكريم من خلال تطبيق المفاهيم القرآنية على مصاديقها، وهذا ما نلمسه من خلال الشاهدين الآتين:

الشاهد الأول: ما ذكره الطبري في حادثة مقتل مسلم بن عوسجة فقد قال: «ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات، فاضربوا ساعة؛ فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق فقال: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد الثاني: ما نقله العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار): «ثم أقبل آخر من عسكر عمر بن سعد يقال له: محمد بن أشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين ابن فاطمة، أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتلا الحسين هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَىٰ ذُرِّيَةٍ بَعْضُهُا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»<sup>(٣)</sup>.  
ثم قال: والله إنَّ محمدًا لمن آل إبراهيم، وإنَّ العترة الهادية لمن آل محمد»<sup>(٤)</sup>.

هذا، ويوجد نوع آخر من التطبيق الذي تكون مصاديقه منحصرة غير قابلة للتكرار والتوسعة، وهو ما نراه في الرواية الآتية:

(١) هذا المقطع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: آية ٢٣).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣١.

(٣) آل عمران: آية ٣٣-٣٤.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣١٧.



«عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة، فأُتي بحريرة، فدعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فأكلوا منها، ثمّ جلّ عليهم كساءً خبيرياً، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنتِ إلى خير»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذه الرواية يبيّن لنا الإمام عليه السلام انحصار مفهوم أهل البيت بهؤلاء الأفراد، ولا يمكننا - من ناحية تفسيرية - إشراك غير هؤلاء في هذا المفهوم.

#### ٤. التفسير العملي

نقصد بالتفسير العملي استخدام الآيات القرآنية في مواقف عملية معيّنة تكون تلك المواقف مبيّنة لمعاني النصّ ودلالاته، فالواقع الذي يصدر فيه النصّ يكون كالكاشف عن المراد. وبعبارة أخرى: تُذكر الآيات القرآنية في مواضع محدّدة ليس من أجل تطبيقها على أمثلة أو مصاديق معيّنة كما في الحالة السابقة، وإنّما تُذكر بنحو يفسّر لها الواقع العملي الذي تصدر فيه.

وهذا النوع من التفسير لا يُتقنه إلاّ مَنْ عاش حلاوة القرآن ودراية معانيه، ولا يخرج من خطورته إلاّ مَنْ عاشت المفاهيم القرآنية في حياته وأدرك محتواها. ومن هنا يعلّمنا الإمام الحسين عليه السلام طريقاً عملياً لتفسير القرآن؛ كي نعيش وفقاً عملياً في الحياة البشرية.

ويمكننا أن نلتمس واحداً من الأمثلة كشاهد لهذا النوع من التفسير في كلمات الإمام الحسين عليه السلام، فقد جاء في كتاب (تاريخ الأمم والملوك): «فلما دنا منه القوم عاد<sup>(٣)</sup> براحلته فركبها، ثمّ نادى بأعلى صوته - بصوت عالٍ - دعاءً يسمع جُلّ الناس: أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما لحقّ لكم عليّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدّمي

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢١٣.

(٣) ورد في بقية المصادر: دعا براحلته.

عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّ وِلَايَةَ اللَّهِ الَّتِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

فهنا جمع الإمام عليه السلام بين مقطعين من سورتين مختلفتين، يتعلق المقطع الأول منهما بسياق خطاب نبي الله نوح عليه السلام مع قومه، إذ قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَعَابَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾<sup>(٤)</sup>. وهنا يريد الإمام عليه السلام أن يقول لهم بلسان القرآن: من جانبي أنا متوكل على الله تعالى، فلا أخاف غيره رغم كثرة عدتكم وعددكم، وأوضح لكم ما الذي جاء بي إلى هذه الأرض، بقي الجانب الآخر من القضية وهو قراركم، فكروا بالأمر وقررُوا ما ترونه.

والنص الآخر الذي جاء في كلام الإمام عليه السلام هو في الواقع جاء في سياق آيات على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، بين فيه استغناؤه عن الخلق في حديثه مع المشركين، فالإمام يبين هنا أن الله تعالى هو ولي وناصر الصالحين، كما أنه تعالى هو المتكفل بأمرهم؛ ومن هنا فإن وضع الإمام عليه السلام الآيات في سياق مشابه لسياقها الذي نزلت فيه هو من أجل إفهام المتلقي والتأثير فيه، فالحرب في كربلاء حرب بين الإيمان والشرك كما كان سياق نزول الآيات، غاية الأمر هنا حرب بين الإيوان المتمثل بالإمام القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وبين الذين قاموا بوجهه من جهة أخرى، وأما هناك فقد كانت حرب بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين.

(١) يونس: آية ٧١.

(٢) الأعراف: آية ١٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٤) يونس: آية ٧١.

وهذا النوع من إلقاء النصّ القرآني على المستمع فيه جوانب فنية وبلاغية ووقع خاصّ عليه، إضافة إلى قناعته بالتفسير الناتج من هذا النصّ بسبب الظروف التي كان الإمام عليه السلام يعيشها أثناء تلاوته؛ وعليه فما علينا إلاّ فهم ظروف صدور الخطاب المتضمّن لآيات كتاب الله العزيز.

ويمكن أن يُشكّل هذا النوع من التفسير مدخلاً مهماً لنشر المعارف القرآنية، وتوضيح دلالات النصّ القرآني في العصر الحاضر.

وربما تُعدّ مسألة الاهتمام بتلاوة كتاب الله العزيز والعلاقة الدائمة به شرطاً مهماً للمفسّر الذي يريد أن يسلك هذا الطريق، ولعلّ التأكيدات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام في مجال تلاوة القرآن الكريم والتأمّل في آياته يصبّ في هذا السياق، وفيما يلي نقرأ بعضها:

ففي كتاب الكافي عن بشر بن غالب الأسدي عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: «مَنْ قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يُكتب له بكلّ حرف مائة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكلّ حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكلّ حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتى يُصبح، وإن ختمه نهاراً صلّت عليه الحفظة حتى يُمسي، وكانت له دعوة مجابة، وكان خيراً له ممّا بين السماء إلى الأرض. قلت: هذا لمن قرأ القرآن، فمن لم يقرأ؟ قال: يا أبا بني أسد، إنّ الله جواد ماجد كريم، إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك»<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أنّ تلاوة كتاب الله العزيز طريق إلى التأمّل في آفاقه، ونافذة للعمل به في الحياة، وبداية لمسيرة العشق الإلهي التي لا يقف أمامها شيء. وقد جسّد الإمام الحسين عليه السلام ذلك الاهتمام في سيرته العملية، وظهر ذلك بوضوح في أكثر من مورد، ففي طريقه عليه السلام إلى كربلاء لم يقطع سفره علاقتَه مع القرآن الكريم، بل وكان في أشدّ الظروف يُردّد الآيات القرآنية، وقضى ليلته هو وأصحابه بين تلاوة آيات الكتاب العزيز والتأمّل فيها والعبادة، وهذا ما نجده في النصّين الآتيين:

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦١١.

النص الأول: «حدّثني من شافه الحسين [عليه السلام]، قال: رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه لحسين. قال: فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديهِ ولحيته»<sup>(١)</sup>.

النص الثاني: «فجاء العباس إلى الحسين [عليه السلام] وأخبره بما قال القوم، فقال: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرحم إلى غد، وتدفعهم عنّا العشية لعلنا نصليّ لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي كنت قد أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»<sup>(٢)</sup>.

وهذه السيرة القولية والعملية للإمام [عليه السلام] تبيّن لنا أهمية تلاوة القرآن والعلاقة الدائمة معه؛ كي يستطيع المرء الولوج إلى آفاق الكتاب العزيز والتدبّر في معانيه.

## ٥. المحيط التاريخي للنص القرآني

يلعب الإمام بالظروف التاريخية للنص القرآني المقدّس دوراً مهماً في فهمه والوقوف على معانيه، وفي هذا المضمار تقدّم لنا الروايات الواردة عن أهل البيت [عليهم السلام] عموماً والإمام الحسين [عليه السلام] خصوصاً في هذا المجال مساعدة كبيرة للوقوف على هذا الجانب، والروايات الواردة في هذا المجال تارة تبيّن ظرف نزول الآية أو السورة، وأخرى تبيّن الفضاء التاريخي الذي تحدّث فيه الآية المباركة، فالنحو الأوّل نسمّيه سبب النزول، والثاني شأن النزول، والمحور في الحالة الأولى فيمنّ نزلت الآية أو السورة، وفي الحالة الثانية بشأن من تحدّث الآية أو السورة.

ونستخلص من ذلك تسلسلاً واضحاً لتاريخ نزول الآيات والسور، وفهماً دقيقاً للأحداث التاريخية، وتصوراً واضحاً عن علاقة القرآن الكريم مع الكتب والشرائع التي سبقته، والانتهايات الدينية التي عاصرتة.

(١) الدمشقي، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٩٢. وأنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٦-٣١٧.

ومن هنا؛ فنحن بحاجة ماسّة إلى فهم تاريخي في مجال الدراسات القرآنية، وهو ما أولته روايات أهل البيت عليهم السلام أهميّة خاصّة. وهنا نحتاج إلى عمل منهجي مهمّ، تُخصّص فيه تلك الروايات على أساس علمي رصين. ويمكننا رصد بعض جوانب هذا الموضوع من خلال الروايات التفسيرية الآتية الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام.

الرواية الأولى: عن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله يأتي كلّ يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر، فيقول: الصلاة، يا أهل بيت النبوة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup> تسعة أشهر بعدما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

فهذه الرواية تتحدّث عن ثقافة تاريخية كان لها دور كبير في مقام توضيح النصّ القرآني المقدّس، فمن خلال هذه السيرة العملية لنبي الرحمة صلى الله عليه وآله فهمنا المعنى الحقيقي لـ(أهل البيت)، وأنهم عبارة عن: النبيّ الأعظم، وأمير المؤمنين، والزهراء، والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

الرواية الثانية: عن الحسين بن عليّ عليهما السلام «في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>، قال: إنّ القرابة التي أمر الله بصلتها، وعظّم حقّها، وجعل الخير فيها، قرابتنا أهل البيت، الذين أوجب حقننا على كلّ مسلم»<sup>(٥)</sup>.

ويمكن تصنيف هذا البيان ضمن النوع الثاني (شأن النزول)، فالإمام عليه السلام يبيّن هنا المورد الذي تتحدّث عنه الآية المباركة، وهو أمر المسلمين بمودّة أهل البيت عليهم السلام، وفي الوقت نفسه يمكن تصنيفه ضمن النوع الأوّل (بيان سبب النزول)، ولا مانع من أن يقوم المعصوم عليه السلام في رواية واحدة ببيان سبب النزول وشأنه.

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) طه: آية ١٣٢.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج ٢، ص ٥٩.

(٤) الشورى: آية ٢٣.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٥.

## ٦- الترابط الدلالي والتناسق في النص القرآني

واحدة من الأدوار المهمة في سيرة أهل البيت عليهم السلام في مقام بيان المراد الإلهي من القرآن الكريم هي مسألة التأكيد على الترابط النصي والدلالي بين الآيات القرآنية، بمعنى انسجام النص القرآني على مستوى التعبير والمعاني، فمعانيه ليست متعارضة فيما بينها وحسب، بل يشهد بعضها على بعض، ويفسر بعضها بعضاً، وهكذا تعابيره، فإنها مترابطة وذات سبك خاص؛ وهذا معناه ظهور كتاب الله العزيز بكتلة واحدة من الألفاظ والمعاني؛ وبذلك يكون النص القرآني محوراً أساسياً في فهم المراد من آيات وسور هذا الكتاب العظيم أولاً، وفي فهم معارف الإسلام ومنظومة الفكر الإسلامي برمتها ثانياً.

ويمكننا مشاهدة ذلك بوضوح في بعض الروايات التفسيرية الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام، فعلى مستوى الترابط والاتساق في التعبير ورد عن سيد الشهداء عليه السلام في سورة التوحيد أنه قال: «... إن الله سبحانه قد فسر الصمد، فقال: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>(١)</sup>، ثم فسر، فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>»،<sup>(٣)</sup> فما بينه عليه السلام في هذه الرواية هو الجانب الاتساق ونظم النص، فبعد بيانه عليه السلام لهذا الجانب الفني في النص القرآني المشار إليه، قام عليه السلام في الرواية أعلاه ببيان المفردات التي حوتها السورة وتوضيحها بأسلوب فني.

وفي جانب الترابط الدلالي نلاحظ ما ورد عنه عليه السلام: «في قوله تعالى: ﴿وَسَاهِدِ وَمَشْهُودٍ﴾. قال عليه السلام: [الشاهد جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمشهود يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>، وتلا ﴿ذَلِكَ

(١) الإخلاص: آية ١-٢.

(٢) الإخلاص: آية ٣-٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٩١.

(٤) الأحزاب: آية ٥٤.

يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ ﴿١﴾ (٢). وهذا يكشف لنا عن الوحدة البيانية في التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

## الخاتمة

من خلال ما تقدم يمكننا تسجيل النقاط الآتية:  
أولاً: تحتوي روايات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية على مداخل مهمّة في عملية فهم النصّ القرآني المقدّس.  
ثانياً: لحركة التفسير في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام تاريخ خاصّ ومراحل تطوّر تختلف عمّا هو متداول في الدراسات القرآنية.  
ثالثاً: ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام من روايات تفسيرية يرتبط بالمرحلة الثانية من تاريخ حركة التفسير، وهي بدورها تُشكّل جزءاً من دور أهل البيت عليهم السلام في عملية تفسير القرآن الكريم.  
رابعاً: تؤكّد هذه المرحلة التاريخية على تعدّد مراتب فهم القرآن وعدم انحصاره بمستوى معيّن، كما أنّها تعتبر أنّ عملية فهم القرآن تكون صحيحة إذا ارتكزت على أساس علمي، فيظهر من رواياتها ضرورة توفّر الثقافة التاريخية في فهم كتاب الله العزيز، والأخذ بنظر الاعتبار ترابط النصوص القرآنية على المستوى اللفظي والدلالي.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة والوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(١) هود: آية ١٠٣.

(٢) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٧، ص ١٣٥-١٣٦.

٢ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، حققه ودقق أصوله وعلّق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، راجعه وصحّحه وضبطه: نخبة من العلماء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤ - التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة (ت ١٤٢٧هـ)، مؤسّسة التمهيد، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥ - التوحيد، محمد بن عليّ بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.

٦ - الخصال، محمد بن عليّ بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر الغفّاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المشرفّة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧ - دروس موجزة في علمي الرجال والدراية، جعفر السبحاني، المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

٨ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، عليّ بن أبي بكر الهيثمي (ت ٧٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠ - المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، المؤتمر العالمي للشهيد الصدر عليه السلام.

١١ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.

١٢ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث، قم المشرّفة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٣ - ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: السيّد

علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

# الآثار المعنوية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام في ضوء الآيات القرآنية دراسة وصفية تحليلية (القسم الثاني)

د. الشيخ أسعد علي السلطان\*

## مقدمة

بعد أن قمنا في القسم الأول من هذا المقال بعرضٍ لجملةٍ من الآثار المعنوية، المستوحاة من نهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ الخالدة، ودراستها في ضوء الآيات القرآنية المباركة، فها نحن في هذا القسم بصدد إكمال الحديث عن هذا الموضوع، ونودّ في بداية الحديث أن نذكّر القارئ الكريم بأننا قد قسّمنا الآثار المشار إليها على محاور أربعة، وقد تقدّم الحديث فيما سبق عن الآثار المتعلقة بالمحورين الأول والثاني، وفي هذه الأوراق المتواضعة سوف نتحدّث عمّا هو متعلّق بالمحورين الثالث والرابع. أمّا المحاور الأربعة بشكلٍ كلٍّ فهي عبارة عن:

المحور الأول: الآثار المرتبطة بالجانب العقدي.

المحور الثاني: الآثار المرتبطة بالجانب الأخلاقي.

المحور الثالث: الآثار التي تُعدّ مسائل حيوية في المنظومة الدينية.

المحور الرابع: الآثار المرتبطة بالجانب الحماسي والثوري.

هذا، وإنّا - كما نوّهنا في القسم الأول - لا ندّعي القدرة على استيعاب جميع الآثار المتعلقة بالجانبين المتبقين؛ وذلك للبركات غير المحدودة المترتبة على هذه

---

\* باحث إسلامي وأستاذ في جامعة المصطفى عليه السلام العالمية، من العراق.

النهضة الخالدة؛ ومن هنا كان بناؤنا - في هذا القسم أيضاً - على القيام بعرض للآثار المهمة والحيوية في كل واحد من المحورين المذكورين، تاركين استيعاب الحديث في جميع جوانب الموضوع، والتشقيق في أبحاثه إلى دراسات أخرى مستقبلية إن شاء الله تعالى.

أمّا المنهج المتبع في المقام فهو كالسابق عبارة عن المنهج الوصفي التحليلي، الذي نسعى فيه إلى تبين ظاهرة التماهي الحاصلة بين القرآن الكريم والنهضة الحسينية على مستوى الآثار والثمرات المعنوية، هذا التماهي الذي يجعل من النهضة المباركة مصداقاً للمعنية التي أقرها الرسول الكريم ﷺ بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام في حديث الثقلين المتواتر<sup>(١)</sup>.

### المحور الثالث: الآثار المعنوية التي تُعدّ مسائل حيوية في المنظومة الدينية

#### ١- إشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تحتلّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانة مهمة في منظومة التشريعات الإسلامية؛ وذلك لما تمثله من كونها صمام أمانٍ لتطبيق جميع هذه التشريعات وعلى شتى المستويات، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرِّ والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات، وسُلِّطَ بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصرٌ في الأرض ولا في السماء»<sup>(٢)</sup>. وفي الصدّد نفسه روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «... إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة، بها تُقام الفرائض،

(١) قال الحرّ العاملي رحمته الله: «أقول: وقد تواتر بين العامة والخاصة عن النبي ﷺ أنه قال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتنّ بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض». الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٣٣-٣٤.

(٢) المصدر السابق: ج ١٦، ص ١٢٣. والحديث نفسه أورده الشيخ المفيد مع اختلاف في بعض الألفاظ. أنظر: المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص ٨٠٨.

وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتُردّ المظالم، وتعمّر الأرض، ويُتصّف من الأعداء، ويستقيم الأمر...»<sup>(١)</sup>.

ونظراً لأهمّية هذه الفريضة وعظم فائدتها في الحياة الاجتماعية، فقد تناولتها الآيات القرآنية من زوايا متعدّدة، وهذه الآيات عبارة عن: قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فإنّه وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه هذه الآية الشريفة، والذي تحدّث فيه الآيات السابقة واللاحقة على هذه الآية عن ضرورة الاعتصام بحبل الله تعالى وتوحيد الصفّ<sup>(٣)</sup>. يترتّب هذا الأثر بشكل واضح على إعمال هذه الفريضة في المجتمع، فإنّه مع الأمر بإشاعة النقاط الإيجابية والتشجيع عليها في المجتمع، ونبذ الأمور السلبية واستهجائها سوف نحقق مجتمعاً متماسكاً قوياً، يمتلك خاصية العلاج الذاتي، فهو يعالج نفسه بنفسه؛ وعليه فإنّ فرصة تدخّل العامل الخارجي المؤدّي إلى الفرقة والانشقاق ستكون ضئيلة.

ومن هنا؛ نجد أنّ القرآن يصف المؤمنين المتّحدين المشمولين برحمته عزّ وجلّ بصفات عديدة، وعلى رأسها الاتّصاف بهذه الفريضة المهمّة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨١.

(٢) آل عمران: آية ١٠٤.

(٣) فالآية السابقة على هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: آية ١٠٣)، والآية اللاحقة هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: آية ١٠٥).

(٤) التوبة: آية ٧١.

كما نُخبرنا الآيات القرآنية في موضع آخر بأن إشاعة هذه الفريضة في الأمة الإسلامية هو السبب في كونها من أفضل الأمم التي مرت في تاريخ البشرية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>، فإن «الدليل على أن هذه الأمة خير أمة رُشحت لهذه المهمة الكبرى [خدمة المجتمع الإنساني] هو قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيمانها بالله، وهذا يفيد أن إصلاح المجتمع البشري لا يمكن بدون الإيمان بالله والدعوة إلى الحق، ومكافحة الفساد، كما ويستفاد من ذلك أن هاتين الوظيفتين - مع ما هما عليه من السعة في الإسلام - مما تفرد بهما هذا الدين من دون بقية الشرائع السابقة»<sup>(٢)</sup>.

ولم تقف الآيات على مدح المسلمين؛ لكونهم قد اتصفوا بهذه الفريضة، بل إنها قد مدحت من اتصف بها من أهل الكتاب أيضاً، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: «ليس أهل الكتاب سواء، فهناك جماعة تطيع الله وتخافه، وتؤمن به وتمناه، وتؤمن بالآخرة وتعمل لها، وتقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»<sup>(٤)</sup>.

وفي مقابل جعل القيام بهذه الفريضة من صفات المؤمنين، نجد أنه في محل آخر من القرآن جعل ترك هذه الفريضة من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) آل عمران: آية ١١٠.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢، ص ٦٤٤-٦٤٥.

(٣) آل عمران: آية ١١٣-١١٤.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢، ص ٦٥٤.

(٥) التوبة: آية ٦٧.

ومن المعلوم أنّ شيوع ظاهرة النفاق في أيّ مجتمع، معناه شيوع جملة من الصفات الأخلاقية الذميمة<sup>(١)</sup>: كالكذب (الذي هو مفتاح الذنوب)<sup>(٢)</sup>، والخيانة، وخلف الوعد، هذه الصفات التي تُعدّ مدعاة لفقدان الأمان في المجتمع.

ونحن إذ نتحدّث في المقام عن الآثار المعنوية للنهضة الحسينية، نقف أمام هذه الفريضة الإلهية وقفة خاصّة، فإنّه عليه السلام قد أخرج العمل بهذه الفريضة من دائرة التعامل الفردي والجماعي المحدود إلى مستوى التغيير الثوري، وبذل الدماء الزاكية من أجل تحقيق هذا المبدأ السامي، فهو عليه السلام علاوة على ميله القلبي إلى ذلك - كما ورد عنه عليه السلام عند وداعه لقبر جدّه عليه السلام قبيل خروجه من المدينة: «اللهم، وإيّ أحبّ المعروف وأكره المنكر»<sup>(٣)</sup> - فقد صدرت منه تصريحات نهى عن أمور منكّرة، فضح من خلالها ما عليه السلطة الحاكمة من الفساد والظلم والطغيان، وخذ - مثلاً - ما صدر عنه عليه السلام عندما طلب منه معاوية البيعة ليزيد بعدما ذكر أهليته لتولّي هذا المنصب من بعده، فقد قال عليه السلام في هذا الصدد: «فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهاشنة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر ممّا أنت لاقية»<sup>(٤)</sup>.

ومن هذه التصريحات أيضاً ما قاله عليه السلام جواباً عن رسالة كتبها له معاوية يعاتبه

(١) فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ثلاث خصال من علامات المنافق: إذا حدّث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف». النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ٨٥.

(٢) هذا الأمر إشارة إلى ما ورد في مجموعة روايات، منها ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام: «جعلت الخبايا في بيت وجعل مفتاحه الكذب». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٢٦٣.

(٣) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٩.

(٤) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ١٦٢.

فيها على بعض الأمور التي ادّعي أنّها صدرت منه عليه السلام: «واعلم، أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلّا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعيّة، والسلام»<sup>(١)</sup>.

ومن تصرّجاته الأخرى التي شخّصت أنّ المدّة التي يعيشها عليه السلام هي مدّة تطبيق هذه الفريضة مهما كلف الأمر، ما تضمّنته خطبته عليه السلام في أصحابه قبيل وصوله إلى كربلاء، وقد جاء فيها: «إنّ الله قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرّت حذاء، ولم تبق منه إلّا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً»<sup>(٢)</sup>. فإنّه مع هذا التغيّر الحاصل في المفاهيم الدينية، فإنّ صورة المجتمع ستكون حينها صورة إسلامية، بينما روحه ومحتواه سيكونان على خلاف ذلك، وعليه سوف تسود المجتمع حالة النفاق، وهذا بعينه المعنى الذي أشارت إليه الآية القرآنية المتقدمة: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

كما يرى عليه السلام في كلام آخر له عدم صحّة السكوت عن تفسي المنكر وغياب المعروف في المجتمع الإسلامي، حيث يقول: «أيها الناس، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) [وآله] وسلّم) قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) [وآله] وسلّم)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣١٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٨.

(٣) التوبة: آية ٦٧.

لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري»<sup>(١)</sup>.

وكنتيجة لجميع هذه التصريحات والمواقف وغيرها نجد أنّ الشعار الذي رفعه عليه السلام في بداية حركته -: «وَأَنْتِي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا، وَلَا بَطْرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتَ لَطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ...»<sup>(٢)</sup> - أصبح منارة للعديد من المواقف الواعية في المجتمع الشيعي، وما هذه الحركة التثقيفية والتوعوية التي يقوم بها المنبر الحسيني إلا أحد الوجوه الناصعة من أجل ترسيخ هذه الفريضة القرآنية بين الناس، فالخطباء في جميع الأزمنة والأمكنة يسعون - من خلال كلماتهم وأحاديثهم - إلى تشخيص مواطن الفساد في المجتمع، والحثّ على ضرورة الوقوف بوجهه، وطالما عرضهم هذا الأمر إلى دفع أثمان باهضة، من قبيل التهديد، والتعذيب، والتشريد، وصولاً إلى التصفية الجسدية في أحيان كثيرة.

إنّ هذا الطريق مليء بالأشواك ويحتاج إلى صبر وثبات من قبل السائرين فيه؛ ومن هنا نجد أنّ القرآن يقرن بين هذه الفريضة وبين الصبر على ما سوف يحصل من جرّاء ذلك، قال تعالى حكاية عن لسان لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه: ﴿يَبْنَئُ أَقْوَمَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهً عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٣)</sup>. فهذا الأمر الصعب الذي يعيشه كلّ من يسير على النهج الحسيني ويسعى إلى تثبيت أركانه في المجتمع، يحتاج إلى عزيمة قويّة لا يمكن أن تحصل إلاّ من خلال استلهاهم العون والقوّة ممّا قام به صاحب هذه النهضة المباركة وأهل بيته وصحبه من تجسيد واقعي لهذه الفريضة السامية.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٤.

(٢) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧٩.

(٣) لقمان: آية ١٧.

## ٢. ترسيخ حالة الصراع بين الحق والباطل

إنَّ الصراع بين الحقِّ والباطل يُعدُّ واحداً من أكثر السنن الكونية شيوعاً واطّراداً في الحياة البشرية على مستوى المجتمعات والأفراد، وهو قديم بقدم خلق الإنسان، قد لازمته منذ اللحظات الأولى لصيرورته خليفة الله على هذه الأرض، فهذا إبليس بعد عصيانه للأمر الإلهي وتحوّله إلى مخلوق منبوذٍ مطرودٍ من الحضرة الإلهية قرّر الانتقام من آدم وذريته؛ وذلك بسلوكه طريق الإغواء لهم وإبعادهم عن جادة الحقِّ، قال تعالى حكاية عن لسان هذا العدو اللدود للبشر: ﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴾<sup>(١)</sup>؛ فبعد هذه المقاسمة يبدأ الصراع بين آدم وذريته المؤمنة من جهة وبين الشيطان وأتباعه من جهة أخرى، فأتباع الحقِّ هم جميع الأنبياء والرسل، والسائرون على نهجهم، قال تعالى حكاية عن لسان أهل الجنة: ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(٢)</sup>، وأما أتباع الباطل فهم المخالفون لهم والساعون إلى إبطال المشروع الإلهي الذي ينادون به، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ \* وَمُجَدِّدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ \* وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثمَّ إنَّ هذا الصراع لا يتوقّف وسوف يستمرّ إلى قيام الساعة، ويعود السبب في ذلك إلى أنّه لا يخلو مجتمع إنساني مهما كانت درجة تطوّره من علاقات تنافسية، أساسها التدافع والتسابق على الموارد والخيرات، والمال، والقوّة، والمنصب، والجاه، والنفوذ، ونتائج هذه المنافسات لا تتحقّق بشكل عادي وعفوي، وإنّما تأتي في سياق معارك تأخذ أشكالاً وأنواعاً متعدّدة: ناعمة أو دامية، شريفة أو خبيثة، وذات مظاهر فكرية، أو عقائدية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو أمنية.

(١) ص: آية ٨٢-٨٣.

(٢) الأعراف: آية ٤٣.

(٣) الكهف: آية ٥٦.

والعامل الرئيس في هذه المنافسات والصراعات هو الانصياع وراء المصالح الشخصية الضيقة، أو الجماعية المحدودة على حساب المصلحة المجتمعية النوعية، فعندما تكون روح الأنانية هذه هي المعيار لأي سلوك أو موقف، فإن الأشخاص أو الجماعات الحاملين لها يصبحون على استعداد للوقوف إلى جانب الباطل ضد الحق مهما كانت درجة وضوحه عندهم، وعلى استعداد أيضاً لتغليب الظلم على العدل، أو الكره والتعصب على الحب والتعاون والتسامح، وعندها يستشري الفساد، ويتحكم الظلم والاستكبار بحياة المجتمع ويعم الخراب فيه.

والإنسانية إذ تعيش أجواء هذا الصراع المحتدم، فلا بد لها من هزات نوعية توقظها من سبات الغفلة، وتوقف الأفراد والجماعات - خصوصاً الذين يحاولون الالتحاق بركب الهداية الإلهية، إلا أنهم بين الفينة والأخرى تجذبهم أنانيتهم المدعومة بالمغريات والملذات الدنيوية - على حقيقة أنهم يعيشون في دوامة صراع بين الحق والباطل، مع تشخيص للحق والباطل وأتباع كل منهما.

وفي هذا الصدد نرى أن النهضة الحسينية قد قامت بهذه الهزة العنيفة في المجتمع الإسلامي آنذاك، واستمر عطاؤها في هذا المجال إلى يومنا هذا وإلى مستقبل الأيام القابلة، ولا نكون مغالين إذا قلنا: بأنها أثرت حتى في الفكر غير الإسلامي<sup>(١)</sup>.

أما كيف مثلت هذه الحركة التي قام بها سيّد الشهداء أبو عبد الله عليه السلام صراعاً بين الحق والباطل؟ فالجواب في المقام يمكن أن ينطلق من مبدئين:

أحدهما: نظرية مدرسة أهل البيت عليه السلام التي تذهب إلى عصمة الإمام عليه السلام، فإنّه بناءً على هذا المبنى المتسلم عليه عند جميع الطوائف الشيعية، يكون تصرف الإمام الحسين عليه السلام من دون أدنى شك تصرفاً متوافقاً مع التشريعات الصادرة عن الحق سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

(١) أنظر: رمضان، جعفر، مقال بعنوان: مأساة واقعة كربلاء في كتابات المستشرقين الغربيين، على

**الكريم** <sup>(١)</sup>؛ فيكون حينها الطرف المقابل له هو الممثل لجهة الباطل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ...﴾ <sup>(٢)</sup>. هذا باختصار طريق الباحث الذي يؤمن بمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أمّا من ينطلق من مبدأ مدرسة الصحابة، فمن الضروري أن يذهب إلى النتيجة نفسها؛ وذلك لأنّ وثيقة الصلح المبرمة بين الإمام الحسن عليه السلام - الخليفة الشرعي - وبين معاوية، قد اشترط فيها عدم تعيين الأخير خليفة من بعده، وإنّما يكون الأمر لشورى المسلمين <sup>(٣)</sup>، أو يكون الأمر له عليه السلام <sup>(٤)</sup>، وهذا الأمر يدلّ على حقيقة لا تقبل الشكّ والترديد، وهي أنّ قبول الإمام الحسن عليه السلام بالصلح كان مشروطاً بعدم امتداد الخلافة في أسرة معاوية، في حين أنّ ما تمّ هو على خلاف ذلك، فالأخير عهد بالأمر من بعده إلى ابنه يزيد، وهو عهد باطل وعليه فحركة الإمام الحسين عليه السلام الراضية للبيعة كانت حقّة، وهي محاولة لإرجاع الحقّ إلى أصحابه، خصوصاً مع ملاحظة أنّ الإمام الحسن عليه السلام عندما صالح معاوية لم يكن في مقام التنازل عن حقّ الخلافة له ولأخيه من بعده، وإنّما كان حقناً للدماء في تلك المدة؛ ومن هنا عدّ بعض أنّ اشتراط الإمام الحسن عليه السلام بأن تكون الخلافة له بعد معاوية، وإذا حدث به حادث تكون لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، منسجماً «مع إيمان الإمام الحسن عليه السلام بالنصّ النبوي على إمامته وإمامة أخيه بأنّهما إمامان وسيّدا شباب أهل الجنّة، ويؤيّده شرط ينصّ ألاّ يبغي معاوية غائلة للحسن والحسين عليه السلام، مضافاً إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام مشمول

(١) المؤمنون: آية ١١٦.

(٢) الحج: آية ٦٢.

(٣) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٢. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن

علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٩٥. وأيضاً: الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٤، ص ٢٩١.

(٤) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٢. وأيضاً: ابن عبد البر، يوسف بن

عبد الله، الاستيعاب: ج ١، ص ٣٨٥. وأيضاً: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق:

ج ١٣، ص ٢٦١. وأيضاً: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤٠.

بشرط عدم الاعتداء على حياة أهل البيت عامة، فتخصيصه بالشرط يُشير إلى ارتباط حياته بمستقبل الخلافة»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا؛ فإن ما حصل في نهضة الإمام الحسين عليه السلام هو رفض للباطل المتمثل بتولي يزيد الطاغية زمام رقاب المسلمين من دون أدنى وجه حق، بينما الممثل الحقيقي لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله موجود، ومطالب برجع هذا الحق إلى أصحابه، قال عليه السلام عند مجيء معاوية إلى المدينة وطلبه من أهلها مبايعة يزيد: «أنا والله أحق بها منه، فإن أبي خير من أبيه، وجدّي خير من جدّه، وأمّي خير من أمّه، وأنا خير منه»<sup>(٢)</sup>.

كما نُقل عنه عليه السلام أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَا نِ حَصْمَانِ أَحْضَمُوا فِي رِيحِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>: «نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>. أضف إلى ذلك ما ذكره عليه السلام في خطبته التي كانت على مشارف كربلاء: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقاً حقاً، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(٥)</sup>، حيث بيّن في كلامه هذا أنّ الصراع بين الحق والباطل يُعدّ من الدواعي الرئيسة لنهضته المباركة.

وكذلك ما قاله في خطبته في منزل (البيضة): «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد

(١) الكوراني، علي، جواهر التاريخ: ج ٣، ص ٧٠.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٢٥.

(٣) الحج: آية ١٩.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٤٣.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨١.

وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غير<sup>(١)</sup>.

إذا؛ فمن الثمرات المهمّة التي تعطىها هذه النهضة لكلّ المهتمّين بها، هي عدم نسيانهم أبداً أنّهم يعيشون حالة صراع بين الحقّ والباطل على جميع الأصعدة، فلا يطمئنّوا إلى حالة رخاء أو هدوء تضمّر تحتها مساعي حثيثة من أجل تحطيم الوجود الديني بين الناس، وحرّف عقولهم إلى المادّية العمياء التي تتحكّم بمستقبل الناس بعد أن أهتتهم ببعض النعم الزائفة، فأبعدتهم عن القيم الدينية على حساب أرواحهم وأعراضهم، بل والغاية من خلقهم من كونهم خلفاء الله في أرضه. فالنهضة الحسينية تبرز حالة الصراع وتبقي جذوته مستعرة في النفوس، فالإنسان المتماهي مع هذه النهضة يبدأ بتشخيص حالة الصراع هذه في نفسه أولاً؛ إذ يزن الإنسان الحسيني رغبات نفسه، ويسعى جاهداً إلى محاربة ما كان باطلاً منها، ثم ينطلق شيئاً فشيئاً ليصل إلى أعلى مراتب الصراع حتّى يتشكّل جيل حسيني رافض للظلم والباطل في جميع المناطق التي تعيش أجواء هذه النهضة المباركة.

### ٣- ترسيخ مبدأ الأسوة والقُدوة

يعدّ مبدأ الاقتداء والتأسي أساساً مهماً في حياة الإنسان؛ إذ يرافقه في جميع مراحل العمرية، فالشخص في بداية عمره، وبسبب عدم خوضه للكثير من التجارب، وعدم دخوله إلى معترك الحياة وصعوباتها ومشاكلها، نجده يسعى إلى اتّخاذ قدوة تساعد على اتّباع الطريق القويم، وتمدّه بالتجارب والخبرات التي تصقل شخصيته وتساعد في تكوينها، فالقدوة حاجة فطرية نشأت بفعل عدم الكمال الذي يعاني منه الإنسان؛ ومن هنا نجد أنّ القرآن قد شدّد على ضرورة التحلّي بهذا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٤.

فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١﴾، وقال أيضاً:  
 ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (٢).

بل أكثر من ذلك إنَّ الله ﷻ يأمر الرسول ﷺ الذي هو أكمل الأنبياء والمرسلين  
 بأن يقتدي بالهدى الذي تحلَّى به مَنْ سبقه من الأنبياء، قال تعالى: ﴿أُوَلِّيكَ الَّذِينَ هَدَى  
 اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ مُقْتَدِيَهُ...﴾ (٣).

نعم، القرآن الكريم كان متوجَّهاً إلى أن الإنسان قد يُشبع هذه الحاجة الفطرية  
 بطريقة خاطئة، فبدلاً من أن يتَّخذ قدوةً حسنةً تمنحه الهداية والنجاة والفوز، نجده  
 يتَّخذ قدوةً موهومةً تُبعده عن ذلك كله وتُلحق به الضلال والخسران، قال تعالى  
 في معرض ذمِّه للمنحرفين عن الجادة الحقة: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ  
 نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٤)؛ إذاً، فهؤلاء  
 المترفون يقومون بمواجهة جهود الأنبياء والرسل في كلِّ أمة من خلال تحريك  
 هذا المبدأ لدى الناس، مشخِّصين لهم مَنْ يقتدون به، وأنَّ هؤلاء الآباء هم الأولى  
 بالاقتداء من أناس غرباء عنهم.

وقد قارن المولى ﷺ بين قدوتين، إحداهما سيئة ابتعدت عن خطِّ الأنبياء ﷺ،  
 والأخرى قدوة حسنة سارت على النهج الذي رسمه الله تعالى للبشرية، وذلك في  
 قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ  
 عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا  
 النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ \* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ

(١) الأحزاب: آية ٢١.

(٢) الممتحنة: آية ٤.

(٣) الأنعام: آية ٩٠.

(٤) الزخرف: آية ٢٣.

أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \*  
وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا  
وَكُنْتُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿٥﴾.

ونظراً لهذه الأهمية التي يحظى بها هذا المبدأ الفطري، ولضمان عدم الانحراف في تطبيقه عن جادة الشريعة؛ نجد أن الأنبياء جميعهم وكذلك أوصياؤهم قد تحمّلوا شتى أنواع المصاعب والشدائد من أجل أن يكونوا قدوة للناس في زمانهم، حتى يصلوا من خلال أتباعهم والسير على هديهم إلى السعادة والنجاة.

ومن هؤلاء الأشخاص نجد أن الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة - التي هي مورد بحثنا - سعى إلى أن تكون نهضته معلماً وشاخصاً بارزاً في مجال تطبيق الشريعة الإسلامية، فهي - بعبارة جامعة - سلوك رافض لتغييب دور الدين الإسلامي في المجتمع، ففي كل زمان هُدد فيه الكيان الديني، ينبغي الاقتداء والسير على نهج الحسين عليه السلام من أجل استئصال هذا التهديد واجتثاثه من جذوره. أضف إلى ذلك أن التأثير الذي يتركه السلوك الخارجي للقدوة أقوى بكثير من أقواله؛ ومن هنا فإن الإمام في فعله الذي قام به في هذه النهضة المباركة جعل نفسه قدوة لجميع الثائرين من أجل العزة والكرامة، ولجميع الحريصين على بيضة الإسلام وغير الخاضعين للمستبدين مهما كان توجههم وانتماءؤهم.

ومع هذا الوضوح في هذا الجانب إلا أننا يمكن أن نتلمّس هذا المبدأ من كلمات الإمام عليه السلام ومواقفه في حركته التغييرية هذه، تلك الكلمات التي تكون ثمرة ترديدها المتواصل من قبل خدّمة المنبر الحسيني في مواسم التبليغ وغيرها مدعاة لجذب الناس نحو الاقتداء بهذا الإمام الطاهر - وكلّهم عليه السلام قدوة وأسوة - والتمثّل بمواقفه، فإنّه وبناءً على مبدأ التمثّل والاستيعاب، فإنّ المتلقّين لمفاهيم النهضة الحسينية من خلال

تكرار هذه المواقف عليهم وترسيخ هذا المبدأ في أذهانهم، سوف يسعون إلى التمثّل بهذه المواقف ومحاکاتها في الموارد المشابهة، وهذا الأمر يكبر شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى حالة استيعاب هذه المبادئ بشكل كامل، فيوجد لدينا حينها جيل حسيني يسعى إلى الشهادة من أجل تحقيق المبادئ السامية، وهذا بالفعل ما حصل عندما لبّى الشباب الحسيني في العراق فتوى المرجعية في الجهاد ضدّ فلول داعش الإرهابية، فبمحض سماع نداء المرجعية سارع المؤمنون الحسينيون إلى تسجيل أسمائهم والإلحاح على المسؤولين بإرسالهم إلى جبهات الكرامة بأسرع وقت.

إنّ هذا المبدأ يجليّه الإمام الحسين عليه السلام بشكل واضح في نهضته المباركة، فهو على الرغم من كونه إماماً مفترض الطاعة بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله (١)، إلاّ أنّه عليه السلام يوقفنا بشكل واضح على أنّه أراد من حركته هذه التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله والسير على نهجه، فقد قال عليه السلام في بداية حركته: «... وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام» (٢)، وقال أيضاً ليلة العاشر من المحرمّ مخاطباً أخته زينب عليها السلام: «أبي خير منّي، وأمي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة» (٣). فإنّ هذه الكلمات ما هي إلاّ تجسيد للمفهوم القرآني الذي أبانته الآية الشريفة التي طلبت من المسلمين التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله.

أضف إلى ذلك فهو عليه السلام عندما خرج من المدينة كان يردّد قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) (٥)، وهذا تأسّ واضح بأحد أنبياء

(١) فقد قال صلى الله عليه وآله في حقّ الحسن والحسين عليهما السلام: «ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا». المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٠.

(٢) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧٩.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٤.

(٤) القصص: آية ٢١.

(٥) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٥. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٤. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٧.

أولي العزم وهو موسى عليه السلام، فالإمام عليه السلام بتلاوته هذه الآية وكذلك تلاوة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> عند دخوله إلى مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>، كان يهدف من وراء ذلك إلى ربط حركته بحركة الأنبياء الذين كانوا يسعون إلى نجاة الإنسانية وإخراجها من الظلمات إلى النور مقابل من يريد عكس ذلك، ولعله من أجل هذا الهدف جاء التأكيد في زيارته عليه السلام على مسألة وراثته عليه السلام لجملة من الأنبياء الذين كان لهم أثر في ترسيخ الدين الإلهي في حياة البشر، فقد جاء في زيارة وارث المروية عن الإمام الصادق عليه السلام: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كلیم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام وليّ الله»<sup>(٣)</sup>. ومن هنا ونتيجة لهذا الربط نجد أن الزائر يعلن اقتداءه وأتباعه للأمر الذي سار عليه الإمام الحسين عليه السلام وعموم أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد في مفردات الزيارة ذاتها: «وقلبي لقلبكم سلم، وأمرني لأمركم متبع»<sup>(٤)</sup>، وجاء أيضاً هذا التأسي والاتباع في زيارة أنصار المولى أبي عبد الله عليه السلام وهم شهداء واقعة الطفّ (رضوان الله تعالى عليهم)، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثمّ أوم إلى ناحية الرجلين بالسلام على الشهداء عليهم السلام، فهم هناك وقل: السلام عليكم أيها الربانيون ورحمة الله وبركاته، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع وأنصار...»<sup>(٥)</sup>.

وأما سلوك الإمام الحسين عليه السلام في هذه النهضة المباركة فهو أسوة وقدوة على جميع

(١) القصص: آية ٢٢.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٥. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٧.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٧٢١.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٦٥.

المقاييس، كيف لا! وقد كان مخيراً بين أن يعيش حياة هادئة بمجرد بيعته للطاغية يزيد، وبين أن يلاقي السيوف البواتر وأسنة الرماح والتنكيل به وبأسرته وصحبه، فاختار الطريق الثاني من أجل أن يبقى الدين ويبقى الخطّ الإلهي الذي به يخرج الناس من الظلمات إلى النور مقابل من يريد عكس ذلك، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالإمام عليه السلام كان يُطالب بالحق كما تقدّم، وقد تحرك في ضوء طلبات وكتب أعلنت الولاء له والطاعة، وبعد خذلان من كتبوا له نجده قد بالغ في إلقاء الحجّة على القوم، وأما في ميدان الحرب، فقد كان تخطيطه وإدارته للمعركة فذة للغاية، فهذه المنازلات والأراجيز والخطب الرنانة لصحبه وأهل بيته، التي نقلتها لنا كتب التواريخ والسير والمقاتل، هي في الحقيقة دروس وعبر لكلّ ثائر مضحّي من أجل مبادئ الإسلام السامية، أضف إلى ذلك بعض السلوكيات الأخرى من قبيل تقديم الإمام عليه السلام ولده علي الأكبر للنزول إلى الميدان قبل بني هاشم، فكان أول شهيد من بني هاشم، وغيرها من السلوكيات الرفيعة.

كلّ هذه الأفعال وما تقدّم عليها من أقوال له عليه السلام، وكلمات الأئمة التي قرّرت كيفية التعامل مع الأمكنة الطاهرة له عليه السلام ولمن معه من البررة، هي من جعلت الشيعي دائماً يلهج بعبارة: (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)، ولذا فمن المفترض عليه إذا كان مخلصاً وصادقاً في أمنيته أن يسير على ما ساروا، فإنّه بذلك سوف يحقّق الكون معهم والنفوز بقربهم في جنّات الخلد.

#### ٤- إتمام الحجّة

من الأسس الموضوعية التي تمّ التسالم عليها بين أفراد الإنسانية، هو أنّ المتنبّي

(١) البقرة: آية ٢٥٧.

لأبي دعوى طالباً من الآخرين الاقتناع بمضمونها ومتابعتها على صعيد الاعتقاد القلبي أو السلوك الخارجي، ينبغي له إقامة البرهان والحجة على صحة دعواه، وهذا الأمر سرى إلى دعوى النبوة من قبل الأنبياء؛ وذلك لكون الطرف الجائي بها هو من البشر، وهو غير معصوم في نظر أغلب البشر، فتكون نسبة الخطأ والاشتباه بنظرهم واردة؛ ومن هنا نجد أنّ الله ﷻ يسدّد رسله وأنبياءه بالحجج الدامغة التي وصلت إلى درجة عجز البشر عن مجاراتها والإتيان بمثورها، فمعجزات الأنبياء أوضح من أن نسردها في هذه المقالة، فهي متنوّعة بحسب مقتضيات كلّ زمان ومكان. نعم، علاوة على ذلك فإنّه ﷻ قد أرشد العقل إلى كيفية الاستدلال على وجوده تعالى ووحدانيّته، فقد قال عزّ من قائل: ﴿سَرُّهُمْ ءِإِنِّنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالَهُةٌ إِلَّا ءِاللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾<sup>(٢)</sup>. وقال كذلك: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من البراهين<sup>(٤)</sup>، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فإنّ هذه المعاجز والبراهين والحجج الإلهية علاوة على إثباتها المدعى الذي جاء به الرسل والأنبياء، فهي تكون بمنزلة الإدانة القانونية لكلّ المخالفين والسائرين على غير النهج الإلهي؛ وعليه فإنّ كلّ ما سوف يُصيبيهم من عذاب أخروي يكون مبرراً ولا يحقّ لهم الاعتراض عليه، قال تعالى: ﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقال أيضاً: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

(١) فصلت: آية ٥٣.

(٢) الأنبياء: آية ٢٢.

(٣) فاطر: آية ١٥-١٦.

(٤) للاطلاع أكثر على هذه البراهين أنظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن: ج ١، ص ١١١-٢٢٦.

(٥) الإسراء: آية ١٥.

بَعْدَ الرُّسُلِ...»<sup>(١)</sup>، فعلى الرغم من كونه **عَرَضًا**: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>،  
 إلا أن حكمته اقتضت أن تكون حجته بالغة، فلا تَبْقِي أَيَّ عذرٍ لمعتذر، قال تعالى:  
 ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. أي: إن المشيئة الإلهية اقتضت  
 اختيار الخلق وعدم إجبارهم على الإيمان والانصياع لأوامر الله تعالى، والدليل على  
 هذا الاختيار هو أن الآية الأخيرة جاءت ردًّا على الاعتراض الوارد في الآية السابقة  
 عليها: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا...﴾<sup>(٤)</sup>، وعليه  
 يكون المعنى المقصود منها هو أن جميع الحجج سواء كانت من النوع الباطن الذي  
 تحكم به العقول البشرية، أم من النوع الظاهر الذي جاءت به الرسل والأنبياء<sup>(٥)</sup>،  
 كلها تفنّد هذه الدعوى؛ وذلك لأنّه لو كانت المسألة جبرية فلا حاجة إلى كلّ هذه  
 الأدلّة والحجج<sup>(٦)</sup>.

والنتيجة؛ إننا في أيّ دعوى نروم إشاعتها بين الناس لا بدّ أن نكون متسلّحين  
 بالحجج الكافية التي نستطيع من خلالها إفحام الخصم، وإخلاء سبيلنا تجاه أيّ تبعه  
 سوف تواجهه جرّاء مخالفته للدعوى التي نحن بصدددها.

هذا، وإننا لو نقلنا الحديث في هذا الموضوع إلى حركة أبي عبد الله عليه السلام ضدّ بني  
 أميّة، لوجدنا أنّه عليه السلام على الرغم من كونه هو الحجّة على الخلق كما نصّت عليه بعض  
 الروايات<sup>(٧)</sup>، إلا أنّّه في حركته وما حصل فيها من مواقف سعى حثيثاً إلى إقناع الطرف

(١) النساء: آية ١٦٥.

(٢) الأنبياء: آية ٢٣.

(٣) الأنعام: آية ١٤٩.

(٤) الأنعام: آية ١٤٨.

(٥) هذا التقسيم ناظر إلى ما رُوي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «إنّ الله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام...». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٦.

(٦) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٤، ص ٥٠٣.

(٧) فقد روى سدير عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «... نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق

المقابل بمواقفه، وأن همّه الوحيد هو إرساء المفاهيم الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونبذ الظلم، فهو سليل الدوحة المحمدية التي أخرج الله بها الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق والإيمان؛ ومع هذا فكيف يرى الإمام الحسين عليه السلام - وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله - أن الجاهلية العمياء تعود من جديد ولا يُجْرَك ساكناً؟! هيهات من ذلك. ابتدأ الإمام الحسين عليه السلام معارضته للسلطة بإقناع أجهزتها الحاكمة بعدم صلاحية يزيد للخلافة، وذلك بذكر جملة من الأمور المسلمة - كما أشرنا في القسم الأول من هذا المقال - التي يتّصف بها يزيد والتي لم ينفها الوليد نفسه، فمع إقرار هذا الوالي بهذه الأمور كيف سوّغ لنفسه القبول بحكومته، ألا يدخل هذا الأمر ضمن دائرة العناد والانحراف الواضح عن الحق؟! هذا الانحراف الذي يكون سبباً للاستهتار بكلّ القيم الدينية، ويكون مثل المتلبّسين به كمن ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فقد أعدم هؤلاء الحجّة على صحّة منحاهم ولم يبق أمامهم إلاّ التشبث بالعناد والتضليل العامّة؛ ومن هنا كانت حركة الإمام عليه السلام من أجل كشف هذا التزييف والتضليل وإتمام الحجّة على جميع من سيخنع ويرضى بتسلّط هذه الشرذمة على رقاب المسلمين. نعم، إنّ مشروعه ودمه الطاهر سوف لا ينحسر بانتهاء هذه المعركة والانتصار الظاهري لبني أميّة، فإنّه وإن أتمّ الحجّة على أولئك القوم، وألحق بهم العار والشنار

الأرض». العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٨٣. وروى عبد الله بن أبي يعفور عنه عليه السلام أيضاً قوله: «... فنحن حجج الله في عباده، وخزّانه على علمه، والقائمون بذلك». الصقّار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات: ج ١، ص ١٠٤-١٠٥. وروى عن الإمام الرضا عليه السلام - في رواية طويلة تحدّث فيها عن الإمامة - قوله: «الإمام يُحلّ حلال الله، ويُحرّم حرام الله، ويُقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم». البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن:

ج ٤، ص ٢٨٣.

(١) المؤمنون: آية ١١٧.

إلى أبد الأبدین، إلا أنه ﷺ منح هذه النهضة المباركة بُعداً معنوياً، وهو صيرورتها - من خلال الذكر المتواصل لها - بمنزلة إقامة متواصلة للحجة على الناس أن يبحثوا ويسألوا ويستقصوا الحقائق، وألا يكتفوا بالتقليد ومحاكاة الآخرين.

وعلى الرغم من وضوح هذا البعد في نهضة الحسين ﷺ، إلا أننا نشير إلى بعض المواقف التي أقام فيها ﷺ الحجة على خصومه، ومنها: مفاوضاته مع ابن سعد، وذلك أثناء اللقاء به قبل يوم العاشر، فقال ﷺ له في تلك الجلسة: «ويلك يا ابن سعد، أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى. فقال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري. فقال (له) الحسين ﷺ: أنا أبنيتها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي. فقال الحسين ﷺ: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز. فقال: لي عيال وأخاف عليهم. ثم سكت ولم يجبه إلى شيء»<sup>(١)</sup>.

فإن هذا إذعان من ابن سعد بحقانية الإمام الحسين ﷺ في دعوته، فهو لم يرد عليه ويبيّن بآته على باطل، وأن الحق مع أسياده، وإنما تدّرّع ببعض الأعدار الواهية التي لا تتناسب مع شأن قادة الجيوش؛ إذاً، فهذه الكلمات التي قالها ﷺ هي بمنزلة تذكير هذا العليج بأن ما يتشبّث به هي في الحقيقة أمور سخيفة قياساً بما سوف يلحقه من منزلة عظيمة في حال أنه انضم إلى صفوف جيش المولى أبي عبد الله الحسين ﷺ، فهو ابن بنت رسول الله ﷺ وريحانته، لكن هيهات هيهات هؤلاء القوم هم مصداق لقوله تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أمّا في صبيحة اليوم العاشر من المحرم عندما اصطفت الجيوش للمناجزة، فقد كان ﷺ غير راغب بوقوع الحرب ولم يبادر القوم بالقتال<sup>(٣)</sup>؛ وحاول جاهداً أن يثني

(١) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين ﷺ): ص ٢٣٩. وأنظر: الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٩٢-٩٣.

(٢) النمل: آية ١٤.

(٣) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٦. وأيضاً: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٢.

القوم عن عزيمتهم بالتورط بسفك دمه الطاهر، فقد خطب فيهم في ذلك اليوم محذراً إياهم من مغبة فعلهم هذا ومقياً الحجّة عليهم، قائلاً: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾... أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! أأست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه، وابن عمّه، وأول المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه، أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّي، أو ليس جعفر الطيار في الجنّة بجناحين عمّي، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فإن صدقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنّ فيكم (من لو) سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يُخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!»<sup>(١)</sup>.

فهذا التذكير منه ﷺ هو من أجل إقامة الحجّة بالشكل الذي لا يدخل معه شكّ ولا ريب، وكان من المفترض على الشخص غير الجاحد أن يُدعن لهذا النداء، إلّا أنّه قد اكتسى الرين تلك القلوب وأصبحت أقسى من الحجارة الصمّاء، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>(٣)</sup>؛ فيأتيه جواب اللعين شمر بن ذي الجوشن وقيس

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) المطففين: آية ١٤.

(٣) البقرة: آية ٧٤.

ابن الأشعث بأثمها لا يدريان ما يقول عليه السلام، بينما سكت بعض آخر من الذين سمّاهم الحسين عليه السلام في خطبته أمثال: شيبث بن ربعي، حجّار بن أبجر، زيد بن الحارث، ودفنوا رؤوسهم في الرمل كالنعامة. نعم، القلوب الطاهرة النظيفة عندما تسمع هذه الكلمات ترى بأثمها أمام حجّة تامّة لا يمكن تجاوزها وغمض البصر عنها، وهذا ما حصل للحرّ بن يزيد الرياحي، فهو عندما سمع هذه الكلمات ووقف على عناد القوم وجحودهم للحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، قرّر ترك جبهة الكفر والالتحاق بقافلة الشهادة، بعد أن أعلن توبته وندمه عمّا فعله من جمعجعتة برحل الحسين عليه السلام ومنعهم من دخول الكوفة<sup>(١)</sup>.

والنتيجة التي نقف عليها هي أنّ هذه النهضة الحسينية التي لم تفارق القرآن بكلّ مواقفها، تضع بين أيدينا هذه الثمرة المعنوية، وهي أنّه من المفترض علينا في جميع مواقفنا التي نسعى فيها إلى رضا الله أن نكون متسلّحين بالحجّة التامّة، وأن نكون قادرين على إيصالها إلى الناس، من خلال امتلاكنا وسائل الإقناع الكافية، قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

### المحور الرابع: الآثار المعنوية المرتبطة بالجانب الحماسي والثوري

إنّ إرادة التغيير وعدم الانكفاء على نمط حياتي محدّد يُعدّ من المميّزات المفصلية التي يتمتع بها الإنسان، هذه الإرادة التي من المفترض أن تقوده إلى تحقيق النمط الأفضل في حياته على شتى الأصعدة: كالسياسي، والاجتماعي، والعمرائي، والأخلاق العملية. ونحن في المقام نظراً لتخصّص المقال بالجانب المعنوي نوّد تسليط الضوء على الصّعيدين السياسي والاجتماعي، مضافاً إلى الأهميّة البارزة التي يحظى بها هذان البُعدان وأثرهما الواضح في سائر الأبعاد الأخرى.

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢ ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) النحل: آية ١٢٥.

وعلى كل حال فالتغيير السياسي والاجتماعي نحو نمط يُحقق السعادة والحياة الهادئة هو من المتطلبات البشرية في كل زمان ومكان، إلا أنه مما يؤسف له قد يقف في وجه هذه الرغبة معوقات تمنع من ذلك، وتحاول إيقاف الإنسان على ما يريد مثيرو هذه الموانع من أنباط، محققين من وراء ذلك رغباتهم في التسلُّط على رقاب الناس ونهب ثرواتهم؛ لذلك فلا بد من حركة ثورية تكون دائماً في معرض إثارة هذا الجانب في النفوس، من أجل أن لا تنطفئ هذه الجذوة مهما كانت درجة التسلُّط والعنجهية التي يمارسها بعض في هذا المضمار. وقد كانت النهضة القرآنية التي بزغ نورها على يد النبي الخاتم ﷺ مشعلاً منيراً أضاء الدرب لمن كان يعيش في عصر ظلمات الجهل والانحطاط، وأوقفهم على ضرورة مواصلة الطريق من أجل تحقيق الدولة العادلة بقيادة خلفاء الرسول الشرعيين، لكن بسبب عوامل عديدة حصل تقهقر من قبل المسلمين ورجوع تدريجي إلى وحل الظلمات، وصل إلى ذروته في عصر الطاغية يزيد ابن معاوية، فاستدعى حينها من إمام تلك المدّة القيام بواجبه المقدّس من أجل شحذ الهمم والثورة ضدّ هذا الواقع المزري، وقد نتج عن عمله جملة من الآثار المهمة في هذا الجانب نستعرض اثنين منها بما يناسب المقام.

### ١- تدعيم مبدأ الولاية والقيادة

لا شك في أنّ من يشغل منصب قيادة المجتمعات البشرية - سواء كانت مدنية أم قبلية - يمتلك دوراً حسّاساً في تحديد مصير هذه المجتمعات نحو الأفضل أو الأسوأ، وبغض النظر عن المجتمعات الأخرى، فإننا كمسلمين عانينا الكثير من تسلُّط الجبابرة الذين كانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِيعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وأمام هذا العتو والتجبر فإنّ الشعوب إذا كانت خائفة راضية بذلك

(١) القصص: آية ٤.

غير مبدية لأية ردة فعل، فإن هذا التجبر سوف يصل إلى أمور لا تُحمد عقبائها، من قبيل ادعاء الربوبية والقدرة اللامتناهية، قال تعالى عن لسان فرعون بعد أن تهادى في غروره وجبروته: ﴿... أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾<sup>(١)</sup>، وقد سبقه إلى هذا الادعاء النمرود في قصة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيِّتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ...﴾<sup>(٢)</sup>. فإن الشعوب إذا رضيت بالهوان وغلب عليها الخوف؛ أعطت الطاغية فرصة وشجعت على الاستمرار والزيادة في البغي، ولنلاحظ مثال على ذلك ما ذكره القرآن الكريم بشأن قوم موسى عليه السلام، فإن غفلتهم وسكوتهم عن أعمال فرعون وقبولهم استبداده هو ما جرّاه عليهم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِئْتَانًا يَلُودُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الوقت الذي كان موسى عليه السلام يقوي فيهم حالة الصبر والاستعانة بالله على فرعون وجنوده، كانوا يواجهونه بالاستكانة والإحباط والذل والهوان: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونَ وَمُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكُوا الْعُنُقَ قَالَ سَنُنْزِلُ الْآبَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِكَ عَلَى الْآبَاءِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ \* قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ \* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

إذا؛ فالشعوب بحاجة إلى أن تكون واعية ويقظة دائماً في مقام تحديد الشخص الذي يتولى زمام الحكم فيها، وفي مقابل هذه الحاجة نجد أن القرآن الكريم قد تدخلت وكانت له كلمته الفصل في المقام، وذلك من خلال تبنيه نظرية سياسية مؤداها أن

(١) النزاعات: آية ٢٤.

(٢) البقرة: آية ٢٥٨.

(٣) الزخرف: آية ٥٤.

(٤) الأعراف: آية ١٢٧-١٢٩.

مَنْ يَتَصَدَّى لِإِدَارَةِ شُؤُونِ الْمُسْلِمِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخَذَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿... وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكُمْ وَمَا تَكْفُرُ بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرْ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْهُمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ رَبِّكُمْ فَسَاءَ لَكُم مَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم من الخلاف الذي دار بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الصحابة حول تحديد شكل القيادة للعالم الإسلامي - هل تكون بالتنصيب الإلهي، أو تكون بترشيح أهل الحل والعقد في الأمة الإسلامية؟ - إلا أنه لم يغيب عن الذهنية المسلمة اشتراط سير شخص خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله على وفق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وعدم مخالفتها<sup>(٣)</sup>، كيف لا! والآيات تؤكِّد بشكل لا يقبل الشكَّ ضرورة عدم خروج الحكم مهما كان نوعه عن محورية الله تعالى، فقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿... وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال أيضاً: ﴿... وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال كذلك: ﴿... وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وفي مقابل هذا التشخيص لسلوك الحاكم الماسك بزمام الأمر، يوجد هناك حثٌّ كبير على الثورة ومواجهة المستبدين والظالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ

(١) آل عمران: آية ٣٢.

(٢) الحشر: آية ٧.

(٣) خذ مثلاً ما قاله أبو بكر عندما وصل إلى هذا المنصب، فقد خطب بالمسلمين وكان ممَّا قاله: «أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) المائدة: آية ٤٤.

(٥) المائدة: آية ٤٥.

(٦) المائدة: آية ٤٧.

**الْقَرِيَةَ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا** ﴿١﴾، كما أن هناك

مدحاً للمجتمع الثائر غير الساكت على الظلم؛ وذلك لكونه من جملة المصاديق التي

تدخل تحت قول تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾** ﴿٢﴾. ومن الموارد الأخرى

للمدح هي أن الكلام بالأُمور السيئة مذموم في القرآن، إلا في مورد حصول الظلم،

قال تعالى: **﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾** ﴿٣﴾.

وعليه؛ ففي مورد تحقق الظلم الذي من أبرز مصاديقه ظلم الحاكم لرعيته والسير

فيهم على ما لا يُرضي الله ورسوله، سوف يكون مباحاً للناس التحدّث بصوت عالٍ

بهذا الظلم، وجوب الشوارع والخروج بالتظاهرات المنذدة بهذا الحاكم، والمطالبة

بالإصلاح أو العزل إن كان الإصلاح متعسراً، وهذا الفعل لا يمكن أن يُلام عليه

هؤلاء، وهو القائل في كتابه: **﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾** ﴿٤﴾.

إذا؛ فالمسلم الذي يحمل هذه الثقافة القرآنية، ينبغي له ألا يقبل بالظلم والجور

الممارس من قبل السلاطين والحكّام، وأن يكون موطناً نفسه على التضحية، فحتى

لو لم نعش ظرف الأُطروحة الإلهية لشكل الحكومة، فمن المفترض أن تكون عدالة

الحاكم تجاه رعيته، وتحصيل العيش الرغيد والأمن، واحترامه لدينهم ومشاعرهم

من الأمور المطلوبة التي لا محيص عنها.

هذا، وإننا إذا جئنا إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ الخالدة، لوجدنا

أنّها كانت تحمل هذا المسعى القرآني نفسه، فهي كانت خروجاً على الحاكم الظالم

الجائر، وكذلك تحديداً في الوقت نفسه لمن هو أولى بأن يقود هذه الأمة إلى برّ الأمان،

وكيف لا تكون كذلك، وقد كان السبب لحصولها هو رفض البيعة من قبله عليه السلام ليزيد

(١) النساء: آية ٧٥.

(٢) الشورى: آية ٣٩.

(٣) النساء: آية ١٤٨.

(٤) الشورى: آية ٤١.

الطاغية، فقد قال أبو عبد الله عليه السلام في مقام تعليل رفضه لبيعة يزيد مخاطباً مروان بن الحكم: «فإنَّ مَنْ لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن له ولا منه [إلا] أن يدعو إلى بيعة يزيد. ثم قال: إليك عني يا عدو الله! فإننا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان...»<sup>(١)</sup>، فإنَّ كلامه عليه السلام هذا فيه دلالة واضحة على تدخله في مقام تحديد الشخص الذي يتولَّى زمام الحكم في الدولة الإسلامية، بل الأكثر من ذلك فهو عليه السلام في كلام آخر يرى أنَّ هذا الحقَّ منحصر بأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، فقد قال: «أما بعدُ، أيها الناس فإنَّكم إن تتقوا وتعرفوا الحقَّ لأهله يكن أَرْضَى اللهُ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان»<sup>(٢)</sup>. وقد سبق هذا الكلام ما ورد في كتاب وجهه عليه السلام إلى أشرف البصرة، قال فيه: «أما بعدُ، فإنَّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله، وكنا أهله وأوليائه»<sup>(٣)</sup> وأوصيائه وورثته، وأحقَّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنَّنا أحقَّ بذلك الحقَّ المستحقَّ علينا ممَّن تولَّاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحقَّ، فرحمهم الله وغفر لنا وهم، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله؛ فإنَّ السنة قد أميتت، وإنَّ البدعة قد أحييت»<sup>(٤)</sup>.

فإنَّ الحركة التغييرية التي يكون هذا المفهوم حاضراً لديها، من المؤكَّد أن تترك ذلك كأثر في نفوس السائرين خلفها، حيث لم يألوا جهداً في إشاعتها بين الناس من

(١) الكوفي، أحمد بن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ١٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٣. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٧.

(٣) هكذا وردت في المصدر والصحيح: (أوليائه).

(٤) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٥-٢٦.

خلال إصرارهم على إقامة المراسم المتعلقة بهذه المناسبة على طول أيام السنة. ففي ذهن المسلم الشيعي وكلّ من يعايش في وجدانه هذه الحركة المعطاء نجد أنّ لمفهوم القيادة والولاية شكلاً خاصاً، قد يختلف تحديده بين زمن حضور الأئمة عليهم السلام وزمن غيبتهم، وكذلك يختلف الأمر في زمن الغيبة في مسألة تولّي الفقهاء لزمام الأمر أو عدم تولّيهم، وعلى الرغم من كلّ التشقيقات إلّا أنّ القاسم المشترك لشكل الحكومة التي انبثقت من حركة أبي عبد الله عليه السلام يستند إلى أمرين مهمّين، هما: إقامة العدل، وحفظ الهوية الدينية للمجتمع الإسلامي، فإنّ الخطابات الواضحة والمتكرّرة من الإمام الحسين عليه السلام، التي يصف بها يزيد بانتهاك الحرمات الإسلامية وارتكابه لجرائم القتل، وكذلك كلامه في كتابه إلى أهل البصرة المتقدّم (بأنّ السنة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت)، كلّ هذه الأمور يتبيّن منها بشكل واضح لا يقبل الشكّ بأنّ نظام بني أمية في عهد هذا الفاجر كان يسعى إلى إذابة المفاهيم الإسلامية في المجتمع، وإرجاع الناس إلى جاهليّتهم الأولى وإلى زمن العبودية والرقية للأسياد وزعماء البيوتات الذين يتحكّمون بمصائر العباد والبلاد، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُورِمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والمحصّلة التي نخرج بها من هذه النقطة هي أنّ السائرين على نهج القرآن الكريم والرسول الكريم والمكملين هذا السير بتماهيهم مع النهضة الحسينية قلباً وقالباً، سوف يكونون رافضين لستى الحكومات التي ابتعدت عن الأمرين المهمّين المبيّنين أعلاه، فإنّ شعارهم دوماً هو مؤدّى قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وعليه؛ فإنّ هذا الرفض الذي يعيше الشيعة في كلّ

(١) المائة: آية ٥٠.

(٢) الأعراف: آية ١٩٦.

(٣) المائة: آية ٥٥.

مكان ما هو إلا مصداق لهذا التقولب بهذه المفاهيم القرآنية والحسينية؛ مما حدا ببعض أن يُطلق عليهم الرافضة، وفي الحقيقة هذا اللقب الذي سعى من خلاله الطغاة إلى التنكيل بهم هو شرف لهم، فهم رافضة لكل أنواع الظلم والاضطهاد الذي مارسه الظلمة على طول مسار التاريخ، وبشّتى الصور والعناوين التي تلبّسوا بها، موهمين السدّج بأنّهم المحافظون على الرسالة الإسلامية، وأنّهم الأصلح من غيرهم في إدارة شؤون البلاد والعباد.

## ٢. التضحية في سبيل الله

إنّ من أجمل النعم التي يلتذّ بها الإنسان ويحرص عليها هي نعمة الوجود والحياة، فهو يسعى جاهداً إلى البقاء أطول مدّة ممكنة في هذه النشأة، ولو تمكّن من الخلود لما آلى جهداً في تحصيله وإبعاد شبح الموت عنه، وهذا الأمر لا يختصّ بالمنغمسين بالمادّيات البعيدين عن النور الإلهي كما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ وإنّما نجد هذه النعمة محبّبة ومرغوباً فيها حتّى عند المؤمنين، قال تعالى في قصّة إخراج آدم من الجنة: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ نَّهِيَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، لكن الفارق بين الصنفين هو أنّ المؤمنين يسعون إلى البقاء في هذه الدنيا مستثمرين ذلك في اكتساب مرضاة الله، والحصول على درجات القرب الإلهي العليا؛ وعليه فهذه النعمة ثمينة عند الجميع إلا من شدّ.

ومن الأمور الأخرى التي يسعى الإنسان إلى تحصيلها في هذه الحياة الدنيا هي الأموال والأبناء والنساء، قال تعالى: ﴿زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

(١) البقرة: آية ٩٤-٩٥.

(٢) الأعراف: آية ٢٠.

وَالْبَيْنَ وَالْقَنْطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ  
وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١﴾، بل عدّ الأمران  
الأولان من مظاهر الجمال لهذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا...﴾ (٢).

فهذه الأمور رغم أهميتها البالغة والألم الشديد الذي يصاحب فقدانها، خصوصاً  
في مسألة الأنفس، إلا أننا نجد أنّ الإنسان قد يجعلها في مواضع العطب والتلف أو  
يتخلّى عنها ويضحّي بها في لحظة من لحظات حياته لقيمة أعلى وغاية أسمى، وهي  
إعلاء كلمة الحقّ ونصرة الدين والدفاع عن المظلومين، وكلّ ما يكون في سبيل الله عزّ وجلّ،  
وهذا الجهاد والتضحية كانا مورداً للمدح والثناء في القرآن وفي موارد عديدة، منها:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ  
الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣).

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ (٤).

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٥).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفٍ نُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦).

(١) آل عمران: آية ١٤.

(٢) الكهف: آية ٤٦.

(٣) النساء: آية ٩٥.

(٤) الأنفال: آية ٧٢.

(٥) الحجرات: آية ١٥.

(٦) الصف: آية ١١.

إلى غير ذلك من الآيات التي تصوّر لنا المنزلة العظيمة التي يحظى بها مَنْ يضع أعزّ ما يملك على كفه ويقدمه فداءً لله تعالى، كيف لا! إذ لولا جهود هؤلاء البواسل لكان المجتمع معرضاً للوقوع في الفتنة<sup>(١)</sup>، ولضاعت جميع جهود النبي ﷺ في تبليغ الدين الحقّ، قال تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولحلّ الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿... وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. ونظراً لهذه الأهمية البالغة نجد أنّ المولى ﷺ قد صوّر عملية التضحية هذه بصورة في غاية الروعة، فإنّه تعالى هو المالك المطلق لكلّ شيء في هذا الوجود، إلّا أنّه يجعل ذاته المقدّسة في موضع المشتري لما يريد أن يضحيّ به المجاهد في سبيله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>. ف«إذا أمعنا النظر في قوله: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يتضح جلياً أنّ الله تعالى يشتري الأرواح والجهود والمسااعي التي تُبذل وتُصرف في سبيله، أي: سبيل إحقاق الحقّ والعدالة، والحرية والخلاص لجميع البشر من قبضة الكفر والظلم والفساد»<sup>(٥)</sup>. هذا، وإنّ هذه التضحية هي علامة صدق واضحة للإنسان في

(١) بيّن بعضُ بأنّ الفتنة: «ذات معنى واسع تشمل كلّ أنواع الضغوط، فتارةً يستعملها القرآن بمعنى عبادة الأصنام والشرك الذي يشمل كلّ أنواع التحجّر والجمود واضطهاد أفراد المجتمع؛ وتُطلق الفتنة أيضاً على الضغوط التي يفرضها الأعداء، للوقوف بوجه اتّساع دعوة الإسلام، ولإسكات صوت أهل الحق، بل حتّى إرجاع المؤمنين نحو الكفر». الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٥، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٢) الأنفال: آية ٣٩.

(٣) البقرة: آية ٢٥١.

(٤) التوبة: آية ١١١.

(٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٦، ص ٢٢٨.

حبه لله تعالى، فالشوق للقاء المحبوب هو من صفات المتقين، قال أمير البيان عليه السلام: «ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين؛ شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب»<sup>(١)</sup>؛ ومن هنا يكون لقاءهم بالحق بعد تضحيتهم بأنفسهم واستشهادهم في سبيله من دواعي الفرحه والبهجة، قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا المبدأ القرآني السامي نراه تجلّي بأروع صورته في واقعة الطفّ الخالدة، فالإمام الحسين عليه السلام وجميع من معه - سواء الذين نالوا شرف الشهادة أم الذين تحمّلوا أعباء الأسر والسبي - قد ضحّوا في سبيل كلمة الحقّ، فهو عليه السلام وضع نفسه الشريفة ونفوس جميع أهل بيته وأصحابه فداءً لهذا الدين الحنيف، ومن أجل إنقاذ الناس من عمى الجهالة التي كان من المقرّر إرجاعهم إليها من قبل بني أمية، نقرأ في زيارة الأربعين: «وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»<sup>(٣)</sup>، فهو عليه السلام صرّح في المراحل الأولى لهذه النهضة المباركة بأنّ منهاجه هو التضحية في سبيل الله والرغبة في لقاءه؛ ومن هنا فهو عليه السلام كان يوطن من معه على أن يكونوا على استعداد كامل لهذا الأمر، فقد ورد في خطبته عند خروجه عليه السلام إلى العراق: «من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل فإني راحل مصباحاً إن شاء الله»<sup>(٤)</sup>.

هذا المفهوم الذي أبانه الإمام عليه السلام في بداية حركته كان له الأثر البالغ في نفوس الخلّص الذين بقوا معه ونالوا شرف الشهادة في سبيل الله، فهذا علي الأكبر (سلام الله عليه) عندما رأى أنّ والده الحسين عليه السلام - في طريق كربلاء - يسترجع ويحمد الله بعد أن هوّمت عيناه وهو على فرسه، أقبل عليه متسائلاً: «مّمّ حمدت الله واسترجعت؟

(١) نهج البلاغة: ص ٣٠٣، خطبة ١٩٣.

(٢) آل عمران: آية ١٧٠.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٨٢.

(٤) الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخواطر: ص ٨٦.

فقال [عليه السلام]: يا بُني، إنّي خفقت خفقةً فعنّ لي فارس على فارس وهو يقول: القوم يسرون، والنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا. فقال له: يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟ قال [عليه السلام]: بلى، والذي إليه مرجع العباد. قال: فإننا - إذاً - لا نبالي أن نموت محقّين»<sup>(١)</sup>.

وهو المنطق ذاته الذي عبّر عنه أصحابه ليلة العاشر من المحرمّ عندما جعلهم الإمام [عليه السلام] في حلّ من بيعته وسمح لهم بالانصراف عنه، فقد كان جوابهم بلسان واحد: «الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك»<sup>(٢)</sup>.

وبالفعل فقد بقي هؤلاء إلى آخر رمق من حياتهم، وهم يستبشرون بالمصير الذي سيلاقيهم، فهم فرحون قبل مفارقة أرواحهم لأبدانهم، وهذه الحالة كانت من دواعي البشري للإمام [عليه السلام] نفسه، فإنّ صمود هؤلاء الخالصّ وثباتهم كان له الدور الكبير في تحقيق الانتصار المعنوي لهذه النهضة المباركة، ودوام عطائها في كلّ زمان ومكان إلى يوم القيامة؛ ومن هنا نجد أنّ التوجّس الذي كانت تعيشه العقيلة زينب [عليها السلام] هو ما يفرضه الموقف وطبيعة المواجهة، فقد قالت متسائلة: «أخي، هل استعلّمت من أصحابك نيّاتهم، فإنّي أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأستة؟»<sup>(٣)</sup>، وهنا يأتي جواب الإمام الحسين [عليه السلام] للعقيلة زينب [عليها السلام] جواباً مطمئناً، ومعبراً عن حالة الفرح والسرور الذي يعيشه هؤلاء الأفاضل، وهم يقدّمون أنفسهم قرايين فداءً في سبيل الله تعالى ونصرة لإمامهم، فقد قال [عليه السلام] في هذا الصدد: «أما والله، لقد نهرتهم وبلوتهم وليس فيهم [إلا] الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أمّه»<sup>(٤)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٨.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم [عليه السلام]، موسوعة كلمات الإمام الحسين [عليه السلام]: ص ٤٩٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٩٣.

هذا جانب جزئي من الأقوال والتصريحات التي قيلت في هذه الواقعة الخالدة، والمفعمة بمعاني التضحية والفداء. أمّا التجسيد الواقعي لهذه المفاهيم، فهو ممّا لا يكاد يخفى على كلّ من أنصف نفسه وجردّها عن أتباع الهوى والشیطان، فالمصير الذي انتهى إليه المقاتلون المشاركون في هذه الواقعة لم يكن لشيء من حطام الدنيا، بل كان لغاية سامية تتماهى مع الغاية التي استشهد من أجلها أبو عبد الله عليه السلام، والتي هي عبارة عن إحياء الدين الإسلامي، وزعزعة عروش الطغاة والجبابة، فهي - إذاً - تضحية في سبيل الله ومرضاته، وقد تجلّت صورة هذه التضحية في الموقف الشجاع للحوراء زينب عليها السلام، ذلك الموقف الذي واجهت به طاغية الكوفة عبيد الله بن زياد عندما سألها متهكماً وشامتاً: «كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟» فقد أجابته بقلب ملؤه الثقة بالله: «ما رأيت إلاّ جيلاً، هؤلاء قوم كُتِبَ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فأنظر لمن الفلج، هبلك أمك يا بن مرجانة»<sup>(١)</sup>. وهذه العبارة تحمل المدلول نفسه الذي حملته العبارة المشهورة عنها عليها السلام يوم عاشوراء، عندما وقفت على مصرع أخيها الحسين عليه السلام قائلة: «اللهم تقبل منّا هذا القربان»<sup>(٢)</sup>.

وبالنتيجة؛ فإنّ من يعيش هذه النهضة بروحه وكيانه ويتفاعل معها، وتكون منهاجاً له يُضيء دربه، سوف يكون مستعداً للتضحية بكلّ ما يملك في سبيل إعلاء كلمة الله، ولا يكون أداةً طيعةً بيد طغاة العصر مهما بلغت أساليبهم الظالمة في إسكات صوت الحقّ.

وهذا الاستعداد للتضحية إذا ما ترسّخ واستحكم في النفوس بفعل تعميق العطاء الحسيني القرآني في هذا الجانب، فإنّه يمكن أن يخلق وعياً ثورياً لا على الواقع السياسي فحسب، بل على مستوى الواقع المجتمعي أيضاً، فسوف يولّد جيلاً يحمل همّ الثورة والاستعداد للتضحية بالمال والوجاهة والنفس أحياناً في سبيل تقويم

(١) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مشير الأحران: ص ٧١.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٣٠١.

مسار المجتمع أمام موجات الانحراف التي يقودها رواد الحرب الناعمة، فخطر هؤلاء لا يقل خطورةً عن الطواغيت والجبابة.

إن ضياع الشباب وانصياعهم أمام موجات الإلحاد التي تقودها دوائر المخبرات والشركات الساعية إلى إشاعة الانحلال والميوعة، يجعلنا بحاجة ماسة إلى موقف جادٍ لجيل واعٍ يجمع بين قوة الفكر وحسن العمل والانصياع الكامل لمرجعية عالمية واعية تتابع عمله باستمرار، وهذا التمازج لا يمكن أن يتحقق إلا في جيل تشبّع بمفاهيم النهضة الحسينية وسرت في دمائه، فهو من يكون مستعداً للتضحية بروحه وراحته خدمةً لمجتمعه وحفاظاً على هويته الدينية.

## الخاتمة

إن الانتصار المعنوي الذي تحقّق للنهضة الحسينية جعلها جديرة بالبحث والتحقيق من زوايا عديدة، ومن دون أدنى شكّ فإنّ الحديث عن البعد القرآني في حركة التغيير هذه يحتلّ درجة عليا من الأهمية، فإنّ القرآن الكريم هو الدستور الخالد للرسالة الإسلامية، وهو المنبع المصان من التحريف والتزييف؛ وعليه فإنّ الاندكاك بين مفاهيم هذه النهضة المباركة ومعطياتها وبين القرآن الكريم، سيمنحها مقوماً مهماً آخر يُضاف إلى المقومات الأخرى التي تقدّم الحديث عنها في بداية القسم الأوّل من هذا المقال. ونحن عندما حاولنا الحديث عن هذا التمازج بين القرآن وبين حركة أبي عبد الله عليه السلام في واقعة الطفّ الخالدة، قد حدّدنا منذ البدء بأننا بصدد بيان قرآنية هذه النهضة على صعيد مخرجاتها والثمرات التي انبثقت منها وحسب.

ثمّ إنّ هذه الآثار التي نحن بصدها هي خصوص الآثار المعنوية. ونتيجة لسعة هذه الثمرات والبركات التي هي كالبحر المتلاطم، والتي لو أراد الباحث الخوض في جزئياتها وتفصيلها لأحوجه ذلك إلى وضع خطة لتأليف كتاب مستقلّ؛ ومن هنا صار بناؤنا على الاختصار والاقتصار على عرض توصيفي تحليلي لبعض الآثار

بشكل كلي.

وقد تمت دراسة جميع هذه الآثار في ضوء الآيات القرآنية وكلمات المولى أبي عبد الله عليه السلام ومواقفه، ومواقف الأفاضل الذين كانوا معه سواء من أهل بيته الطاهرين أم صحبه البررة.

ونحن - وكما أشرنا في القسم الأول من هذا المقال - سعينا في هذه الدراسة إلى ترسيخ مفهوم المعية التي أقرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، فعدم الافتراق بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام ينبغي أن يكون حاضراً في حياة المسلمين، يستشعرونه في كل حركاتهم وسكناتهم، فهو المؤمن لهم من الوقوع في الضلال كما نصّ على ذلك صلى الله عليه وآله.  
والحمد لله ربّ العالمين.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٣ - الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع.
- ٤ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ترجمة وتلخيص: محمد علي آذرشب، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى،

١٤٢١ هـ.

- ٥ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، حققه وعلّق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- ٦ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.
- ٧ - البرهان في تفسير القرآن، هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق وتصحيح: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، نشر مؤسّسة البعثة، قم المقدسة - إيران، ١٤١٦هـ.
- ٨ - بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفّار (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق وتصحيح: ميرزا محسن كوجه باغي التبريزي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٩ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ١٠ - تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ١١ - تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم رسولي محلاتي، المطبعة الحيدرية، الطبعة الأولى، طهران، ١٤٢٢هـ.
- ١٢ - تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، حققه وعلّق عليه: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.
- ١٣ - جواهر التاريخ، علي الكوراني، دار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

- ١٤ - حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٤/١٩٧٤ م.
- ١٥ - الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م.
- ١٦ - عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (الإمام الحسين عليه السلام)، عبد الله البحراني (ت ١١٣٠ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/١٣٦٥ ش.
- ١٧ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأمين النجفي (ت ١٣٩٢ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.
- ١٨ - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٩٢٦ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/١٩٩١ م.
- ١٩ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨/٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ ش.
- ٢٠ - الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م.
- ٢١ - كتاب الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، حققه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ/١٣٦٢ ش.
- ٢٢ - اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، أنوار الهدى، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٢٣ - مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن محمد بن نما الحلّي (ت ٦٤٥ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ م.
- ٢٤ - مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري (ت ١٣٢٠ هـ)،

- تحقيق وتصحيح ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٥ - مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٢٦ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٧ - مفاتيح الجنان، عبّاس القمّي (ت ١٣٥٩ هـ)، تعريب: محمد رضا النوري النجفي، منشورات العزيزي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ ش / ٢٠٠٦ م.
- ٢٨ - مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٢١ هـ.
- ٢٩ - مقتل الحسين، لوط بن يحيى بن سليم الأزدي (ت ١٥٧ هـ)، تحقيق: حسين الغفاري، مطبعة العلمية، قم المقدّسة - إيران.
- ٣٠ - المنفعة، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.
- ٣١ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.
- ٣٢ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٣٣ - نزهة الناظر وتنبية الخاطر، الحسين بن محمد الحلواني (من أعلام القرن الخامس)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى المحقّقة، ١٤٠٨ هـ.
- ٣٤ - نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: صبحي صالح، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

٣٥- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

### المواقع الإلكترونية

٣٦- مأساة واقعة كربلاء في كتابات المستشرقين الغربيين، جعفر رمضان.

<https://uowa.edu.iq/arabic>.





# السلوكيات القرآنية في واقعة الطف

## سلوكيات الأسارى أنموذجاً

م. م. هدى كاظم عيسى الموسوي\*

### مقدمة

إنّ القرآن الكريم هو الدستور الإلهي الذي يحفظ للمرء كرامته على هذه الأرض، وقد جمع كل فنون الآداب والأخلاق، وجعلها نظاماً قوياً يسير على وفقه الإنسان. وقد أوكل الله ﷺ مهام تبليغه إلى النبي الأكرم ﷺ، ومن بعده العترة الطاهرة التي لاقت الأمرين في سبيل تطبيقه، وأبرز مصداق لذلك واقعة الطفّ الأليمة التي بلغت فيها الاستماتة قمّتها؛ من أجل تطبيق أحكام القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة، والعمل بهما.

ومن أعظم الأمثلة الشاهدة على ذلك شخص أسارى الطفّ في رحلة دامت قرابة شهرين، ففي قمة التعنيف الموجه ضدهم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، سطرّوا أروع المواقف في الالتزام بتعاليم القرآن الكريم، وبرهنوا على صدق إيمانهم، وحبهم الخالص لله تعالى؛ ولذا كان عنوان البحث موسوماً بـ (السلوكيات القرآنية في واقعة الطف.. سلوكيات الأسارى أنموذجاً).

وتوزّعت خطة البحث بعد المقدمة على تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، تضمّن التمهيد توضيحاً للسلوك الإنساني، وعلاقته بالقرآن الكريم، كما تناول المبحث

---

\* مدرس مساعد، ماجستير لغة عربية، المديرية العامة للتربية، البصرة.

الأول سلوكيات أسارى الطفّ التي تتعلّق بالجانب العبادي، أمّا المبحث الثاني فتناول سلوكيات الأسارى المرتبطة بالجانب الأخلاقي، وفي الخاتمة تناولت الباحثة أهمّ النقاط التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

### التمهيد: السلوك الإنساني في القرآن الكريم

حظي السلوك الإنساني باهتمام كبير لدى الدارسين في مختلف العلوم؛ لأنّه يمثل الأساس الذي بُنيت عليه الفلسفات والمبادئ الإنسانية بصورة عامّة، فما هو السلوك؟ وما مدى عناية القرآن الكريم به؟

عرّف السلوك بأنّه: «سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهاته، يقال: فلان حسن السلوك، أو سيّء السلوك. والسلوك في علم النفس: الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حيّ إزاء أيّ موقف يواجهه»<sup>(١)</sup>.

ثمّ إنّ السلوك يحدث تارةً بمحض إرادة الإنسان واختياره، وأخرى يحدث بصورة لا إرادية، ويمكن أن يتأثر بعوامل البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان<sup>(٢)</sup>.

وفي القرآن الكريم استعمل الفعل (سلك) بمعنى (دخل)، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: أدخلناه<sup>(٤)</sup>، «والسلوك الإدخال في الطريق والإمرار»<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿... فَأَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾<sup>(٦)</sup>، أي: فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك<sup>(٧)</sup>.

وبما أنّ السلوك متغيّر أصبح من الضروري أن يؤسّس له بالشكل الذي يخدم

- (١) الغامدي، رسمية علي، الضوابط السلوكية والمنهجية في القرآن الكريم: ص ١٣.
- (٢) أنظر: الفسفوس، عدنان أحمد، المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك: ص ١٣.
- (٣) الشعراء: آية ٢٠٠.
- (٤) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٧، ص ٣٥٤.
- (٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥، ص ٣٢٢.
- (٦) النحل: آية ٦٩.
- (٧) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ١٧٦.

الناس عامّة، لا مصلحة فرد بعينه، وما كان الله (سبحانه وتعالى) ليخلف الإنسان على أرضه ويأتمنه على جميع مخلوقاته دون أن ينظّم علاقاته وسلوكياته مع ربّه، ومع نفسه، ومع الآخرين من أبناء جنسه.

من هنا؛ فقد اشتمل القرآن الكريم على نظام سلوكي فريد، قائم على التوازن بين الجوانب الروحية (العبادات)، والجوانب المادّية الحسيّة (المعاملات)، وما تخلّلها من مبادئ إنسانية أساسية وقيم عليا، تضافرت مع بعضها من أجل بناء شخصية الإنسان على أسس من الثبات والمحافظة على القيم والتعاليم السماوية، والتخلّص من السلوكيات الخاطئة، والعادات الموروثة من الآباء والأجداد، والمخالفة للفطرة الإنسانية السليمة، كما جاء في خطاب جعفر بن أبي طالب للنجاشي، مبيّناً ما أقرّه الإسلام من السلوكيات الحسنة، ونبذ كلّ العادات السيئة؛ إذ قال له: «نعم، أيها الملك، خالفناهم. بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقّها، والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى...»<sup>(١)</sup>.

وخلاصة المسألة: أنّ تعاليم القرآن الكريم منظومة متكاملة من العبادات والمعاملات، والقيم الأخلاقية التي تُكسب الفرد القدرة على تشخيص سبل التعامل الصحيحة في علاقاته الأسرية والاجتماعية والدولية.

### **المبحث الأول: السلوكيات القرآنية لأسارى الطف على المستوى العبادي**

يُعدّ مشهد السبي الكربلائي بعد ظهيرة العاشر من المحرم، وانطلاق رحلة الأسرى والتكليف بهم قرابة شهرين، فاجعة مأساوية يتيمة في تاريخ الإنسانية، فعند مغيب شمس ذلك اليوم رُوّعت النساء والأطفال، وأدخل الرعب في قلوبهم،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢١٥.

وُهبّت وسُلبت ثم أُحرقت خيام العائلة الفاطمية، وفي وحشة الليل حيث امتلأت  
ساحة الغاضرية بالجثث الطاهرة، عزم الأعداء على شدّ الرحال وسوق النساء، ولا  
رجل معهم سوى الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان مريضاً.

وللباحثة أن تتساءل عما كان عليه السلوك العبادي والأخلاقي لأسارى آل  
محمد عليه السلام الذي تجسّد في آيات القرآن الكريم، وذلك في ظل تلك الأجواء المأساوية  
والأحوال القاهرة في واقعة الطفّ الغابرة، تلك الأجواء التي ما زالت وستبقى  
حاضرة في الأذهان.

وستنطرق في هذا المبحث إلى العبادات الأبرز التي التزم بها أسارى آل محمد  
(صلوات الله عليهم أجمعين)، وهي:

### أولاً: المحافظة على الصلاة

حثّ آيات الله المباركة على أداء الصلاة والمحافظة عليها، نحو قوله  
تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا  
إِنِّي اسْكَنْتُ مِنْ دَرِيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ  
أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وكأنّ في الآية وصفاً دقيقاً لما آل إليه الركب  
الحسيني وبقية الأسارى، فقد خلّد الله تعالى ذكرهم، وأسكن في قلوب الناس محبتهم  
إلى يوم القيامة.

ومن أمثلة المحافظة على الصلاة ما رُوي عن فاطمة الصغرى عليها السلام، أنّها قالت:  
«وأما عمّتي زينب، فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة (أي: العاشرة من المحرم) في محرابها  
تستغيث إلى ربّها، فما هدأت لنا عين، ولا سكنت لنا رنة»<sup>(٣)</sup>، ففي مثل هذه اللحظات

(١) البقرة: آية ٤٣.

(٢) إبراهيم: آية ٣٧.

(٣) النقدي، جعفر، زينب الكبرى: ص ٦٢.

الصعبة تخلد سيّدة الطفّ إلى الصلاة لتناجي ربّها، الأمر الذي يدلّ على أهمية الصلاة والمحافظة عليها، حتّى في أحلك الظروف وأشدّها.

كما نشاهدها عليها السلام تعتصم بربّها في رحلة السبي التي أمسى فيها الحال أسوأ؛ إذ لا ناصر ولا مُعين للنسوة والأطفال سوى الله تعالى، فكانت عليها السلام الكنف الحاني الذي تستمد منه بقيّة الأسارى الثبات على الإيثار والقيم في ظلّ العناء والفرع والجوع والعطش، وقد رُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «إنّ عمّتي زينب كانت تؤدّي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تُصليّ من جلوس، فسألته عن سبب ذلك؟ فقالت: أصليّ من جلوس لشدّة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال»<sup>(١)</sup>.

وتجد الباحثة في هذا القول بُعداً عن حقيقة عبادة السيّدة زينب عليها السلام؛ فالنافلة والواجبة سيّان عندها في هيئتها، وهي تقف بين يدي خالقها؛ لأنّ من يعرف الله حقّ المعرفة لا تطاوعه نفسه إلاّ القيام في حضرته هيبة وإجلالاً لعظمته؛ كما أنّ صلواتها عليها السلام قياماً في هذا الظرف العصيب يدلّ على صلابة إيمانها وقدرتها على مواجهة جميع المصاعب والتحدّيات.

## ثانياً: الاستشهاد بآيات القرآن الكريم

قد جعل الله سبحانه وتعالى في هذا القرآن تدبير كلّ شيء وحفظه من أيدي العابثين، منذ نزوله إلى قيام الساعة، وقد أمر نبيّه بأن يتلوه على أمّته، فقال عز وجل: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وحثّ تعالى المؤمنين على تلاوته، ورغبهم فيها، وأثابهم عليها، كما أوصانا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بقراءة القرآن والعمل بمضامينه في روايات كثيرة لا يسع المقام لذكرها.

(١) النقدي، جعفر، زينب الكبرى: ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) الكهف: آية ٢٧.

وأما أسارى الطفّ الخالد الذين نشأوا وترعرعوا في أحضان خاتم الأنبياء ﷺ وسيد الأوصياء عليه السلام والبضعة الزهراء عليها السلام، وهم القرآن الناطق، فقد غدوا في كربلاء والكوفة والشام الأنموذج الحيّ الذي تجسّدت في سلوكياته كلّ معاني القرآن الكريم. ويمكن الباحثة أن تستدل على تلك المعاني بما ورد من خطب أهل بيت الحسين عليه السلام، التي أُلقيت في مسيرة السبي، والتي كانت مفعمة بروح القرآن الكريم وكلماته، ومنها ما يلي:

### أ- خطبهم عليه السلام في الكوفة

١- الإمام زين العابدين عليه السلام: فقد جاء في خطبة له عليه السلام: «... رحم الله امرأ قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة»<sup>(١)</sup>، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد أراد عليه السلام أن يبيّن للناس أنّهم عليه السلام الأسوة والقدوة، وعلى الآخرين أن يقتدوا بهم ويحذوا حذوهم، فهم المثل الأعلى في تطبيق الأوامر الإلهية.

وفي حوار له عليه السلام مع ابن زياد جاء فيه: «... ثمّ التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام، فقال من هذا؟ فقيل: علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين عليه السلام؟! فقال علي عليه السلام: قد كان لي أخ يُقال له علي بن الحسين قتله الناس. فقال: بل الله قتله. فقال علي عليه السلام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾<sup>(٣)</sup>، فقد استشهد عليه السلام على كلامه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَلِكٍ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٢.

(٢) الأحزاب: آية ٢١.

(٣) الزمر: آية ٤٢.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٥.

(٥) الزمر: آية ٤٢.

٢- السيدة زينب عليها السلام: فمن كلام لها مع ابن زياد عندما سأها شامتاً: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتال، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فأنظر لمن يكون الفلج يؤمئذ، هبلتك أمك يا بن مرجانة»<sup>(١)</sup>، وهو يحيلنا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد اشتملت خطبتها عليها السلام التي ألقتها على أهل الكوفة على نصوص ومضامين قرآنية، مما يؤكد العلاقة التي تربط ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم، ومن ذلك قولها عليها السلام: «إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيهانكم دخلاً بينكم»<sup>(٣)</sup> في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>، وهو تمثيل لحال أهل الكوفة «بمرأة تغزل الغزل بقوّة، ثم تعود فتنقض ما أتعبت نفسها فيه وغزلته من بعد قوّة، وتجعله أنكاثاً، لا فتل فيه ولا إبرام»<sup>(٥)</sup>.

وقالت عليها السلام في الخطبة ذاتها: «... ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون»<sup>(٦)</sup> مشيرة إلى قوله تعالى: ﴿... لِنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصِرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، قال الطبرسي: «وهو العذاب الذي يجزون في الدنيا، فيوقنوا بقوّة معذبهم، وبقدرته عليهم، ويظهر ذلك لمن رأى حالهم. (ولعذاب الآخرة أخزى)

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٤.

(٢) آل عمران: آية ١٥٤.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٤) النحل: آية ٩٢.

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٣٣٥.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٧) فصلت: آية ١٦.

وأفصح من ذلك، (وهم لا ينصرون)، أي: لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم»<sup>(١)</sup>.  
 ٣- السيِّدة فاطمة الصغرى عليها السلام: قالت في خطبة لها: «... فَإِنَّ مَا أَصَابَنَا مِنَ  
 المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسير؛  
 لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحبَّ كلَّ مختالٍ فخور»<sup>(٢)</sup>، وفيه  
 تضمين لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
 مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا  
 آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ومعنى الآية: «أخبرناكم بكتابة  
 الحوادث قبل حدوثها وتحقيقها؛ لئلا تحزنوا بما فاتكم من النعم، ولا تفرحوا بما أعطاكم  
 الله منها؛ لأنَّ الإنسان إذا أيقن أنَّ الذي أصابه مقدر كائن لا محالة لم يكن ليخطئه، وأنَّ  
 ما أوتيه من النعم وديعة عنده إلى أجل مسمّى لم يعظم حزنه إذا فاتته، ولا فرحه إذا  
 أُوتيه»<sup>(٤)</sup>.

كما أنَّ الآية المباركة تتضمَّن أربعة أشياء، هي: حسن الخلق، واستحقار الدنيا،  
 وتعظيم الآخرة، والافتخار بالله دون أسباب الدنيا<sup>(٥)</sup>.

وقالت عليها السلام أيضاً: «فيسحتكم بعذاب، ويذيق بعضكم بأس بعض... والله قست  
 قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسوّل  
 لكم الشيطان، وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة»<sup>(٦)</sup>، ففي هذه الفقرة تضمَّن عليها السلام  
 خطابها آيات قرآنية تُشير مضامينها إلى افتراء أهل الباطل، ودفاعهم عن باطلهم،  
 وإلى ما انتاب الناس من غفلة واجتماع على أمر لا يعلمون عواقبه، يتبعون كلَّ

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ١٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١١.

(٣) الحديد: آية ٢٢ - ٢٣.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ١٦٧.

(٥) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٤٠٠.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٠.

ناعق؛ فهم كالأعمى والأصم، فقولها: (يسحتكم بعذاب) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾<sup>(١)</sup>، «وقوله: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ تفریع على النهي، أي: لا تشركوا بالله حتى يستأصلكم ويهلككم بعذاب بسبب شرككم، وتنكير العذاب للدلالة على شدته وعظمته»<sup>(٢)</sup>.

وقولها ﷺ: «وختم على سمعكم وبصركم... وجعل على بصركم غشاوة» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، «والمعنى: أن الكفر تمكّن من قلوبهم، فصارت كالمختوم عليها، وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع... إن الله وصف من ذمه بهذا الكلام، بأن قلبه ضاق عن النظر والاستدلال، فلم ينشرح له»<sup>(٤)</sup>.

٤- السيدة أم كلثوم ﷺ: فمما كان من كلامها على الصبغة القرآنية قولها ﷺ: «... ألا إن حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون»<sup>(٥)</sup>، وهو مشتمل على الوسم الذي تضمّنه كتاب الله تعالى للتمييز بين الحزبين، والذي جاء في عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٧)</sup>. وقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) طه: آية ٦١.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٤، ص ١٧٤.

(٣) البقرة: آية ٧.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٩٦ - ٩٧.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩١.

(٦) المائدة: آية ٥٦.

(٧) المجادلة: آية ٢٢.

(٨) المجادلة: آية ١٩.

ويبدو أنّ السيِّدة أمّ كلثوم كانت دقيقة في وصف معسكري النزال بآيات صريحة تكشف عن الصراع الأزلي بين قوى الخير (حزب الله)، وقوى الشرّ والظلام (حزب الشيطان).

### ب. خطبهم ﷺ في الشام

ومن أجل التدليل على السلوك القرآني لذرية رسول الله ﷺ، ستورد الباحثة رواية تستدلّ من خلالها على الفهم العميق والارتباط الشديد لأسارى الطفّ بالقرآن الكريم، وما اشتمل عليه من شرائع وأحكام ارتسمت صورها في رحلة السبي الاستثنائية:

«قال الراوي: وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين ﷺ وعياله وهم في ذلك الموضع، فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين ﷺ: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١)</sup>؟ قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقال علي ﷺ له: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت في بني إسرائيل ﴿وَأَتِ دَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>؟ فقال الشيخ: قد قرأت. فقال: علي بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>(٣)</sup>؟ قال: نعم. فقال له علي ﷺ: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. فقال علي ﷺ: فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بأية الطهارة يا شيخ. قال الراوي: فبقى الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟ فقال: علي بن الحسين ﷺ: تالله، إنا لنحن هم من غير

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) الإسراء: آية ٢٦.

(٣) الأنفال: آية ٤١.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

شك، وحق جدنا رسول الله ﷺ. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إنا نبرأ إليك من عدو آل محمد ﷺ من جن وإنس. ثم قال: هل لي توبة؟ فقال له: نعم...»<sup>(١)</sup>.

وأما خطبة السيِّدة زينب ؓ التي ألقته في مجلس يزيد، والتي تبلورت فيها آيات الله تعالى، فقد جاء فيها: «ثمَّ كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن»<sup>(٢)</sup>، وهو نصُّ الآية (١٠) من سورة الروم، كما ضمَّنت خطبتها نصُّ الآية (١٧٨) من سورة آل عمران، فقالت: «ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنَّا نملي لهم خيرٌ لأنفسهم، إنَّا نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهينٌ»<sup>(٣)</sup>، وهنا تتوعَّد عليَّة يزيد بزوال ملكه، فلا يغتر بهذا الإمهال، فما هو إلا زيادة في آثامه لمعاندته وصلافته، وتجربته على ذرية الصادق الأمين ﷺ، ومَن يفعل هذه الجرائم فلا شكَّ في أن عاقبته جهنم مها طال بقاؤه في الدنيا، يقول مكارم الشيرازي: «ولقد استدلَّت بطلة الإسلام زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب ؓ بهذه الآية في خطابها المدوِّي والساخن أمام طاغية الشام (يزيد بن معاوية)، الذي كان من أظهر مصاديق العصاة والمجرمين، الذين قطعوا جميع جسور العودة على أنفسهم بما ارتكبوه من فظيخ الفعال، وما اقترفوه من شنيع الأعمال»<sup>(٤)</sup>.

وقابلت عليَّة بين هذه العاقبة السيئة ليزيد وجنده والعاقبة الحسنة والحياة السرمديَّة للحسين ؓ وأهل بيته وأصحابه، مستشهدة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>. ومن صور المقابلة بين

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٣، ص ١٤ - ١٥.

(٥) آل عمران: آية ١٦٩.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٧.

المعسكرين قولها عَلَيْهِمَا ليزيد: «ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

وأما قولها عَلَيْهِمَا ليزيد: «حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد»<sup>(٢)</sup>، فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>، وأن القرآن الكريم حجة على يزيد بأنه سيلقى جزاء ما اقترفت يده.

وفي قولها عَلَيْهِمَا: «ألا لعنة الله على الظالمين»<sup>(٤)</sup>، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ومعنى اللعن الإبعاد من رحمة الله<sup>(٦)</sup>.

ثم ختمت عَلَيْهِمَا خطبتها بقولها: «وحسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(٧)</sup>، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٨)</sup>، «أي: كافينا الله. وأصل الحسب من الحساب؛ لأن الكفاية بحساب الحاجة وهذا اكتفاء بالله بحسب الإيمان، دون الأسباب الخارجية الجارية في السنة الإلهية»<sup>(٩)</sup>.

من جميع ما تقدم تستنتج الباحثة سر تلك القوة الإيمانية، التي مكنت الأسارى من احتمال تلك المحن، والتصدي لها، والتجلد أمام الأعداء، والإصرار على إكمال الدور الثوري، والعمل على إبطال شرعية حكومة يزيد في عقر مملكته وأمام حاشيته.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحج: آية ١٠.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٧.

(٥) الأعراف: آية ٤٤ - ٤٥.

(٦) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٢٥٦.

(٧) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٨.

(٨) آل عمران: آية ١٧٣.

(٩) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٦٤.

## ثالثاً: الدعاء

حثّ الآيات الكريمة المؤمنين على التوجّه إلى الله تعالى بالدعاء فيما يبتغون من أمور دينهم ودنياهم، وحذّرت من تركه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، والمقصود من العبادة في قوله تعالى: (عبادتي) هو الدعاء<sup>(٢)</sup>.

وكان الدعاء سلاح الأسارى في مواجهة الأعداء، والقيام بتبليغ الرسالة الحسينية، وكان أحد عوامل النجاح في تحقيق الانقلاب العام على حكومة البغي والفساد، فاندلعت الثورات مثل: ثورة التوّابين، وثورة زيد بن علي، وثورة المختار ابن يوسف الثقفي.

وفيما يلي نذكر نماذج من دعائهم عليهم السلام على الظلمة:

١- دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «أيها الناس، فأشدكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه؟! فتبّاً لما قدمتم لأنفسكم، وسوءة لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يقول لكم قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي؟!»<sup>(٣)</sup>.

٢- دعاء السيّدة زينب عليها السلام: «يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم... ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون»<sup>(٤)</sup>.

(١) غافر: آية ٦٠.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٣٤. وأيضاً: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٥، ص ٣٠١.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٨٧.

وكذلك دعاؤها عليها السلام على ابن زياد في مجلسه: «هبلك أمك يا بن مرجانة»<sup>(١)</sup>، ودعاؤها عليها السلام في مجلس يزيد: «اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا... ألا لعنة الله على الظالمين... وحسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(٢)</sup>.

٣- دعاء السيدة فاطمة الصغرى عليها السلام: «تباً لكم، فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلّ بكم، وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب، ويذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين»<sup>(٣)</sup>.

٤- دعاء السيدة أم كلثوم عليها السلام: «يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً، وقتلتموه، وانتهبتم أمواله، وورثتموه، وسبيتم نساءه، ونكبتموه؟! فتباً لكم وسحقاً»<sup>(٤)</sup>.  
ويبدو أنّ كلّ كلمات الأسارى تلبس وشاح الدعاء على الظالمين بالويل والشبور، كما أنّ كلّ خطب أسارى الطفّ تزخر بالحمد والتهليل، والتسبيح والاستغفار، والرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، واليقين المطلق بوعد الحق تبارك وتعالى بهلاك الفاسدين والمكارين.

كان ذلك أهمّ ما رصدته الباحثة من السلوكيات العبادية البارزة في أقوال أسارى آل محمد عليهم السلام وأفعاله المشبعة بالمواعظ والحكم والدروس والعبر، التي ينبغي أن يستمرّ الحديث عنها ونشرها بين أبنائنا وبناتنا على مرّ الأجيال المتعاقبة.

### المبحث الثاني: السلوكيات القرآنية لأسارى الطف على المستوى الأخلاقي

ورد الحثّ في القرآن الكريم والسنة الشريفة على حسن الخلق، والنهي عن سوء

(١) المصدر السابق: ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٦ - ١٠٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٩ - ٩٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٩١.

الخلق؛ لما لهما من آثار مادية وروحية تنعكس على الفرد والمجتمع، وستقوم الباحثة بتناول أهمّ الفضائل والأخلاق الحسنة المشهودة في سلوك أسارى آل محمد ﷺ، وهم في أشدّ المحن والمصائب التي عادةً ما تؤثر في المستوى الأخلاقي لكثير من الناس، ولا سيّما إذا كان الالتزام بالأخلاق الرفيعة يعرضهم ومصالحهم إلى الخطر. ومن تلك الأخلاقيات التي تجسّدت في سلوك الأسارى:

### ١- الصبر

كان أسارى آل محمد ﷺ وسباياهم من أكثر الناس صبراً في أصعب الابتلاءات التي جمعت في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد ابتليت النساء ورُوّعت الأطفال، ومن أشدّ تلك الابتلاءات نهب الخيام وحرقتها، فبعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام قام الأعداء بحرق الخيام كما جاء في الرواية: «... ثم أخرج النساء من الخيمة، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلّة»<sup>(٢)</sup>، ومن عظم تلك المصائب خرجت السيّدة زينب عليها السلام وهي تنادي: «... يا محمداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء...»<sup>(٣)</sup>.

وكانوا عليه السلام مع كلّ تلك الابتلاءات مرآة لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومعنى (صابروا) أي:

(١) البقرة: آية ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) آل عمران: آية ٢٠٠.

«أن على المسلمين أن يُضاعفوا من صبرهم ومن ثباتهم»<sup>(١)</sup>، وهذا ما أفصح عنه قول السيدة زينب للإمام السجاد عليه السلام، وهو ينظر إلى أهله مجزّرين، فأخذت تصبره، وتحفّف عنه وطأة الخطب الجليل، فقالت عليها السلام: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقیة جدي وأبي وإخوتي؟... فوالله، إن ذلك لعهد من رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام، لا يُدرس أثره، ولا يعفور رسمه، على كرور الليالي والأيام...»<sup>(٢)</sup>.

وكان صبرهم على ما أصابهم صبراً جميلاً، ومثاله ردّ السيدة زينب على عبيد الله ابن زياد عندما قال لها: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلاّ جميلاً»<sup>(٣)</sup>، وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

إذاً؛ ما صدر عنهم عليهم السلام لا ينمّ عن صبر فحسب؛ بل عن جبال من الصبر تجسّدت في أقوال العقيلة زينب عليها السلام وأفعالها، وبقية الأسارى (صلوات الله عليهم أجمعين).

## ٢- العفة

العفة معناها: «الكفّ عمّا لا يحلّ ويجمل... عفّ عن المحارم والأطعام الدنية... أي: كفّ... وقيل: الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء»<sup>(٥)</sup>. والعفة والحياء قروران، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «على قدر الحياء تكون العفة»<sup>(٦)</sup>.

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٣، ص ٦٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٥٧.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٤.

(٤) يوسف: آية ١٨.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٩، ص ٢٥٣.

(٦) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ١، ص ٧١٧.

أما في الاستعمال القرآني فقد جاءت مفردة التعفّف في عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن العفة والحياء الالتزام بالحجاب، وهو ما حرصت عليه مخدّرات الطفّ في مسيرة السبي؛ سيّما أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان لا يسمح لامرأة أن تبرز من الخيمة، كما في قصة زوجة وهب بن جناح الكلبي التي أرادت أن تُشارك في القتال، فردّها الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «جزيتم من أهل بيتي خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله. فانصرفت إليهن»<sup>(٤)</sup>، كما ردّ السيّدة زينب عليها السلام عندما خرجت من الخيمة إلى مصرع عليّ الأكبر عليه السلام، فقد روي أنّها عليه السلام خرجت «تنادى يا حبيباه، يابن أخاه. وجاءت فأكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام، فأخذها وردّها إلى النساء»<sup>(٥)</sup>.

ومن مواقف العفة والحياء في رحلة السبي ما يلي:

١- قول السيّدة أمّ كلثوم عليها السلام عندما دخلوا الكوفة، وقد اجتمع الناس للنظر إليهم، فقالت عليها السلام: «يا أهل الكوفة، أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبي صلّى الله عليه وآله»<sup>(٦)</sup>.

٢- قول السيّدة أمّ كلثوم عليها السلام لشمر (لعنه الله) لما كانوا على مقربة من دمشق: «لي إليك حاجة، فقال: ما حاجتك؟ قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل

(١) البقرة: آية ٢٧٣.

(٢) النور: آية ٣٣.

(٣) النور: آية ٦٠.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٦٨.

(٦) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣١٠.

النظارة، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل، وينحونا عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحال»<sup>(١)</sup>.

٣- موقف السيّدة سكينة عليها السلام مع سهل بن سعد الساعدي، عندما طلبت منه «أن يدفع لحامل الرأس شيئاً فيبعده عن النساء؛ ليشغل الناس بالنظر إليه، ففعل سهل»<sup>(٢)</sup>.

٤- قول السيّدة زينب عليها السلام ليزيد (لعنه الله): «أمن العدل يا بن الطلقاء، تخديرك حرائك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف؟»<sup>(٣)</sup>.

### ٣- الشجاعة

الشجاعة نوعان: شجاعة حربية، وميدانها الأفعال في المعارك والحروب، وشجاعة أدبية وميدانها الأقوال كالجهر بالحق والدفاع عنه<sup>(٤)</sup>. وقد جمع القرآن الكريم بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ولم يرد لفظ (الشجاعة) في الآيات القرآنية، ولكن ذكرت بعض المفاهيم التي يمكن أن يتناولها لفظ الشجاعة، كالثبات، والقوّة، والاستعداد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠١.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣٤٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٥٨.

(٤) أنظر: شعلان، خالد فلاح، الشجاعة الأدبية في ضوء القصص الأدبية: ص ١٣-١٤.

(٥) الأنفال: آية ١١.

(٦) الأنفال: آية ٦٠.

(٧) الأنفال: آية ٤٥.

وسنلاحظ أن سلوكيات أسارى كربلاء - مع ما تعرّضوا له من أذى في سبيل الله - تُعتبر انعكاساً وتجسيداً للمبدأ القرآني في الدفاع عن الدين؛ وذلك ما تفصح عنه كلماتهم ومواقفهم في مواجهة الأعداء، ومن ذلك موقف الإمام زين العابدين عليه السلام مع ابن زياد عندما أمر بقتله، فقال عليه السلام له: «أبالقتل تهدّدي؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة»<sup>(١)</sup>، وكذلك قول السيّد زينب عليها السلام ليزيد: «أمن العدل يا بن الطلقاء، تحديرك حرائك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا؟»<sup>(٢)</sup>، وقولها عليها السلام ليزيد - أيضاً - بكلّ جرأة: «وإني لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك»<sup>(٣)</sup>. وما تلك الخطب والكلمات إلا شجاعة أدبية لا مثيل لها، بل هي قتال بالمواقف والكلمات مع أعتى الجبارة والطغاة.

والحق أن رحلة السبي رحلة حملت كلّ معاني الشجاعة، من رجل عليل، ونساء ثكالي، أنهكتهن الرزايا، وقد كنّ يقفن بشموخ أمام أولئك الجبارة والجلادين؛ ليقلن كلمة الحقّ، الأمر الذي أذهل كلّ الحضور، وجعل ابن زياد يقول - بعد أن أنهت السيّد زينب عليها السلام خطبتها - «هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوك شاعراً وسجّاعاً. فقالت: يا بن زياد، ما للمرأة والسجّاعة؟!»<sup>(٤)</sup>.

## ٤. التضحية

من الآيات القرآنية الدالة على التضحية والبذل بالنفس والنفيس قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٩٤.

**الْعَظِيمُ** ﴿١﴾، و«الاشتراء هو قبول العين المبيعة بنقل الثمن في المبايعه، والله سبحانه يذكر في الآية وعده القطعي للذين يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بالجنة... وقد قلبه (سبحانه) في قالب التمثيل، فصوّر ذلك بيعاً، وجعل نفسه مشترياً... وهو من لطيف التمثيل، ثم يُبشّر المؤمنين ببيعهم ذلك ويهتّمهم بالفوز العظيم» ﴿٢﴾.

هكذا وصف (سبحانه وتعالى) حال المؤمنين المضحيين، وعلى من يريد الالتحاق بركبهم والفوز بمقامهم أن يضحي بكل شيء، وأن لا يخشى من قول كلمة الحق عند سلطان جائر، فإن من يلج أرض المعركة يعلم يقيناً حجم ما ينبغي من الاستعداد للتضحية بالنفس والأهل والمال والولد، والتخلي عن كل الملذات الدنيوية.

وقد كان أسارى آل محمد ﷺ وسباياهم المصدّق الأبرز للمضحيين في سبيل الله، ففي رحلة السبي ضحّى آل الحسين ﷺ بكلّ غالٍ ونفيسٍ، وأعربوا عن رضاهم بكلّ ما حلّ بهم ما دام لله فيه رضى، فما أعظم الحوراء زينب ﷺ، وهي تحتضن الجسد الطاهر لأبي عبد الله الحسين ﷺ - بعد أن سقط صريعاً على أرض الطفوف - وتقول: «إلهي تقبل منّا هذا القربان» ﴿٣﴾، فالحسين الذبيح ﷺ هو القربان الذي يُعيد للأذهان تضحية النبي إبراهيم ﷺ بولده إسماعيل ﷺ، حين أراد أن يقدمه قرباناً في سبيل الله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُكَ فَأَعْلَمَ مَا تُوْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤﴾.

وكذلك كانت العقيلة ﷺ معلم التضحيات في موقف جمعها مع الإمام زين العابدين ﷺ في مجلس الطاغية ابن زياد حينما أفحمه منطلق الإمام زين العابدين ﷺ، فغضب ابن زياد: وقال للإمام: «ألك جرأة على جوابي، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

(١) التوبة: آية ١١١.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين ﷺ: ص ٣٠٧.

(٤) الصفات: آية ١٠٢.

فسمعت به عمته زينب، فقالت: يابن زياد، إنك لم تُبقِ منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه»<sup>(١)</sup>.

وتبدو الحوراء عليها السلام شائخة كالجبال الرواسي عندما أراد عبید الله بن زياد أن يستفزها بقوله: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً»<sup>(٢)</sup>، فأبي تضحية أعظم وأجمل من تضحية السيدة زينب عليها السلام!؟

## ٥. العزة

«العزة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب»<sup>(٣)</sup>، و«هي القوة والغلبة»<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى على لسان أحد الأخوين المتخاصمين حين رفعاً أمرهما إلى النبي داود عليه السلام: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخَطَابِ﴾<sup>(٥)</sup> أي: «غلبني في الاحتجاج»<sup>(٦)</sup>.

والعزة في القرآن الكريم للمدح، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup> بإعلاء الله كلمته، وإظهار دينه على الأديان، بنصرته إياهم في الدنيا، «فقصر العزة في نفسه ورسوله والمؤمنين، فلا يبقى لغيرهم إلا الذلة»<sup>(٨)</sup>. ولا يسمح الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن بأن يكون ذليلاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٩)</sup>.

والعزة والشدة تكون على الكافرين لا على المؤمنين، قال تعالى: ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٤.

(٣) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج ٨، ص ١٠٠.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٣، ص ٨٨٦.

(٥) ص: آية ٢٣.

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٧٨.

(٧) المنافقون: آية ٨.

(٨) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ٢٨٢.

(٩) آل عمران: آية ١٣٩.

اللَّهُ يَقُومُ بِحُبِّهِمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَاقًا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾، «أي: رحماء على المؤمنين، غلاظ شداد على الكافرين، وهو من الذلّ: الذي هو اللين، لا من الذلّ الذي هو الهوان. قال ابن عباس: تراهم للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيّده، وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته»<sup>(٢)</sup>. وغير ذلك آيات كثيرة تحمل مضامين العزّة على اختلاف ألفاظها، لا يسع المجال لذكرها.

وانطلاقاً من مفهوم العزّة ورفض الذلّ والخنوع للظالم، فقد ورد الاستنكار للذين امتنعوا عن الهجرة، ورضوا بالبقاء تحت سلطة الظالمين على حساب دينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُتَكِبِينَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٣﴾، فالآية تحكي مصير الذين «امتنعوا عن الهجرة لأسباب واهية، أو لمصالحهم الشخصية، وقرروا البقاء في محيط ملوث، وفضلوا الكبت والقمع على الهجرة»<sup>(٤)</sup>.

إنّ الله (سبحانه وتعالى) لم يرض للمؤمنين الرضوخ إلى الظالم، بل نديهم إلى الهجرة؛ لأنّ فيها عزّة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾، «وَمَنْ يَهَاجِرْ﴾ يعني: يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: في منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه»<sup>(٦)</sup>.

من هنا؛ كانت هجرة الإمام الحسين عليه السلام في سبيل الله، ثمّ رحلة السبي التي

(١) المائدة: آية ٥٤.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٣٥٧.

(٣) النساء: آية ٩٧.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٣، ص ٤٠٧.

(٥) النساء: آية ١٠٠.

(٦) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ١٧١.

تجلّت فيها أسمى معاني العزّة القرآنية، وهذا ممّا لا شكّ فيه، فشعار معركة الطفّ هو (هيهات منّا الذلّة)، ومن الطبيعي أن لا تحيد مسيرة الأسارى عن المسار الذي اختطه غريب كربلاء بدمه الطاهر.

فالعزّة سمة متأصلة في سلالة النبي محمد ﷺ، ولكن ما يؤطرّ العزّة الهاشمية هو تجليها في معركة الطفّ، وفي رحلة السبي أو الأسر، وأمام سلطان جائر؛ لذا أصبحت العزّة أجمل وأروع ممّا تكون عليه في مواقف الحياة الاعتيادية. ولا نبالغ إذا ما قلنا: إنّ مسيرة الأسارى من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام كانت مسيرة عزّة وإباء، اكتست بها خطبهم وسلوكياتهم إزاء ما قام به يزيد وجلاوزته في الكوفة والشام. ويمكن أن نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - بعض مواقف العزّة والإباء للأسارى واقعة الطفّ، منها:

١- موقف الإمام زين العابدين - المتقدّم - مع عبيد الله بن زياد حين همّ بقتل الإمام، فقال عليه السلام له: «أبالقتل تهددني؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة»<sup>(١)</sup>.

٢- موقفه عليه السلام الرافض لتعويض يزيد لهم ما أخذ منهم، فقد جاء في الرواية: «... وأما ما أخذ منكم فأنا أوعّضكم عنه أضعاف قيمته. فقال عليه السلام: أما مالك فلا نريده، وهو موفّر عليك، وإنّما طلبت ما أخذ منّا؛ لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمد ﷺ ومقنعتها وقلادتها وقميصها. فأمر بردّ ذلك، وزاد فيه من عنده مائتي دينار، فأخذها زين العابدين، وفرّقها في الفقراء والمساكين»<sup>(٢)</sup>.

٣- موقف السيّدة الحوراء عليه السلام مع ابن زياد؛ إذ رفضت نفسها الأبيّة افتراءه على آل البيت عليه السلام حين قال: «الحمد لله الذي فضحككم، وأكذب أحدوشتكم. فقالت: إنّنا يُفتضح الفاسق، ويكذّب الفاجر، وهو غيرنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٢٣.

(٢) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٢٣٩.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٤.

٤- موقف السيِّدة أمِّ كلثوم عليها السلام الرافض لتناول ما أعطاه الكوفيون من الأطعمة للأطفال، فقد جاء في الرواية: «... وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمِّ كلثوم، وقالت: يا أهل الكوفة، إنَّ الصدقة علينا حرام. وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض»<sup>(١)</sup>.

وقد جسّد هذا الموقف أروع معاني العزّة والإباء، فهم ورثة الرسالة المحمدية التي حمل لواءها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، والأبرز في هذا الموقف هو أنّ السيِّدة أمِّ كلثوم تأبى عليها نفسها أن تُطعم الأطفال من أيادٍ غدرت بالحسين عليه السلام، ونكثت العهود والمواثيق، وسفكت الدماء الزكية.

٥- أعلنت السيِّدة زينب عليها السلام رفضها وأنفتها من استقبال آية امرأة إلا من عاشت حالة السبي، قالت عليها السلام: «لا تدخلنَّ عربية إلا أمّ ولد، أو مملوكة، فإنهنَّ سبين كما سبيننا»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت سلوكيات سبايا الطفّ مليئة بالعزّة والأنفة والعظمة، وقد مثلت امتداداً للخطّ الذي رسمه قائد الركب الحسيني حين أقسم قائلاً: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»<sup>(٣)</sup>، وظلّت هذه الرحلة ذات فاعلية حركية لها وقعها في حياة الأجيال، لا مجرد شعارات للتمجيد.

## الخاتمة

حاولت الباحثة استقراء كثير من النصوص من أجل بلورة سلوكيات أسارى أو سبايا الطفّ المستندة إلى القرآن الكريم، وبعد جهد من البحث - الذي لا ندعي،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٥.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

بل لا يمكن لأحد أن يدعي أنه يرقى إلى مستوى تلك الأدوار الرسالية النهضوية  
لآل الرسول صلوات الله عليهم أجمعين - خرجت بالنتائج الآتية:

١- تكمن خصوصية سلوكيات الأسارى أو السبايا في أنهم من ذرية  
المصطفى ﷺ، فقد نشأوا ﴿ فِي بُيُوتٍ أَدْنَىٰ أَلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾<sup>(١)</sup>، فالتزموا  
بالمنهج الربّاني القرآني بما فيه من أوامر ونواهٍ، كما سَطَّروا أروع المشاهد السلوكية  
وسط أنات من الخوف والهلع؛ ناهيك عن بُنية الجسم الذي لا يقوى على تحمّل  
تلك المشاق لولا الإيمان المطلق بالله تعالى، والتخلّق بسيرة جدّهم خاتم الأنبياء ﷺ  
ومنهج الحسين عليه السلام في طفّ كربلاء.

٢- المواقف السلوكية التي استبانت عبر الدراسة كشفت عن إمكان الاقتداء  
بهم فيما إذا تهيأت للإنسان ظروف النشأة النقية والتربية الإيمانية والرعاية الأبوية.  
٣- لا قيمة لإيمان المرء وخلقه في ظروف الحياة الطبيعية ما لم يبق إيماناً صادقاً  
ثابتاً، وخلقاً رقيقاً صامداً، لا يتغيّر ولا يتبدّل أمام صروف الزمان ومغريات الحياة.  
٤- سلوكيات أسارى الطفّ مواعظ وعبر لكلّ الأجيال على اختلاف الأزمان؛  
لأنّها تنبع من عواطف وأحاسيس وأفكار تغذّي الطبيعة الإنسانية.  
٥- تكاد السلوكيات الأخلاقية لدى الأسارى تجتمع في كلّ موقف يتعرّضون له  
خلال رحلة الأسر أو السبي المريرة، فالصبر والعفة والشجاعة والتضحية والعزّة،  
تمتّزج معاً في معظم مواجهاتهم البطولية مع الأعداء.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ - الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق

(١) النور: آية ٣٦.

- التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٢ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٣ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٤ - تاج العروس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٥ - زينب الكبرى، الشيخ جعفر النقدي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ٦ - الشجاعة الأدبية في ضوء السنة النبوية (دراسة موضوعية)، خالد بن فلاح ابن عبد الحميد شعلان، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٦م.
- ٧ - الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٨ - الضوابط والسلوك المنهجية في القرآن الكريم، رسمية علي آل ردهان الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- ٩ - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١٠ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ١١ - اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد عليّ بن موسى بن طاووس، أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- ١٢ - لواعج الأشجان، السيّد محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة - إيران، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١هـ.
- ١٣ - مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن نما الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.
- ١٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- ١٥ - المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك، عدنان أحمد الفسفوس (أبو عاصف)، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ١٦ - مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، عبد الرزاق المقرّم، انتشارات الشريف الرضي.
- ١٧ - ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ١٨ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.



## معالم الشراكة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم

د. السيّد مهدي عيسى البطاط\*

### مقدمة

لا يخفى أنّ القرآن الكريم هو كتاب المسلمين الأّوحد الذي اتفقت كلمتهم على قدسيته وعصمته، وهو المرجع لهم جميعاً في أحكامهم وتشريعاتهم، كما أنّ المسلمين جميعاً يقرّون أنّ الأفضّل والأليقّ من بينهم هو الأّكثّر قرباً من القرآن؛ ولذلك يعتبرون رسول الله صلى الله عليه وآله هو أّكثّر المسلمين قرباً وأنساً بالقرآن الكريم، ولكن الكثير منهم يجهل أنّ عترته من بعده ومنهم الإمام الحسين عليه السلام كانوا هم الأّقرب للقرآن والأّكثّر تفانياً وعملاً بتعاليمه.

ونتكلّم في هذه المقالة عن معنى (شريك القرآن)، اللقب المعروف للإمام الحسين عليه السلام، ومن أطلقه عليه؟ ودلالة حديث الثقلين على هذه الشراكة، كما ونتطرق إلى ذكر بعض نماذج الشراكة والمشابهة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن، وبيان مدى العلاقة والارتباط بينهما، ثمّ بيان معطيات هذه الشراكة ونتائجها.

### معنى الشراكة

الشُّرْكَة والمُشَارَكَة في اللغة بمعنى خلط الملكين واشتراك اثنين أو أكثر في ملك

\* باحث إسلامي، من العراق.

أو مال أو قضية أخرى مادية أو معنوية<sup>(١)</sup>، «والشُّرك: أن يجعل الله شريكاً في رُبوبيته»<sup>(٢)</sup> و«الشُّريكُ يجمع على شُرَكَاءٍ وأشْرَاكٍ، مثل شريفٍ وشُرَفَاءٍ وأشْرَافٍ. والمرأةُ شَرِيكَةٌ، والنساءُ شَرَاكٌ، وشَارَكْتُ فلاناً: صرْتُ شَرِيكَهُ. واشْتَرَكْنَا وتَشَارَكْنَا في كذا... قال الجعدي:

وشَارَكْنَا قُرَيْشاً في تُقَاهَا      وفي أَحْسَابِهَا شِرْكَ الْعِنَانِ<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى حكاية عن لسان النبي موسى ﷺ في طلبه لأخيه هارون: ﴿وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي﴾<sup>(٤)</sup>.

وبناءً على التعاريف المذكورة فإنَّ شراكة الإمام الحسين ﷺ يمكن أن تعني معاني عديدة، منها:

إنَّه ﷺ مندمج مع القرآن، لا يفارقه ولا يخالفه، أو أنَّه ﷺ شبيهه ومثيله، أو أنَّ القرآن والإمام الحسين ﷺ يشتركان في أمر خاص، من قبيل الهداية والقيادة والخلافة، أي: إنَّ الإمام شريك القرآن في خصائصه وشؤونه، فكما أنَّ القرآن يهدي فالإمام يهدي أيضاً، وكما أنَّ القرآن معصوم فالإمام معصوم أيضاً، وهكذا. وكلُّ هذه الموارد يمكن أن تنطبق على الإمام الحسين ﷺ، لكن يبدو أنَّ المعنى الثالث هو الأقرب إلى التعريف اللغوي، والمؤيد بالروايات التي سنذكرها.

### لقب الشراكة مع القرآن في النصوص الروائية

إنَّ لهذا اللقب أصل روائي، فقد أُطلق في الروايات على أهل البيت ﷺ عموماً بأثمهم شركاء القرآن، كما أُطلق على الإمام الحسين ﷺ وعلى الإمام صاحب العصر

(١) أنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٥٢. وأيضاً: الدماغي، الحسين بن محمد، قاموس القرآن: ج ٤، ص ٢٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٤٤٩.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية: ج ٤، ص ١٥٩٣.

(٤) طه: آية ٣٢.

والزمان عليه السلام خصوصاً. جاء في الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السلام: «السلام عليكم أئمة المؤمنين، وسادة المتقين، وكبراء الصديقين، وأمراء الصالحين، وقادة المحسنين، وأعلام المهتدين، وأنوار العارفين، وورثة الأنبياء، وصفوة الأوصياء، وشموس الأتقياء، وبدور الخلفاء، وعباد الرحمان، وشركاء القرآن، ومنهج الإيمان، ومعادن الحقائق، وشفعاء الخلائق، ورحمة الله وبركاته»<sup>(٥)</sup>.

وأما الإمام الحسين عليه السلام فقد خوطب بهذا اللقب في زيارات عديدة، منها: زيارته عليه السلام في أول رجب، وفي النصف من شعبان، فقد جاء فيها: «السلام عليك يا شريك القرآن»<sup>(٦)</sup>.

وورد هذا اللقب خصيصاً في زيارة الإمام صاحب الزمام عليه السلام: «السلام عليك يا خليفة الرحمن، السلام عليك يا شريك القرآن»<sup>(٧)</sup>.

### حديث الثقلين وثيقة الشراكة بين القرآن والإمام الحسين عليه السلام

إن حديث الثقلين يعتبر وثيقة شاهدة ونصّ نبويّ صريح على شراكة الإمام الحسين عليه السلام مع القرآن، ومؤيداً لما ورد في الزيارة بوصفه شريك القرآن، ويُعدُّ حديث الثقلين من المتواترات، فقد نقله الفريقان، ولا يوجد ترديد في صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله، قال الشيخ الطوسي: «وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها أحد، أنه قال: إني مخلّف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعتري أهل بيتي، وإني ما خلّف حتى يراد عليّ الحوض»<sup>(٨)</sup>. ووصف الحر العاملي الحديث بالمتواتر بين العامة والخاصة

(٥) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٢٩٣. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٦٣.

(٦) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٢٧. ابن طاووس، عليّ بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٢١٧. وأيضاً: الكفعمي، إبراهيم بن عليّ، البلد الأمين: ص ٢٨٢. وأيضاً: الشهيد الأوّل، محمد بن مكي العاملي، المزار: ص ١٤٣.

(٧) ابن طاووس، عليّ بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٧١٢.

(٨) الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤.

عن النبي ﷺ (١). وقال العلامة الأميني: «هذا الحديث مما اتفقت الأئمة والحفاظ على صحته» (٢).

وذكر ابن حجر في كتابه (الصواعق): «وفي رواية صحيحة: كأي قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكد من الآخر، كتاب الله عز وجل وعترتي، أي: بالثناة، فأنظروا كيف تخلفوني فيها، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ حوضي. وفي رواية وإتتهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً... وسماهما ثقلين إعظماً لقدرهما - إذ يُقال لكلّ خطير شريف ثقلاً - أو لأنّ العمل بما أوجب الله من حقوقها ثقيل جداً» (٣).

وسُئل أمير المؤمنين عن العترة في حديث الرسول ﷺ، فقال عليه السلام: «أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا علي رسول الله ﷺ حوضه» (٤).

إذا؛ بنصّ حديث الثقلين فإنّ أهل البيت عليهم السلام لا ينفصلون عن القرآن مطلقاً، بمعنى أنّ كلامهم وفعلهم وسيرتهم وسنتهم كلّها موافقة للقرآن ومكملة له، وهما معاً يمثلان الإسلام، وأتمها خليفة الله في أرضه، ومن هنا؛ فإنّ الكلام عن العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن هو كلام عن كتاب الله وتجلياته بكلام معنويه: اللفظي وهو ما موجود بين الدفتين، والعملية المتحرك الناطق وهو المعصوم.

(١) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٣٣.

(٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ج ٦، ص ٣٣٠، (الهامش).

(٣) ابن حجر الهيتمي، محمد بن علي، الصواعق المحرقة: ص ٢٢٨.

(٤) ابن بابويه، أحمد بن محمد، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٥٧. وأيضاً: ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٩١. وأيضاً: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري: ج ٢، ص ١٨٠.

## العلاقة المتبادلة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم

في القرآن آيات عديدة نزلت في حق الإمام الحسين عليه السلام - باعتباره واحداً من الأئمة الأطهار عليهم السلام - وأشادت بفضلهم ومقامهم الرفيع، من قبيل آية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة، وآيات سورة الدهر، كما أنّ هناك العشرات من الآيات المؤولة بالإمام الحسين عليه السلام؛ بل إنّ العديد من الروايات صرّحت بأنّ مهمّة القرآن وغايته هي الدعوة إلى الإمام، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(١)</sup> أي: «يهدي إلى الإمام»<sup>(٢)</sup>.

وفي المقابل فإنّ الإمام المعصوم لاسيّما سيّد الشهداء كان يدعو الناس إلى القرآن والأخذ به والعمل بأوامره وترك نواهيه، كما جاء في كتابه إلى أهل البصرة: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه»<sup>(٣)</sup>. ومن قبل ذلك، فقد جسّد الإمام بحياته وسيرته القرآن على أرض الواقع، وصار بحق القرآن الناطق، ونسخة أخرى من القرآن الصامت الذي بين الدفتين، فقد ذاب فيه وأنس بتلاوته، فكانا لا يفترقان أبداً. ومع أنّ التاريخ قد ظلم أهل البيت عليهم السلام كثيراً، ولم يصل إلينا إلا القليل من تفاصيل حياتهم، ولكنّ هذا القليل - الذي وصلنا عنهم وعن الإمام الحسين عليه السلام بالتحديد - ملئ بمظاهر العلاقة بالقرآن والتجسيد لآياته والأنس بتلاوته والتكريم لأهله. كما ينقل في التاريخ أنّ الإمام الحسين عليه السلام أعطى لمن علّم ولده سورة الحمد ألف دينار وألف حلّة، وحشاه درّاً، فقبل له في ذلك - حيث استكثر هذا العطاء - فقال عليه السلام: «وأيّن يقع هذا من عطائه؟ يعني تعليمه»<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسراء: آية ٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢١٦. أيضاً: الحوزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٤٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦. أيضاً: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٠.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب: ج ٣، ص ٢٢٢.

ويرى الإمام الحسين عليه السلام أن نعمة القرآن التي حباها الله بها من أعظم النعم عليه، وقرنها بنعمة النبوة، فقد قال في خطبته لأصحابه ليلة عاشوراء: «أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن»<sup>(١)</sup>.

وإن لأنسه عليه السلام بالقرآن شواهد عديدة، منها: قوله عليه السلام لأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام مساء التاسع من المحرم: «ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدٍ وتدفعهم عنا العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة ندعوه ونستغفره، فهو يعلم أي كنت قد أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»<sup>(٢)</sup>، فقد استمهل أعداءه من أجل تأخير المعركة ولو لليلة واحدة حتى يتزود فيها من قراءة القرآن.

وينقل عن أحدهم أنه شاهد الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء، وقد ضرب فسطاطه بالفلاة، فلما دخل فسطاط الحسين عليه السلام وجده يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه<sup>(٣)</sup>.

وفي كربلاء وذلك المعترك وفي ظل تلك الظروف الصعبة والساعات الحرجة التي يفقد فيها - أو في أقل منها - الإنسان استقامته وتوازنه، نرى أن سيد الشهداء عليه السلام لم يفارق القرآن، بل كان يردد آياته الكريمة بين الحين والآخر، فإذا سقط شهيد من صحبه تلا آية بما يتناسب مع المقام، من قبيل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>. ولما برز ابنه - وهو غصن الشجرة المحمدية - تلا قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٩٢.

(٣) أنظر: الذهبي، محمد حسين، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٢.

(٤) الأحزاب: آية ٢٣.

إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾، وإذا خاطب القوم ضمّن خطابه آيات القرآن الكريم، وبذلك فقد جسّد ﷺ أروع نماذج الارتباط والتعلّق بالقرآن والقرب منه.

وأثبت الإمام الحسين ﷺ على أرض الواقع عدم انفصاله عن القرآن، فكان يتلوه أثناء الليل وأطراف النهار، ويستشهد بآياته طيلة حركته ونهضته، وله ولأصحابه دوي كدوي النحل من الصلاة وتلاوة القرآن ليلة العاشر، ولم يترك القرآن حتى في أحلك الظروف وأصعبها، وهذا بحدّ ذاته تصديقاً لقول جدّه رسول الله ﷺ في عدم الفرقة بينهما. وأكثر من ذلك ما نقله الفريقان من أنّ رأسه الشريف كان فوق الرمح يتلو القرآن<sup>(٢)</sup>، الأمر الذي يعجز القلم عن وصفه.

### المشركات بين الإمام الحسين ﷺ والقرآن الكريم

أمّا الموارد التي يشترك فيها الإمام الحسين ﷺ والقرآن فهي كثيرة جدّاً، ولا شكّ في أنّ هناك ما لا نعرفه من تلك الموارد، وسنذكر أبرز ما وجدنا فيه النصّ من أوجه الاشتراك، وهي كالآتي:

#### ١- الاثنان هاديان

يمكن أن يقال: إنّ أبرز صفة للقرآن هي الهداية كما جاء هذا المعنى في آيات قرآنية عديدة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله

(١) آل عمران: آية ٣٣ - ٣٤.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٧. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب: ج ٤، ص ٤٥. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٢١. وأيضاً: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠، ص ٣٧٠. وأيضاً: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان: ج ٤، ص ٨٦.

(٣) الإسراء: آية ٩.

تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ  
وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(١)</sup> وهداية الناس هي الغاية القصوى من إرسال جميع الكتب السماوية  
المنزلة من عند الله.

ووردت الهداية كصفة بارزة للإمام الحسين عليه السلام كما في المقولة المشهورة: إنَّ  
الحسين عليه السلام «مصباح الهدى وسفينة النجاة»<sup>(٢)</sup>، واقترن وصف (الهداية) للقرآن  
الكريم مع لفظ (الرشد)، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذلك  
بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام، فقد جاء في كتابه الذي بعثه إلى أهل البصرة: «... وأن  
تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد»<sup>(٤)</sup>.

## ٢- الاثنان وديعة الرسول صلى الله عليه وآله

وهو ما صرّحت به الروايات المتواترة كحديث الثقلين الذي ورد بألفاظ مختلفة،  
منها: (تارك فيكم)، (تركت فيكم)، (خلفت فيكم)، (مخلف فيكم)، وغير ذلك من  
الألفاظ الدالة على أنّ الثقلين (القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام) وديعتا رسول الله في  
هذه الأمة.

## ٣- الاثنان معصومان

قال تعالى في وصف كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة: آية ١٨٥.

(٢) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١.

(٣) الجن: آية ٢.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦. وأنظر: ابن كثير، إسماعيل بن  
عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٠.

(٥) فصلت: آية ٤١-٤٢.

والإمام الحسين عليه السلام يشترك مع القرآن في هذه الخصوصية، فقد أذهب الله عنه الرجس والباطل بنص آية التطهير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>.

وقد استدلل بعض العلماء على عصمة الإمام من خلال عصمة القرآن، فقال: «... فكما امتنع على القرآن الباطل، كذا امتنع على الإمام تحقّقاً للمساواة من هذا الوجه، فكان الإمام معصوماً»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- الاثنان شافعان

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع»<sup>(٣)</sup>، كما جاء في الروايات أنّ القرآن يُعطى يوم القيامة مقام الشفاعة، فيشفع للناس، «... فإنّ كتاب الله شافع مشفّع يوم القيامة لأهل تلاوته، فيعلون درجات الجنة بقراءة آياته»<sup>(٤)</sup>. وكذلك الإمام الحسين عليه السلام فهو - كباقي الأئمة عليهم السلام - ممن أكرمهم الله بمقام الشفاعة، كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٥)</sup> فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن أولئك الشافعون»<sup>(٦)</sup>. وبالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام بالخصوص، فقد ورد التصريح بشفاعته في نصوص عديدة، من أشهرها ما ورد في زيارة عاشوراء: «اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود»<sup>(٧)</sup>.

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، الألفين: ص ٢١٠.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٤. وأيضاً: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٥٩٩.

(٤) ابن بابويه القمي، محمد بن علي، فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١٠٩.

(٥) البقرة: آية ٢٥٥.

(٦) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٦. وأيضاً: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ١٨٣. وأيضاً: الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٥٨.

(٧) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٩. وأيضاً: الكفعمي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين: ص ٢٧١.



## ٥. الاثنان طريان على مرّ الزمان

من الأسرار الإعجازية التي أودعها الله في القرآن الكريم، أنّه لا يُمَلّ من كثرة قراءته وتدبّره، وقد سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك، فقليل له: «ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلّا غضاضة؟ فقال: لأنّ الله لم ينزله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غض إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

فالقرآن عند محبّيه والمستأنسين به لذيذ وطري دائماً، والشيء نفسه نراه في الإمام الحسين عليه السلام، فلا يُمَلّ ذكره ولا تهدأ لوعة مصيبتّه، فيتجدد في كلّ عام مصابه ويُقبَل محبّوه بلهفة وشوق إلى إقامة العزاء والبكاء عليه، ولا يزعزعهم عن ذلك لوم اللائمين، فالحرقة واللوعة على إمامهم خارجة عن إرادتهم؛ لأنّه أمرٌ أودعه الله في قلوبهم، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: «إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»<sup>(٢)</sup>.

وعليه؛ فالحزن على سيّد الشهداء هبة إلهية تدلّ على إيمان صاحبها، وما دام الإيمان موجود في القلب فإنّ الحزن على الإمام الحسين عليه السلام موجود أيضاً؛ لذلك ترى المؤمنين يواظبون على إحياء ذكر الحسين عليه السلام ولا يملّون منه، كما أنّهم لا يملّون من تلاوة القرآن الكريم. إذ؛ اشترك القرآن والإمام الحسين عليه السلام في عدم الملل من ذكرهما على مدى الأزمان، وذلك من الإيمان.

ويمكن أن يُفسّر ذلك الاشتراك بالمعنى الظاهري الملموس، وهو أنّ القرآن - كما ورد في الرواية السابقة - لم يكن لزمان دون زمان، ففيه بيان لجميع المسائل، وحلّ لجميع المشاكل، وتحليل لجميع القضايا، التي يواجهها البشر؛ لذا فهم بحاجة إليه دائماً لتيسير حياتهم، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام في ثورته ونهضته وتضحيتّه، فجميع

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٥٧.

(٢) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.

الأجيال والأقوام والشعوب تحتاج أن تستلهم منه الصبر، والفداء، والعدالة، ومقارعة الظلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرحمة، والشفقة، والعزّة، والكرامة، والصدق، والعدالة، وكلّ ما في الإمام الحسين عليه السلام من سيرة إلهية عطرة هي في الحقيقة نموذج رائع للحياة الكريمة.

## ٦- تبيين الدين

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب النازل من قِبل الله تعالى والمبيّن لمراهه والكاشف عن أوامره ونواهيه، كما أنّ الإمام الحسين وباقي الأئمة المعصومين عليهم السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، هم المكملون لبيان مراد الله من خلال تبيين الآيات المباركة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، ف«الإمام شريك القرآن في إيانة الأحكام، فإنّه لما كانت الأحكام غير متناهية والكتاب متناهٍ، فلم يمكن للمجتهد علم الأحكام منه؛ فلذلك احتيج إلى الإمام»<sup>(٢)</sup>.

## ٧- الاثنان يشفيان

وصف القرآن بأنّه شفاء في آيات عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿بِقَائِمِهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد اشترك الإمام الحسين عليه السلام مع القرآن بهذه الخاصية أيضاً، فقد جعل الشفاء في تربته، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنّ الله جعل تربة الحسين شفاءً من كلّ داء»<sup>(٥)</sup>. فالأئمة عليهم السلام - جميعاً - وإن كانوا سبباً لشفاء أمراض الناس الروحية

(١) النحل: آية ٤٤.

(٢) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، الألفين: ص ٢٠٩.

(٣) الإسراء: آية ٨٢.

(٤) يونس: آية ٥٧.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٢١.

والجسدية، ولكنّ الشفاء في تربة القبر هو ممّا اختصّ به الإمام الحسين عليه السلام دون غيره من الأئمة عليهم السلام.

## ٨. الاثنان عزيزان

قال تعالى في وصف كتابه الكريم: ﴿وَلَئِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى - أيضاً -: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبما أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو سيّد المؤمنين، فهو أوّل من غيره في الاتصاف بهذه الصفة الإلهية؛ لذا فهو أعزّ الناس بعد جدّه وأبيه وأمه وأخيه، وقد جسّد هذه العزّة في جميع مفاصل حياته المباركة، ومن ذلك مقولته المعروفة: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»<sup>(٣)</sup>. ومقولته الأخرى التي ما زالت تدوّي في مطاوي الزمان، وصارت شعاراً للأحرار وهي: «هيهات منّا الذلة»<sup>(٤)</sup>.

## ٩. استحباب الحزن في ذكرهما

ورد في آداب تلاوة القرآن أن يقرأ في حزن وبكاء، قال تعالى عمّن امتدحهم: ﴿إِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيُخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾<sup>(٥)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنّ القرآن نزل بالحزن فاقراؤه بالحزن»<sup>(٦)</sup>، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»<sup>(٧)</sup>.

وكذلك بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام، فقد ورد استحباب الحزن والبكاء عليه عند

(١) فصلت: آية ٤١.

(٢) المنافقون: آية ٨.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٤.

(٥) الإسراء: آية ١٠٧ - ١٠٩.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦١٤.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٩١.

ذكره عليه السلام، من قبيل: ذكره عليه السلام عند شرب الماء، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة...»<sup>(١)</sup>، وذكره عند زيارته عليه السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام - أيضاً - «إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين مكروب، شعث مغبر»<sup>(٢)</sup>، بل ورد استحباب البكاء عليه على كل حال، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «بأبي قتيل كل عبدة. قيل: وما قتيل كل عبدة يابن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى»<sup>(٣)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحزن ليس من الحزن المذموم والمتعارف في علم النفس، ويختلف عن الكآبة من حيث الأسباب والعوارض والآثار، وعليه فهو حزن ممدوح ونافع، وسبب لسلامة النفس وارتياحها<sup>(٤)</sup>.

#### ١٠. الاثنان يعظان

سمى الله تعالى القرآن الكريم بالموعظة حين قال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، والموعظة: مقام رفيع لا يتصدى له إلا من كان لها أهلاً، وأن أول الواعظين هو الله تعالى؛ إذ وعظ عباده عن طريق القرآن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٧)</sup>.

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام - خليفة الله في أرضه، والناطق بحكمه - فقد وعظ

(١) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥٢.

(٣) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.

(٤) للمزيد من الاطلاع على فلسفة هذا الحزن وحقيقته، أنظر: مقال لنا بعنوان: (علاج الكآبة بين علم النفس القرآني والغربي)، منشور ضمن سلسلة منشورات المؤتمر الدولي للقرآن والعلوم الإنسانية.

(٥) يونس: آية ٥٧.

(٦) البقرة: آية ٢٣١.

(٧) النساء: آية ٥٨.

القوم في كثير من المواقف، ومنها خطبته يوم العاشر، فقد قال عليه السلام: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر إليكم»<sup>(١)</sup>.

وما أجهل تشابه الموقف بين القرآن الكريم والإمام الحسين عليه السلام في قبول المخاطب للموعظة ورفضها، فقد أطلقا موعظتهما من باب إرادة الخير للمخاطب، فإن قبل بها فهو المستفيد، وإن رفضها فهو الخاسر، من دون إجبار له أو إظهار الحاجة إليه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد طبّق الإمام الحسين عليه السلام هذا المعنى عندما وعظ، فقال عليه السلام: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النّصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النّصف من أنفسكم، فأجمعوا رأيكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»<sup>(٣)</sup>.

## ١١. الاثنان خالدان

كما أنّ القرآن الكريم خالد إلى يوم القيامة، فكذلك الإمام الحسين عليه السلام ومنهجه خالدان أيضاً، وقد أفصحت عن هذه الحقيقة السيّدة زينب عليها السلام عندما خاطبت يزيد - وهو في شدّة عنفوانه وطغيانه - بقولها: «... ثم كد كيدك، واجهد جهدك، فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوة والانتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا»<sup>(٤)</sup>، وفي بعض المصادر إضافة: «ولا تُميت وحيناً»<sup>(٥)</sup>، وهذه العبارة

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧.

(٢) البقرة: آية ٢٧٥.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٧.

(٥) ابن نما الحلبي، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ٨١.

مرتبطة بقوله ﷺ: «لا تمحو ذكرنا»، وهذا يعني: ما دام أن الله تعالى حافظاً للقرآن الكريم من الزوال والتحريف، فكذلك عدل القرآن الذين لا ينفصلون عنه، فقد حفظ الله ذكرهم وأعلى كلمتهم.

## ١٢- الاثنان نور

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾<sup>(١)</sup>، فعبّر عن القرآن الكريم بالنور، وكذلك أهل البيت ﷺ، فقد ورد في الزيارة الجامعة ما يدلّ على أنّهم ﷺ أنوار، ومن ذلك: «خلقكم أنواراً فجعلكم بعرشه محقين»<sup>(٢)</sup>، «وأتم نور الأخيار وهداة الأبرار»<sup>(٣)</sup>، و«كلامكم نور»<sup>(٤)</sup>.

كلّ هذه الوجوه من الشراكة نصّت عليها الآيات والروايات. وإضافة إلى ذلك فقد أظهرت الوقائع التاريخية بعض التشابه والاشتراك في قضايا عجيبة، كاشتراكهما في المظلومية والجفاء؛ فقد رُميا بالنبال من قبل أهل المطامع الخبيثة، فعندما وصل الأمر إلى الوليد بن يزيد تفاعل يوماً بالقرآن، فظهر قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فرمى المصحف من يده، وأمر أن يجعل هدفاً، ورماه بالنشاب، وأنشد أبيات الحاديّة نعرض عن ذكرها<sup>(٦)</sup>.

وكذلك الإمام سيّد الشهداء ﷺ صار طعمة للسيوف والرماح والنبال، فقد أتته النبال من كلّ صوب، وأُتخن جسده الشريف بالجراح<sup>(٧)</sup>، وكانت الوحوش الأمويّة متشتمّة وفرحة بذلك.

(١) الأعراف: آية ١٥٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ٢، ص ٥١٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) إبراهيم: آية ١٥.

(٦) أنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ١٠٦. وأيضاً: المرتضى،

علي بن الحسين، الأمالي: ص ٨٩.

(٧) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين ﷺ: ص ٣١٩.

وجاء في رواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا بن ذر، فإذا لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ما خلفتني في الثقلين فماذا تقول له؟ قال: فبكى ابن ذر حتى رأيت دموعه تسيل على لحيته، ثم قال: أما الأكبر فمزقناه، وأما الأصغر فقتلناه»<sup>(١)</sup>.  
وإن القرآن رُفِعَ على الرماح في موقف ظاهره طلب الصلاح، لكن حقيقة محاربة الدين، وكذلك رأس الإمام الحسين عليه السلام، فقد رفع على الرماح وكانوا يكبرون ويصيحون: إنَّه رأس خارجي، والحقيقة إنَّه رأس ريحانة رسول الله، وقد قتلوا بقتله تأويل القرآن وتنزيله، كما يقول الشاعر في ذلك:

جاؤوا برأسك يابن بنت محمد      مترملاً بدمائه ترميلاً  
قتلوك عطشانا ولم يرتقبوا      في قتلك التنزيل والتأويلاً  
ويكبرون بأن قُتلت وإنّا      قتلوا بك التكبير والتهيلاً<sup>(٢)</sup>

### معطيات هذه الشراكة ونتائجها

- ١ - لا ينعف التمسك بأحدهما دون الآخر، بل لا بدّ أن نتمسك بهما معاً؛ لأنّ من الضلال ونال الفوز والنجاة، فالشراكة تعني ضرورة وجود الشركاء معاً حتى يتم المطلوب.
- ٢ - نصره أحدهما نصره للآخر، كما أنّ ظلم أحدهما وهجرانه ظلم وهجران للآخر، فظلم الإمام الحسين عليه السلام ظلم للقرآن، كما ورد في الزيارة: «لقد أصبح كتاب الله فيك مهجوراً»<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - من يدعي حبّ الإمام الحسين عليه السلام عليه أن يهتمّ بالقرآن كما أنّ العكس صحيح أيضاً.

(١) الكشي، محمد بن عمر، رجال الكشي: ج ٢، ص ٤٨٥.

(٢) النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص ١٩٥. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن

علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٦٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٣٧٦.

٤ - إنَّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وجفاء الناس لحقه وخذلانهم له، يُنبئ عن مدى ابتعادهم عن حقيقة القرآن، فإنَّهم وإن صاموا وصلَّوا ورتلوا آيات القرآن الكريم، لكنَّهم خذلوه حين لم يحركوا ساكناً لنصرة الإمام عليه السلام؛ لأنَّ التدين والتمسك بالقرآن دون العترة إنَّما هو تدين أجوف، كما أنَّ شعار (حسبنا كتاب الله) للمدعين بالاهتمام بالقرآن دون العترة جاء لفصل الإمام عليه السلام عن القرآن، ولإلغاء دور الأئمة عليهم السلام في تطبيق القرآن الكريم وتبيينه.

٥ - إنَّ مَنْ يكون شريكاً للقرآن فهو الأحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ الرسول هو شريك القرآن الأوَّل كما هو واضح لمن يلقي نظرة - ولو سريعة - على الآيات القرآنية، فقد اتَّصف صلى الله عليه وآله بصفات القرآن، من قبيل الهداية، والإنذار، والتبشير، والنور، والبركة، و... كما أنَّ بعض الآيات قرنت بين الرسول صلى الله عليه وآله والقرآن بما لا يقبل الانفصال، وجعلتها معاً حجةً لله على الخلق، ومنبع الفيض الإلهي للعالمين، ومن تلك الآيات: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(١)</sup>، فقد ورد في تفاسير الفريقين أنَّ المقصود بالنور هو الرسول صلى الله عليه وآله، والكتاب هو القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وهناك آيات تجعل مهمَّة الرسول هي تبليغ القرآن وتلاوته وتبيينه للناس، من قبيل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) المائدة: آية ١٥.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٣٧١. وأيضاً: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٣، ص ٢٧٠. وأيضاً: الطبراني، سليمان بن أحمد، التفسير الكبير للطبراني: ج ٢، ص ٣٧١.

(٣) آل عمران: آية ١٦٤.

(٤) النحل: آية ٤٤.

فكلّ هذه الآيات وغيرها تقرن رسول الله ﷺ بالقرآن، وتعرفها معاً كهاديين إلهيين يكمل أحدهما الآخر، وبدون أحدهما تبقى عملية الهداية غير مكتملة. وبما أنّ القرآن باقٍ ورسالته خالدة إلى يوم القيامة، فلا بدّ أن يكون معه - بعد رحيل النبي ﷺ - شريك ناطق به ومبيّن له؛ ولذلك جاء حديث الثقلين ليبيّن بنصّ واضح وصريح أنّ العترة الطاهرة هم خلفاء النبي الأكرم ﷺ، وشركاء القرآن المتكفّلين بحفظه من الضياع، وتبيينه وتوضيحه للناس. وكما أنّ آيات القرآن بدون النبي المفسّر والمبيّن والمطبّق لها، ليس لها أيّ تأثير في واقع الحياة، فكذلك الحال من دون الإمام، ولعلّ هذا هو المقصود بالدعاء القائل: «اللهم وأحيي بوليّك القرآن»<sup>(١)</sup>، فبالإمام يُحيى القرآن ويطبّق على أرض الواقع.

## النتيجة

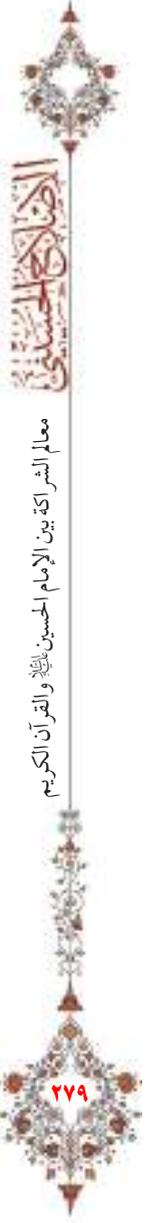
- ١- لفظة (الشراكة) وردت في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهو مفهوم قد أكدته الروايات الصحيحة والمتواترة عند الفريقين، من قبيل حديث الثقلين.
- ٢- معالم الاشتراك بين الاثنين كثيرة، منها: الهداية، والموعظة، والعصمة، والشفاعة، والخلود.
- ٣- بعد ثبوت الشراكة والارتباط بين الاثنين تترتب على المسلمين أمور عديدة، منها: التمسك بالاثنين معاً، والوقوف إلى جنبهما، والمعارضة لظالميهما والبراءة منهم.
- ٤- من الشراكة نستدلّ على أنّ الإمام الحسين عليه السلام باعتباره واحداً من أهل البيت عليهم السلام، المصداق العيني للقرآن الكريم، والتجليّ التام لآياته، وأنّ أيّ واجب على الناس تجاه القرآن الكريم يسري نفسه على الإمام الحسين عليه السلام.
- ٥- كما أنّ هذه الشراكة تبين أحقيّة الإمام الحسين عليه السلام في خلافته لرسول الله ﷺ.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٩٠.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ - الاحتجاج، أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- ٢ - الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، مؤسّسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٣ - إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٤ - إقبال الأعمال، عليّ بن موسى المعروف بابن طاووس، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٥ - الألفين، العلامة الحسن بن يوسف الحلبي، مكتبة الألفين، الكويت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٦ - الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، محمد بن الحسن العاملي، تحقيق: هاشم رسولي، أحمد جنتي، نويد، طهران - إيران.
- ٧ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٨ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٩ - بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفّار، تحقيق: محسن كوجه باغي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٠ - البلد الأمين والدرع الحصين، إبراهيم بن عليّ الكفعمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ١١ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مؤسّسة الأعلمي، بيروت - لبنان.



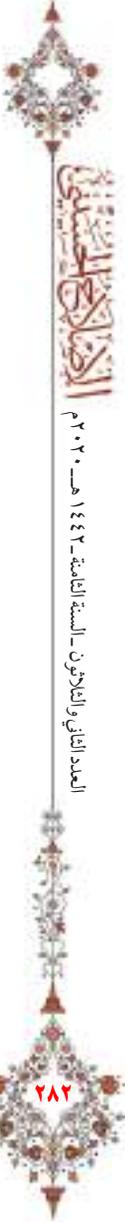
- ١٢ - التبيان في تفسير القرآن، محمد بن حسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- ١٣ - تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: رسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٤ - التفسير الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتاب الثقافي، أربد - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- ١٥ - تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي، الناشر: إسماعيليان، قم المقدسة - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ١٦ - التوحيد، محمد بن عليّ المعروف بالصدوق، تحقيق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ١٧ - رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، محمد بن عمر الكشي، تعليقات: ميرداماد الأسترآبادي، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٨ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيثمي، مكتبة القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ١٩ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن عليّ المعروف بالصدوق، ترجمة وتحقيق: أصفهاني، انتشارات علمية إسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى.
- ٢٠ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٢١ - فضائل الأشهر الثلاثة، محمد بن عليّ بن بابويه، تحقيق: عرفانيان يزدي، مكتبة داوري، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- ٢٢ - الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- ٢٣ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: العلامة عبد الحسين الأميني، دار المرتضوية، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ٢٤ - كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ٢٥ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: جمال الدين الميردامادي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٦ - مثير الأحران، جعفر بن محمد بن نوا الحلي، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٧ - المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين المحدث، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٢٨ - المزار الكبير، محمد بن جعفر ابن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٩ - المزار في كيفية زيارة النبي والأئمة عليهم السلام (المزار للشهيد الأول)، الشهيد الأول محمد ابن مكي العاملي، تحقيق: موحد أبطحي أصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٣٠ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٣١ - معاني الأخبار، محمد بن علي بن بابويه، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٣٢ - مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، بيروت، دار الشامية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٣٣ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي المعروف بابن شهر آشوب، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣٤- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

### المجلات والبحوث

٣٥- مقالة بعنوان: (علاج الكآبة بين علم النفس القرآني والغربي)، مهدي عيسى البطاط، منشورات المؤتمر الدولي للقرآن والعلوم الإنسانية ٢٣، مركز المصطفى عليه السلام العالمي للترجمة والنشر، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٩م.



العدد الثاني والثلاثون - السنة الثامنة - ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٠م

# توظيف آية التطهير بلسان الإمام علي بن الحسين عليه السلام في النهضة الحسينية

الشيخ وسيم راقم الوائلي\*

## المقدمة

إنّ البحوث كثيرة في آية التطهير، إلاّ أنّ منهج البحث يختلف من باحثٍ لآخر؛ لذا فقد يُتصور للوهلة الأولى أنّ البحث سيتناول الآية الكريمة بالكيفية المتعارفة في بحث النصّ القرآني نفسها، إلاّ أنّ الأمر ليس كذلك؛ فالبحث لا يُسلّط الضوء على تفسير النصّ الكريم فحسب، بل يبحث ما وراءه من الدقائق التي لا يمكن اكتشافها إلاّ عبر الآليات الدقيقة المتمثلة بطريقة التفسير التحليلي<sup>(١)</sup>، الذي يعطي أجزاء النصّ اللغوي بعامة والقرآني بخاصة حقّه من البحث، ابتداءً بأصغر جزءٍ من النصّ وانتهاءً بالمنظومة السياقية المترامية الأطراف.

وتبرز أهمّية الموضوع في كونه يتعلّق بأبرز نصّ في القرآن الكريم، ولأنّه جاء على لسان الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في مقام التوظيف، ولأهمّية النتائج المترتبة على دلالة هذه الآية الكريمة، وعدم الاكتفاء بالنظرة السطحية لهذا النصّ ولغيره من

---

\* ماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الفقه - جامعة الكوفة، من العراق.

(١) قام الباحث بتعريف التفسير التحليلي، وبيان ضوابطه في بحثٍ آخر تمّ تحت عنوان: (توظيف آية التطهير بلسان الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة تفسيرية تحليلية)، وقد جاء هذا البحث متمماً لذلك. أنظر: الوائلي، وسيم راقم، توظيف آية التطهير بلسان الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة تفسيرية تحليلية: مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ٣٠، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م: ص ١٦٠-١٦٢.

النصوص الكريمة؛ لأنّ منها ما يؤسّس لسننٍ وقوانين تاريخية تفسّر الظواهر البشرية على امتداد الزمان.

وقد تمّ تقسيم البحث على أربعة مباحثٍ يسبقها تمهيد وتلونها خاتمة بأهم النتائج.

## التمهيد: أنواع توظيف النصّ والمناسبة التاريخية لتوظيف آية التطهير

### أنواع توظيف النصّ

لكلّ نصّ لغوي وظيفّةٌ ما<sup>(١)</sup>، تسمّى بـ(الوظيفة البلاغية) أو (التواصلية)، وهي تتنوّع بتنوّع الأغراض التي يستهدفها الموظّف للنصّ، وقد ذكر العلماء الوظيفيون جملةً من هذه الأقسام، كأقسام هاليداي<sup>(٢)</sup>، وأقسام جاكسون<sup>(٣)</sup>، وأقسام بوهلر<sup>(٤)</sup>، وهنالك من أرجع كلّ الأقسام الوظيفية إلى أصلٍ واحد<sup>(٥)</sup>، وهو (الوظيفة التواصلية)، إلّا أنّها تكون بدرجات متفاوتة، ومنهم<sup>(٦)</sup> من أرجعها إلى (الوظيفة الإفهامية).

وفي الحديث عن توظيف النصّ القرآني ينبغي التمييز بين وظيفة النصّ القرآني القصديّة من قبل السامع، وبين عملية توظيف النصّ القرآني من قبل البشر في تواصلهم؛ لأنّ وظيفة النصّ القرآني الأولى، هداية البشرية بعامتها<sup>(٧)</sup>، لما فيه

(١) أنظر: المتوكّل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ص ٥٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٥.

(٣) أنظر: كريدية، هيام، الألسنية (رواد وأعلام): ص ١٧١. وأيضاً: حساني، أحمد، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات: ص ٧٧. وأيضاً: منقور، عبد الجليل، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي): ص ٦٧.

(٤) أنظر: حساني، أحمد، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات: ص ٧٣ - ٧٤.

(٥) المتوكّل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ص ٥٤.

(٦) أنظر: السيّد، محمود أحمد، اللسانيات وتعليم اللغة: ص ١٨ - ١٩.

(٧) أنظر: الحميني، روح الله، القرآن كتاب الهداية: ص ٦٣. وأيضاً: الصدر، محمد، خطب الجمعة

صلاحهم في الدنيا والآخرة على أكمل الوجوه، وهذه الوظيفة واضحة الدلالة في عبارة القرآن العظيم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(١)</sup>، فالهداية وظيفه تواصلية إفهامية قصدية من قبل القرآن الكريم، ويقع في طولها وظائف لا متناهية من حيث مستوى المرسل والمتلقي؛ «فإن القرآن الكريم يُمكن أن يُفهم من كل مستوى من المستويات العقلية والروحية بشكلٍ يختلف عن الآخر، فإذا وصل المستوى إلى أعلى المستويات - كما عند المعصومين عليهم السلام - أصبح فهمهم للقرآن الكريم لا يشبه فهم آخر»<sup>(٢)</sup>.

لذا؛ فقد يتسع البحث أو يضيق تبعاً لمستوى المرسل للنص أو المتلقي؛ وتأكيد ذلك بقول الإمام الحسين عليه السلام: «كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(٣)</sup>، وهذا القول الكريم يختصر المطوّلات ويحلّ الإشكالات في سرّ تعدّد وظائف هذا السفر العظيم؛ لأنّ الله تعالى يخاطب به كلّ مستويات البشر من العامّة إلى الأنبياء عليهم السلام؛ وكلّما كانت مرتبة المتلقي للنص أعلى، كانت الوظائف التي يفهمها من النصّ أكثر وأعمق؛ من هذا يُفهم أنّ القرآن الكريم فيه تبيان كلّ شيء في واقعه وفي الأمر نفسه، ومن حيث مجموع مستويات المتلقي المتفاوتة، وليس لكلّ فرد إدراك كلّ شيء من القرآن الكريم، لأنّ ذلك يختلف من حيث قابلية الأفراد واستحقاقهم، فالمطهّرون، والراسخون في العلم، وأهل الذكر، مطّلعون على تلك الحقائق القرآنية وتفصيلها<sup>(٤)</sup>، إلا أنّ المتلقي لا يمكنه استيعاب جميع دلالات

لشهود صلاة الجمعة: ص ٥٣١. وأيضاً: الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن: ص ١٧.  
(١) الإسراء: آية ١٧.

(٢) الصدر، محمد، تعليقات على كتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير: ص ٦٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٢٠.

(٤) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي: ج ٢، ص ١٣١.

النصّ الكريم، بل له من ذلك القدر المتيقّن من الوظيفة العامّة (وظيفة الهداية)، فإنّ اتّسعت مداركه استطاع التعرّف على وظائف أخرى تقع في طول الوظيفة العامّة؛ إذ إنّ توظيف النصّ القرآني من قِبَل بني البشر يهبُ النصّ وظيفةً تواصليةً خاصّةً، تختلف باختلاف مستوياتهم، يُشترط فيها أن تكون في طول الوظيفة العامّة للنصّ الكريم (وظيفة الهداية)، وإلّا كان التوظيف سقيمًا، وعلى هذا تفرّع - إجرائياً - نوعين من توظيف النصّ القرآني، وهما (التوظيف السقيم)، و(التوظيف السليم).

ومن أجل استنطاق النصوص الموظّفة في النهضة الحسينية فلا بدّ من تحليلها في ضمن أطرها التداولية (Pragmatics) التي تعني: «دراسة المعنى الذي يقصده المتكلّم»<sup>(١)</sup>؛ لأنّ النصّ القرآني الموظّف ينبغي أن يُفهم من زاوية ما هو موجود من الوقائع<sup>(٢)</sup>، وفي طول الوظيفة العامّة للنصّ القرآني الكريم.

### المناسبة التاريخية لتوظيف آية التطهير بلسان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

وظّف الإمام زين العابدين عليه السلام هذا النصّ الكريم في حوارهِ مع شيخِ شامي، فقد نُقل أنّ السبايا «أُتي بهم باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقيم السبي... وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليهما السلام وهم في ذلك الموضع، فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٣)</sup>؟ قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقال عليّ عليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ... فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>. قال الشيخ: قد قرأت ذلك. فقال

(١) بول، جورج. التداولية (Pragmatics): ص ١٩.

(٢) أنظر: العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٩. وأيضاً: الصدر، محمد، خطب

الجمعة لشهد صلاة الجمعة: ص ٣٥٧.

(٣) الشورى: آية ٢٣.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

عليّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذي خصّصنا الله بآية الطهارة... فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: تالله إننا لنحن هم من غير شك... فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إننا نبرأ إليك من عدوّ آل محمد صلى الله عليه وآله من جنّ وإنس. ثم قال: هل لي توبة. فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك، وأنت معنا. فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقتل<sup>(١)</sup>.

ومما تقدّم اتّضح أنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وظّف آية التطهير في الحوار مع الشيخ الشامي، وهذا التوظيف يقع في طول الوظيفة العامة للقرآن الكريم (وظيفة الهداية).

### المبحث الأول: التفسير التحليلي للحرف في آية التطهير

تتكون آية التطهير من خمسين صوتاً؛ إلا أنّ الباحث اختار واحداً من هذه الأصوات لبيّحت دلالاته الصوتية في النصّ الكريم؛ لضيق مقام البحث عن تناول جميع الحروف.

اختار الباحث حرف الميم - هنا - لما لهذا الحرف من مزايا<sup>(٢)</sup>، فهو المرتبط تاريخياً مع الماء سرّ الحياة، وكذلك لملاحظة التحوّل الدلالي<sup>(٣)</sup> لدلالة الحرف في المفردات المختلفة.

وقد جاء حرف الميم في آية التطهير ثلاث مرات في ثلاث مفردات قرآنية، وهي:

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٧. وأنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٩.

(٢) حيث يُعتقد أنّ كلمة ميم تعني الماء، خصوصاً وأننا نجد كلمة ميم في العبرية وتعني ماءً، كما ونجد كلمة ميم في العربية العامية وتعني ماء، وكذلك اسمها ميم في السريانية والكلدانية، ونلاحظ أنّ رسم حرف الميم الفينيقي هو كسطح ماء البحر المنمنم، وهو يُشبه هذا الرسم الهيروكليفي. أنظر: الحلو، رحاب كمال، قاموس الأصوات اللغوية: ص ٥٤٩.

(٣) أنظر: رسن، أحمد، تفسير القرآن بالقرآن (دراسة دلالية): ص ٧٦.

(إنها)، (عنكم)، (يطهركم)، ولفصاته الثلاث: (الجهر)، (الاستفال)، (التوسط) تناسبٌ دلالي مع الأحداث التي دلّ عليها النصّ الكريم لفظاً ونزولاً وتوظيفاً على نحو «المحاكاة الصوتية (Onomatopoeia): [و] هي عملية تجسيد الصوت للمعنى»<sup>(١)</sup>، وهو أحد أنواع المحاكات الثلاثة<sup>(٢)</sup>.

أمّا صفة الجهر في الميم<sup>(٣)</sup> فتناسب مع ما دلّت عليه أخبار الفريقين<sup>(٤)</sup> من جهر النبي ﷺ وتبليغه للقرآن الكريم بعامة وآية التطهير بخاصّة، فقد قام بتبليغها بأسلوبٍ مميّزٍ من حيث الجهر بها على باب الإمام عليّ وفاطمة الزهراء عليهما السلام، وخلال مُدّةٍ طويلة وبشكلٍ يومي، بل إنّ بعض الأخبار دلّت على جهره ﷺ بالنصّ على أسماء تسعة من ولد الإمام الحسين عليهما السلام<sup>(٥)</sup>، وهذا ما يتعلّق بتوظيف الإمام زين العابدين عليهما السلام؛ بصفته أحد أهل البيت الذين جهر النبي ﷺ بأسمائهم عليهما السلام.

وبهذا تتبيّن علاقة صفة الجهر بالحدث الذي دلّت عليه آية التطهير؛ إذ إنّه كان من أبرز الحوادث في تاريخ المسلمين وأبينها؛ لكثرة التأكيد من قبل النبي ﷺ على هذه الحقيقة الكبيرة التي يدلّ عليها النصّ الكريم.

وتوظيف الإمام زين العابدين عليهما السلام لهذا النصّ الكريم في حوارهِ مع الشيخ الشامي جاء مناسباً لصفة الجهر في حرف الميم؛ وذلك أنّ الإمام عليهما السلام قد جهر بتلك الحقيقة التي كانت خافيةً على الشيخ الشامي، ممّا أدّى إلى هدايته.

أمّا صفة الاستفال في الميم<sup>(٦)</sup> فتناسب مع حدث الإزالة الذي يتناسب عكسياً

(١) الراضي، إبراهيم، البناء الصوتي في السور المكية: ص ١٢٩.

(٢) أنظر: جاب الله، إسامة، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم: ص ٥٥-٥٦.

(٣) أنظر: التميمي، خميس عبد الله، الأصوات اللغوية في كتاب المستوفي في النحو للفرغاني: ص ١٥٨.

(٤) ابن حنبل، أحمد، المسند: ج ٢٨، ص ٧٧. وأيضاً: البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج ٢،

ص ١٥٠. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ج ١، ص ٤١٨.

(٥) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥١٧. وأيضاً: الإربلي، علي بن عيسى، كشف

الغمة: ج ١، ص ٩٩، و ص ١٢٠.

(٦) أنظر: الخلو، رحاب كمال، قاموس الأصوات اللغوية: ص ٤٨١.

مع التطهير؛ حيث «يقرن العقل بين إحساس الصوت وإحساس الصورة، وبينه وبين أي إحساسٍ من نوع آخر»<sup>(١)</sup>، فالرجس وأهله في الأسفل، والطهارة وأهلها في الأعلى، وأهل البيت عليهم السلام وإن لم يكن قد أصابهم الرجس إلا أنه أبعد (عنهم) لا (منهم)، ليُزال عنهم البتة؛ فهم في تكاملٍ وارتفاعٍ وعلوٍ مستمرٍ ودائمٍ، وهذا يقتضي الابتعاد عن الرجس وأهله؛ ونظير ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ ارْأَفَعِيكِ وَارْأَفَعِيكِ إِلَىٰ وَمُطَهِّرَكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فعبارة (رافعك إليّ) دلّت على العلو ويقابله السفلى، وحيث إنّ الطهارة جاءت ملازمة للرفع إلى الله تعالى فهي تُناسب الفوقية والارتفاع، والرجس يُناسب التحتية والاستفال، وقد أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى هذا المعنى في توظيفه للنصّ الكريم ببيان أنّه منزّه عمّا ألصق به من دعوى الشاميين وغيرهم، بل هو من هذا البيت الذي نصّ عليه القرآن الكريم.

وأما صفة (التوسط) في الميم فتناسب مع دعوة النبي صلى الله عليه وآله وذريته من أهل البيت عليهم السلام إلى الوسطية التي نصّ عليها القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، وما نصّت عليه بعض التفاسير<sup>(٤)</sup> من أنّ الأمة الوسط متمثلةٌ بأهل البيت عليهم السلام، وقد جاء خبر توظيف الإمام زين العابدين عليه السلام متمسكاً بأركان الحوار الموضوعي من (شخصية المحاور والمُحاور)<sup>(٥)</sup> حيث لم يتسم الشيخ بالعناد، وإلاّ تحوّل الحوار إلى جدالٍ باطل<sup>(٦)</sup>.

(١) علوية، نعيم، نحو الصوت ونحو المعنى: ص ٧.

(٢) آل عمران: آية ٥٥.

(٣) أنظر: الصدر، محمد، تعليقات على كتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهر: ص ١٥.

(٤) أنظر: الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٦٦. وأيضاً: الكاشاني، محسن، تفسير الصافي: ج ٢، ص ١٩٧. وأيضاً: الشيرازي، محمد، تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢، ص ١٨٩. وأيضاً: قراءتي، محسن، تفسير النور: ج ١، ص ٢١١.

(٥) أنظر: فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن (قواعده، أساليبه، معطياته): ص ٦٨ - ٦٩.

(٦) أنظر: شعبة البحوث والدراسات، الحوار في القرآن (حوارات الإمام الصادق أنموذجاً): ص ٥.

## المبحث الثاني: تحليل دلالة الكلمة القرآنية في آية التطهير

وردت في آية التطهير أكثر من كلمة، إلا أن تناول جميع تلك الكلمات مما لا يسعُ البحث؛ لضيق مقامه عن ذلك وكونه مقيداً بسقفٍ كميٍّ محدّد؛ لذا يحسن التركيز على أبرز الكلمات؛ لبيان أهمّية (التفسير التحليلي) في بيان دلالة النصّ القرآني الموظف. والكلمة التي سيدرسها البحث - هنا - هي: (البيت)؛ وذلك لما لها من أثرٍ بليغٍ في استدلال العلماء<sup>(١)</sup> في تحديد مصداق المعنيين بـ(أهل البيت)، وخصوصية ذلك البيت.

### أولاً: التحليل المعجمي لكلمة (البيت) في آية التطهير

ذكر علماء اللغة<sup>(٢)</sup> أن البيت أصله ثلاثي (بَيْتٌ)، وأصل معناه (الخباء)، وهو بيت صغير مصنوع من الصوف أو الشعر، ولكنه استعمل استعمالاً عديدة، منها: بيت الرجل (دائرته وقصره)، ومنها: بيوت الله (المساجد)، ومنها: البيت الحرام (الكعبة الشريفة)، ومنها: بيت المقدس، ومنها: بيت العنكبوت، ومنها: (بيت الشعر) تشبيهاً له بالخباء، ومنها: بيت العرب (شرفها)، ومنها: بيت النبي ﷺ، وأهل البيت هم أهل بيت النبي ﷺ، وغيرها.

### ثانياً: التحليل الصرفي لكلمة (البيت) في آية التطهير

البيت اسم ثلاثي مجرّد على وزن (فَعَل) <sup>(٣)</sup> بفتح الفاء وسكون العين، ويعطي

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: ص ٦٥. وأيضاً: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من السيرة: ج ٩، ص ١٢٩. وأيضاً: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين ﷺ: ص ٦٣.

(٢) أنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٣٢٤. وأيضاً: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: ج ٣، ص ٢١-٢٥. وأيضاً: معلوف، لويس، المنجد في اللغة: ص ٥٥-٥٦.

(٣) أنظر: الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف: ص ٤١. وأيضاً: النجار، أشواق، المعجم المفهرس للأوزان الصرفية في القرآن الكريم: ج ٢، ص ٧٧٨.

هذا البناء المعنى الأصل الطبيعي للاسم الثلاثي، وهو الوزن الأول من أوزان الاسم العشرة، و(بيت) من أسماء الأجناس المحسوسة الجامدة<sup>(١)</sup>؛ لأنه لم يؤخذ من غيره. ويتّصف الاسم الجامد بأنه، اسم يدلّ على معنى من غير ملاحظة صفة ما، فالبيت يدلّ على المعنى المعجمي المتقدّم من دون صفة ما كـ(كبير، صغير) وما شابه ذلك، وهو ما يتلاءم مع تفسير البيت بأنه بيت الله المعنوي<sup>(٢)</sup>؛ لأنه لا يمكن أن يقيد بوصف.

### ثالثاً: التحليل النحوي لكلمة (البيت) في آية التطهير

أُعْرِبَت كلمة البيت في آية التطهير مضافاً إليه مجروراً<sup>(٣)</sup>، وقد عُرِّف المضاف إليه بأنه: «كلّ اسم أُضيف إلى شيء بواسطة حرف الجر لفظاً... أو تقديرًا»<sup>(٤)</sup>، والشيء الذي أُضيف له هو كلمة (أهل) وإعرابها أنّها «نصبٌ على النداء وإن شئت على المدح، ويجوز في الكلام الخفض على البدل من الكاف والميم في (عنكم) عند الكوفيين، ولا يجوز ذلك عند البصريين؛ لأنّ الغائب يُبدل من المخاطب لاختلافهما. وقيل: لم يُجز؛ لأنّ البدل بيانٌ، والمخاطبُ والمُخاطَبُ لا يحتاجان إلى بيان»<sup>(٥)</sup>، أمّا التقدير فد(أهل في البيت)<sup>(٦)</sup>، «وقد يكتسب المضاف إليه من المضاف»<sup>(٧)</sup> قيمه الدلالية؛ ومن هذا يتضح أنّ الدلالة النحوية لكلمة (البيت) متأتية من أمرين:

الأوّل: ارتباطها بالمضاف (أهل)، فإنّ أُعْرِبَت بدلاً كان أهل البيت كلّهم من

(١) أنظر: الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف: ص ١١.

(٢) أنظر: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٤٧.

(٣) أنظر: ياقوت، محمود سليمان، إعراب القرآن الكريم: ج ٨، ص ٣٧٣٦.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات: ص ٨٦.

(٥) القيسي، مكي بن أبي طالب، مُشكَل إعراب القرآن: ص ٣٨٣. وأنظر: ياقوت، محمود سليمان،

إعراب القرآن الكريم: ج ٨، ص ٣٧٣٦.

(٦) أنظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، شرح قطر الندى وبل الصدى: ص ٣٤٧.

(٧) قادر، فخرية غريب، تجليات الدلالة الإيجائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة

(سورة التوبة أنموذجاً): ص ١٨٠.

الرجال أو أغلبهم من الرجال على (التغليب)، وإن أُعربت بالأُنحاء الأخرى فهي شاملةٌ لكلا الجنسين وبغضّ النظر عن نسبة الرجال والنساء فيهم.  
الثاني: وجود تقديرٍ معنويٍّ لحرف الجر بين المضاف والمضاف إليه، فأهل البيت هم الكائنون فيه حقيقةً أو مجازاً.

#### رابعاً: التحليل الإيحائي لكلمة (البيت) في آية التطهير

اكتسبت كلمة (البيت) في آية التطهير إيحائيتها من أمرين مهمين:  
الأول: (ال) التعريف<sup>(١)</sup>، فأفادت معاني عديدة.  
الثاني: حذف طرف البيت؛ لأن «معنى البيت، في قوله تعالى: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾<sup>(٢)</sup>... معنىً إضافيٍّ حُذف طرفه في الآية الكريمة، فهو لم يقل: أهل بيت مَنْ<sup>(٣)</sup>.  
أمّا الأمر الأول فتؤدّي اللام وظائف إيحائية عديدة<sup>(٤)</sup>، منها الدلالة على العموم والشمول، ومنها: استغراق كلّ أفراد الجنس، ومنها: العهدية، ومنها: دلالة الكمال والتعظيم، ومنها: دلالة القصر حقيقةً أو تجوزاً للمبالغة، ومنها: الوظيفة التوضيحية والتحديدية.

فإن كانت (ال) - الداخلة على كلمة (بيت) في آية التطهير - عهدية<sup>(٥)</sup>، فالبيت ينبغي أن يكون معروفاً لدى المسلمين بعامّة فضلاً عمّن عاصر النبي ﷺ، وأبرزُ مصداقٍ له في القرآن الكريم (البيت الحرام)، وإن كانت (للشمول) فهي تعني (عموم البيت)، أي: سواءً أكانت الكعبة الشريفة فهم أهلها، أم أنّ البيت شيءٌ آخر

(١) المصدر السابق: ص ١٧٩.

(٢) الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين ﷺ: ص ٤٧.

(٤) قادر، فخرية غريب، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة (سورة التوبة أنموذجاً): ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٥) أنظر: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين ﷺ: ص ٥٥.

فهم أهله من دون استغراق، وإن كانت لاستغراق الجنس فالمقصود كل بيت على وجه الكون وفي كل زمن، وهذا المعنى غير مقبول في دلالة النص، إلا إذا أخذت الأهلية بمعنى الولاية والتصرف، وإن كانت (ال) لدلالة التعظيم والكمال فهذا ممكن أيضاً بقرينة التطهير وإذهاب الرجس، وإن كانت لدلالة القصر فيكون هذا البيت هو البيت الوحيد على وجه الأرض يستحق الصفات التي تطرقت لها آية التطهير، وإن كانت للوظيفة التوضيحية والتحديدية فهي التي تفيد «دلالة العهدية والجنسية معاً»<sup>(١)</sup>، فتدل على أن ثمة أكثر من بيت داخل في جنس البيت كالكعبة الشريفة، وبيت الإمام علي عليه السلام، والمساجد.

وفي هذه المعاني الإيحائية المنبثقة من دلالة (ال) التعريف مناقشات كثيرة في ظل السياق الذي جاءت فيه كلمة البيت.

وأما الأمر الثاني الذي تفرعت عليه الدلالة الإيحائية فهو حذف طرف البيت مما أوحى إلى معنيين رئيسين للبيت<sup>(٢)</sup>:

أحدهما: بيت النبي ﷺ.

الآخر: بيت الله سبحانه وتعالى.

أما بيت الله تعالى فله معنيان: أحدهما مادي وهو الكعبة الشريفة<sup>(٣)</sup>، والآخر واقعي وهو البيت المعنوي، وفيه تسكن أنوار أهل البيت لا أجسادهم، وهذان المعنيان متلازمان ولا تنافي بينهما، فالأول رمز والآخر مرموز إليه.

أما بيت النبي ﷺ فله معنيان: أحدهما حقيقي والآخر مجازي، فأما الحقيقي فلم

(١) أنظر: قادر، فخرية غريب، تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة (سورة التوبة أنموذجاً): ص ١٨٠.

(٢) أنظر: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٤٧.

(٣) جاء ذكر البيت في القرآن الكريم (١٤) مرة بمعنى الكعبة الشريفة. أنظر: عبد المنان، حسان، معجم ألفاظ القرآن الكريم: ص ١٩٩.

يثبت أنّ للنبي ﷺ بيتاً حين نزول آية التطهير ولا بعدها<sup>(١)</sup>، وأمّا المجازي فعلى معاني عديدة، منها: «بيوت زوجاته وهي إنّما بيوتهنّ، وليست خاصّة به»<sup>(٢)</sup>، ومنها: «الدار مجموعاً، وهي لا تسمّى بيتاً بضرورة اللغة»<sup>(٣)</sup>، ومنها: أنّه ﷺ بيت على أهله؛ إذ إنّهُ بمنزلة الخيمة<sup>(٤)</sup>، ومنها: <sup>(٥)</sup> بيت الإمام عليّ عليه السلام؛ لأنّه نفس النبي ﷺ بنصّ القرآن الكريم.

ومما تقدّم يتلخّص أنّ البيت المعنوي لله تعالى هو الأقرب لمعنى البيت، وذلك لوجوهٍ عديدة:

الوجه الأول: إنّ البيت بيت الله تعالى لا يُحدّد بزمانٍ ولا مكان، وأنوار أهل البيت ساكنةٌ فيه ولا تخرج منه، وهذا المعنى يناسب سياق آية التطهير من الشمول لكلّ الأزمنة.

الوجه الثاني: إنّ البيت بمعنى بيت الإمام عليّ عليه السلام أو الكعبة الشريفة لا تتعارض مع البيت المعنوي؛ لأنّها رمز والبيت المعنوي مرموز إليه.

الوجه الثالث: إنّ أهل البيت عليهم السلام يمكن أن يُنسبوا لأكثر من بيتٍ في عالم الدنيا؛ فالكساء بيّتهم عليهم السلام، وبيت الإمام عليّ عليه السلام بيّتهم، ولكلّ نسبةٍ ما يدلّ عليها.

وخلاصة الدلالة الإيجابية أنّ للبيت معاني عديدة، وإن كان أهله مشخصين ومعروفين، وهم - باتفاق المسلمين<sup>(٦)</sup> -: (فاطمة، وأبوها، وبعلمها، وبنوها)، وأمّا

(١) أنظر: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أنظر: المصدر السابق.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٦٢.

(٦) أنظر: ابن خزيمة، محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة: ج ٥، ص ١٣٦. وأيضاً: ابن المنذر،

محمد بن إبراهيم، الأوسط لابن المنذر: ج ٧، ص ٤٨٧. وأيضاً: البغوي، الحسين بن مسعود، معالم

التنزيل: ج ١، ص ٢٥٨.

غيرهم فقد استثنى الكثير منهم برواية الفريقين<sup>(١)</sup>، ومن الجدير ذكره أن «بيت الحسين عليه السلام في المدينة هو بيت علي وفاطمة حيث كان ينزل الوحي»<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثالث: تحليل دلالة المركب للنصوص الموظفة في الحوار

تضمّنت آية التطهير أكثر من مركّب، مما لا يسعُ البحث تناولها؛ لذا فقد اختار الباحث المركّب (إنّما يريد الله)؛ لما له من أهميّة في مجال البحوث القرآنية، ويمكن تحليله بأكثر من كيفية:

#### أولاً: التحليل الصرفي للمركّب (إنّما يريد الله) في آية التطهير

تعلّق الدلالة الصرفية لهذا المركّب بالفعل (يُريد) على وزن (يُفعل)<sup>(٣)</sup>، ولفظ الجلالة (الله)، وفي وزنه كلامٌ يحتاج إلى تفصيل.

وللمسند (يُريدُ) في النصّ الكريم دلالة صرفية مهمّة اكتسبها من صيغته في النصّ الكريم على وزن (يُفعل)، وأخرى ممّا طرأ على صيغة (يُريدُ) من زيادة حرف (الياء) في أوله.

أمّا زيادة الياء في أوله فدلت على ثلاثة أمور، وهي:

الأول: (تغيير زمن الفعل من الماضي إلى المضارع)، وياء المضارعة تدلّ على الغائب لولا مجيء لفظ الجلالة.

الثاني: (دلالته على الفاعل)، فياء المضارعة في أول الفعل (يُريد) تدلّ على

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن عليّ، الخصال: ص ٤٠٣. وأيضاً: أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، معرفة الصحابة: ج ٢٢، ص ٢٩٦. وأيضاً: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ج ٨، ص ١٥٨.

(٢) الربيعي، عباس، أطلس الحسين عليه السلام: ص ٣٥.

(٣) النجار، أشواق، المعجم المفهرس للأوزان الصرفية في القرآن الكريم: ج ٤، ص ٢٨٩٥.

الفاعل<sup>(١)</sup> للإرادة وهو الله سبحانه، وليس فوق إرادته (جلّ جلاله) إرادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالث: دلالتها «على حال الفاعل»<sup>(٣)</sup> وكونه (المريد) لإذهاب الرجز ولطهارة أهل البيت عليهم السلام.

وأما صيغة الفعل (يُريد) وإن كانت تدلّ على «الحال والاستقبال»<sup>(٤)</sup>، إلا أنّ هذه الدلالة إن صحّت في (الزمن الصيغي) <sup>(٥)</sup> فهي تتغيّر في (الزمن السياقي) <sup>(٦)</sup>، وبما أنّ الفعل اقترن باسم الله تعالى فهو مسلوب الدلالة على الزمن مع دلالته على التجدد من حيث المفعول للإرادة؛ «ونقل الزركشي (٧٩٤هـ) أنّ اللفظة حيث وقعت في صفات الله فهي مسلوبة الدلالة على الزمن»<sup>(٧)</sup>، فالحوادث لا تعرض على الذات الإلهية؛ ف«إنّ الله تعالى خاطبنا بصفتنا عرفيين وبصفته عرفياً، أي: نزل نفسه إنساناً وتحدّث معنا كأحدنا، فحصلت من ذلك التنزيل شخصيّة وهميّة، وتلك الشخصيّة تكون محطاً للعواطف المذكورة في القرآن، كالحبّ والبغض والرضا والغضب»<sup>(٨)</sup> والإرادة وغيرها، والقرآن الكريم «إنما نزل نفسه منزلة شخص عرفي من أجل مصلحتنا وإفادتنا، فإن فهمناه فهماً عرفياً أو فهمنا لغته كذلك، فقد فهمناه من الزاوية التي أقرّها وأمضاها وتحدّث بها؛ ولذا كانت ظواهره حجة، ولو كان قد تحدّث بالدقّة؛ لما فهمه إلا أقلّ القليل، ولو تحدّث

(١) أنظر: ابن جني، عثمان، الخصائص: ج ١، ص ٢٢٥. أيضاً: الزعبي، موسى صالح، التحليل الصوتي للغة العربية عند المستشرقين (مايكل بريم أنموذجاً): ص ٩٤.

(٢) النحل: آية ٤٠.

(٣) الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ١، ص ٢٥.

(٤) ابن جني، عثمان، الخصائص: ج ١، ص ١٧٥.

(٥) هنداي، عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية): ص ٥٠.

(٦) أنظر: الوزير، محمد رجب، السياق اللغوي ودراسة الزمن في اللغة العربية: ص ٨٨.

(٧) أنظر: العيداني، جلال الدين، دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار: ص ١٨٣-١٨٤.

(٨) الصدر، محمد، مئة المنان في الدفاع عن القرآن: ج ١، ص ٥٠٣.

بالدقة التي هو يعرفها؛ إذن لم يفهمه أحد إطلاقاً. إذن، فلا بدّ له من التنزّل عن مستواه الحقيقي الدقي، قليلاً أو كثيراً، وقد فعل»<sup>(١)</sup>، فالفعل (يريد) بحسب الدلالة الصرفية وإن دلّ على التجدد والحدوث إلا أنّ نسبته إلى الذات الإلهية يغيّر من هذه الدلالة وقيودها بما يتناسب مع الذات الإلهية ممّا هو في علمه (جلّ جلاله).

وتقريب ذلك يعني أنّ العبد يحتاج إلى استمرار فيض الإرادة؛ لبقاء الاستحقاقات التي دلّت عليها آية التطهير.

وأما لفظ الجلالة (الله) ففي وزنه الصر في أقوال<sup>(٢)</sup>، أبرزها:

١- إنه مأخوذٌ من آله يآله بمعنى عبد، ووزن لفظ الجلالة (الْعَال).

٢- إنه مأخوذٌ من لاه يليه بمعنى التستر، ووزن لفظ الجلالة (الْفَعْل).

٣- إنه مأخوذٌ من وله يولّه بمعنى التحير، ووزن لفظ الجلالة (العْفَل).

٤- إنه اسم علم جامد ليس مشتقاً، وهو جامعٌ لكل صفات الجمال والجلال

ووزنه (فَعَال)<sup>(٣)</sup>.

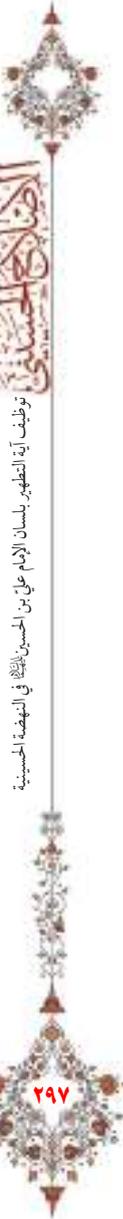
وهذا الاختلاف في الاشتقاق دليل عظمة اللفظ ومدلوله، فإن كان الوزن (الْعَال) فهو يشير إلى علو الخالق (جلّ جلاله)، فلا شيء فوقه، وهو يتناسب مع استحقاق العبودية له تعالى، وإن كان الوزن (الْفَعْل) فإنّه المستور بحقيقته عن جميع الخلق (جلّ جلاله)، وإن كان الوزن (العْفَل) فإنّ الخلق متحIRON في ذاته (جلّ جلاله) وإن اتفقوا على عظمتهم وجلاله وسائر صفاته، وإن كان الوزن (فَعَال) فهو مناسبٌ لـ (الإرادة) بحسب السياق القرآني كما قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الصدر، محمد، منهج الأصول: ج ٢، ص ٤٩.

(٢) أنظر: الزجاجي، عبد الرحمن، اشتقاق أسماء الله: ص ٢٣ - ٣٢. وأيضاً: الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٦، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف: ص ٥٣.

(٤) هود: آية ١٠٧. البروج: آية ١٦.



ويرى البحث أن لا تعارض بين هذه الأقوال، فيمكن أن تكون مقصودةً من قبل المولى بأسرها فضلاً عن غيرها<sup>(١)</sup> ولو على نحو الإيهام الإثباتي<sup>(٢)</sup>. وتوظيف الإمام زين العابدين عليه السلام لهذا النصّ الكريم في حوارهِ مع الشيخ الشامي مناسبٌ لهذه الدلالات والمضامين المختزلة في آية التطهير؛ لذا فقد أحدث التوظيف تأثيراً كبيراً في شخصية الشيخ الشامي من خلال «آلية إثارة الذهن»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: التحليل النحوي للمركّب (إنّما يريدُ الله) في النصّ الكريم

أُعرِبَ المركّب (إنّما يريدُ الله) على نحوين<sup>(٤)</sup>:

النحو الأول: (إنّ) حرف مشبّه بالفعل، و(ما) اسمٌ موصولٌ في محلّ نصب اسم إنّ، و(يريدُ الله) صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

النحو الثاني: (إنّما) كافّةٌ ومكفوفة، و(يريدُ الله) فاعلٌ ومفعول.

وأبرز ما يترتب على الإعرابين هو أنّ (ليُذهِبَ) - التي تأتي بعد (إنّما يريدُ الله) -

تُعرِبُ في محلّ نصب خبرٍ لـ(إنّ) في الإعراب الأول<sup>(٥)</sup>.

وتعرِبُ (ليُذهِبَ) مفعولاً به ليريد في الإعراب الثاني<sup>(٦)</sup>، وهذا الإعراب يوجّه

الدلالة إلى تأثير الإرادة الإلهية في ذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام، ممّا يتلاءم مع

(الإرادة التكوينية)<sup>(٧)</sup>.

والإعراب الثاني هو الأصحّ<sup>(٨)</sup> بلا شك؛ لأنّه الأنسب للسياق اللفظي للنصّ

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٥.

(٢) أنظر: الصدر، محمد، منّة المنان في الدفاع عن القرآن: ج ٣، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) أوهنا، إدريس، أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ص ١١٦.

(٤) أنظر: صالح، بهجت عبد الواحد، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: ج ٩، ص ٢٥٤.

(٥) أنظر: المصدر السابق.

(٦) أنظر: ياقوت، محمود سليمان، إعراب القرآن الكريم: ج ٨، ص ٣٧٣٦.

(٧) سيأتي الحديث عنها في مطلب الدلالة الإيجائية للمركّب.

(٨) أنظر: صالح، بهجت عبد الواحد، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: ج ٩، ص ٢٥٤.

الكريم؛ بقرينة وحدة السياق في (يريد) و(يطهركم)؛ إذ إن فاعلها واحد تمّ التصريح به مع فعل الإرادة؛ وجاء مضمراً مع فعل الإذهاب والتطهير، ويؤكد أنه (يريد) فعل متعدي وليس لازماً<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: التحليل الإيجائي للمركب (إنما يريد الله) في آية التطهير

إن الدلالة الإيجائية للمركب (إنما يريد الله) تنبثق من مجموع المركب تارة، ومن مفرداته أخرى، فللمركب (إنما يريد الله) دلالة إيجائية مميزة في القرآن الكريم؛ وذلك لأن هذا المركب القرآني ورد في أربعة مواطن من القرآن الكريم، ثلاثة منها جاء مقترناً بالعذاب، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَنبَأ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، ومرة واحدة في آية التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٥)</sup>؛ لذا تكون آية التطهير هي المورد الوحيد في القرآن الكريم الذي جاء بصيغة المنّ والعطاء الإلهي المقترن بإرادته العظمى، وهذا ممّا أضفى إلى آية التطهير خصوصية وميزة أخرى في مجال البحث الإيجائي لدلالة المركب؛ فالمورد الوحيد في القرآن الكريم الذي اختصت به الإرادة الإلهية في مقام الامتنان وعلى نحو التأكيد والتشديد، هو ما جاء في آية التطهير فحسب دون كل القرآن الكريم.

(١) أنظر: الضامن، حاتم صالح، الصرف: ص ١١٧.

(٢) التوبة: آية ٥٥.

(٣) التوبة: آية ٨٥.

(٤) المائدة: آية ٤٩.

(٥) الأحزاب: آية ٣٣.

أما مفردات المركب ف(إنها) وهبت النصّ الكريم دلالةً مميّزة لما للحصر من دلالةٍ على الاختصاص وهو اختصاص إلهي لاقترانه بالإرادة الإلهية.

وأما (يريدُ اللهُ) فقد وسَّع البحث في معنى هذه الإرادة؛ بسبب نسبة الإرادة إلى الله تعالى، فامتلاّت المصادر الدينية في معنى (إرادةُ اللهُ) وتفرّعت عليها المذاهب والنظريات، وخلاصةً ما تمّ التوصل إليه هي: أنّ الإرادة إذا جاءت مقترنةً بلفظ الجلالة أفادت أحد معنيين<sup>(١)</sup>:

المعنى الأول: الإرادة التكوينية.

المعنى الثاني: الإرادة التشريعية.

وهذا التقسيم للإرادة في كلام العلماء مأخوذٌ مما جاء في الروايات من تقسيم الإرادة الإلهية إلى (إرادة عزم) و(إرادة حتم)، والفرق بينهما كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ لله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيتها مشية الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله عزّ وجلّ»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب رأي أبرز المفسرين<sup>(٣)</sup> إلى أنّ الإرادة الإلهية في آية التطهير (تكوينية)؛ بشرط أن لا يفهم منها سلبُ إرادة أهل البيت عليهم السلام؛ لكي لا يُعتقد أنّهم مجبورون على الطهارة؛ فالإرادة على نحو «المقتضي» لا العلة التامة لتكون موجبة للجبر وسلب الاختيار<sup>(٤)</sup>؛ فأهل البيت عليهم السلام قادرون على ارتكاب الذنب، إلّا أنّهم منزّهون عن

(١) أنظر: السبحاني، جعفر، الإرادة الإلهية التكوينية والتشريعية: ص ٥٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٦٤.

(٣) أنظر: الحسيني، راضي، معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسنة (دراسة تحليلية): ج ١،

ص ٦٧-٧٨.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٣، ص ٢٤٦.

الذنوب؛ لأنهم «يعفون أنفسهم ويجلّونها عن التلوث بها باختيارهم»<sup>(١)</sup>، والذي حصل في تطهيرهم قطع معلولات السوء ونتائجه؛ فهم معصومون « بإرادة الله سبحانه وتعالى»<sup>(٢)</sup> المساوقة لاختيارهم، وتفصيل الحديث عن الإرادة من المطولات في بحوث المفسرين<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الرابع: دلالة السياق لآية التطهير بلسان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

هذه الآية التي وظّفها الإمام زين العابدين عليه السلام في حوارهِ مع الشيخ الشاميّ سياقان (لفظي ومعنوي)، يشتركان معاً في إبراز سبب توظيف هذا النصّ من قبل الإمام عليه السلام في حوارهِ مع ذلك الرجل الشاميّ.

#### السياق اللفظي

أمّا (السياق اللفظي) لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٤)</sup>، فقد جاء ليركّز على مقام أهل البيت عليهم السلام بكلّ أساليب الدلالة ابتداءً بالصوت وانتهاءً بالحمل التركيبية بكلّ ما تضمّنه من دلالات، وأولها افتتاح آية التطهير (بالهمزة)، و«هذا الصامت، بانفجاره القوي، وخروجه من أول المخارج الصوتية يُبيئ جهازك النطقي للقراءة، وذهنك للتفكير، كما ويُبيئ السامع بفجأته الخاطفة ووضوحه السمعي العالي، لسامع السورة وتدبرها»<sup>(٥)</sup>.

#### السياق المعنوي

وأمّا (السياق المعنوي) للآية فيحسن دراسته في ضوء (السياق العاطفي)؛ وذلك

(١) المصدر السابق: ج ١٣، ص ٢٤٧.

(٢) المصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٦٥.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ١٢٧.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) فيها، مهدي عناد، التحليل الصوتي للنص: ص ٨٧.

لغلبة هذا النوع من السياق على صفة النصّ في مقام التوظيف، وقد عرّف السياق العاطفي بأنّه: «السياق الذي يتولّى الكشف عن المعنى الوجداني (emotive meaning)، والذي قد يختلف من شخصٍ إلى آخر»<sup>(١)</sup>، وعرّف بأنّه: «السياق الذي يحدّد درجة القوّة والضعف والانفعال، وما يستتبعها من دلالات التأكيد والمبالغة والاعتدال»<sup>(٢)</sup>.

وفي ضوء هذين التعريفين للسياق العاطفي يمكن الوقوف على جملة من الدلالات المهمّة في السياق العاطفي لحوار الإمام زين العابدين عليه السلام مع الشيخ الشامي، وفي ضمن حدود فهم البحث؛ لأنّ المعنى الوجداني الذي هو للإمام المعصوم عليه السلام لا يُمكن إدراكه إلّا ممّن هو في مستواه أو أعلى منه مرتبة<sup>(٣)</sup>. فالبحث في ذلك بالمقدار المتعارف للاستدلال من ظواهر النصوص الموظّفة في ذلك الحوار، وهذا المقدار ممكن من حيث كلام الإمام زين العابدين عليه السلام، فضلاً عن الشيخ الشامي. أمّا السياق العاطفي المتعلّق بالشيخ الشامي، فيتبيّن من خلال كلماته التي وجهها للإمام السجاد عليه السلام، الدالة على كون الشيخ الشامي من عامة المسلمين المضلّين؛ وذلك أنّه نسّب جريمة القتل لله تعالى، بل هو يحمّد الله على ذلك؛ ظناً منه أنّ هؤلاء السبايا هم ممّن يظلمون العباد ويسببون لهم الأذى والاضطهاد، ثمّ إنّ يعتقد أنّ يزيد بن معاوية هو أمير المؤمنين! فهو يعيش في أجواء مليئة بالضلال، وبما أنّه من المضلّين بادر الإمام إلى تنبيهه وتوعيته وإرشاده من خلال توظيف النصّ القرآني، مستعيناً بأسباب النزول التي تُساهم في بيان مصاديق النصوص القرآنية الحقيقية، ممّا يبيّن أهميّة أسباب النزول في فهم النصّ القرآني؛ لأنّ تلك النصوص الكريمة تذكر الصفات في أغلب الأحيان دون ذكر الموصوف<sup>(٤)</sup>؛ لأنّ الكناية أبلغ من الإفصاح<sup>(٥)</sup>.

(١) حيدر، فريد عوض، علم الدلالة دراسةً نظرية وتطبيقية: ص ١٥٩.  
 (٢) البهنساوي، حسام، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة: ص ٧٠.  
 (٣) أنظر: الصدر، محمد، خطب الجمعة لشهيد صلاة الجمعة: ص ٢٥٩.  
 (٤) أنظر: الصدر، محمد، بين يدي القرآن: ص ٢٤٦ - ٢٤٩.  
 (٥) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز: ص ٧٠.

ولعلّ من أغراض ذلك تعميق الاختبار، وإعمال الفكر؛ لذا فإنّ القرآن الكريم يحثّ على التدبر، كما ومن أغراض ذلك ضرورة الرجوع لأهل الذكر، ثمّ إنّ التصريح قد يكون سبباً للتشكيك بالكتاب من قبل المرجفين، كما أنّ التصريح بالأسماء يكون مثاراً للجدل من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام، ولعلّ عدم التصريح يهدف إلى التركيز على الصفات التي يتصف بها أهل البيت عليهم السلام أكثر من الأسماء؛ فإنّ الله تعالى إنّما اختارهم لتلك الصفات التي اتصفوا بها، ولعلّ عدم ذكرهم بصريح الاسم لأجل أن يعثر الناس على مصاديق تلك الآيات بأنفسهم؛ لتكون الحجة عليهم أكبر، وفي الوقت نفسه يكونوا قد وصلوا إلى القناعة التامة بذلك، هذا وأنّ ذكر الأسماء يجعل النصّ مقيداً، فلا يستفاد من عموم لفظه<sup>(١)</sup>.

هذه الأسباب وغيرها تشترك بمجموعها لتكون سبباً في عدم ذكر أسماء أهل البيت عليهم السلام بصراحة، ولا يقصد البحث في خصوص آية التطهير؛ بل ثمة مئات الآيات مما نزل في أهل البيت عليهم السلام، بإجماع أهل القبلة<sup>(٢)</sup> وهي تنصّ على صفاتهم دون ذكر أسمائهم؛ ولذا فقد كان ذلك الشيخ الشامي جاهلاً بمصاديق تلك الآيات لعدم معرفته بأسباب نزول الآيات التي وظّفها الإمام زين العابدين عليه السلام، بدليل أنّ الإمام قد سأله عن سبب نزولها، فلم يعرف ذلك الشيخ، وهذا ينفع في مقام المناظرة والحوار؛ في أنّ الخطوة الأولى التي ينبغي الانتهاء منها في كلّ آية تحديد سبب نزولها بشكلٍ صريحٍ وقطعي، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام مع ذلك الشيخ، بعد أن قدّم سؤاله بشكلٍ منطقي؛ حيث سأل الشيخ: «يا شيخ، هل قرأت القرآن؟»<sup>(٣)</sup>. وهذه الخطوة مهمّة، فالإمام لم يقل: هل قرأت هذه الآية؟ وإنّما قال: هل قرأت القرآن؟ فقد يكون هذا الشيخ لم يصل إلى كتاب الله قطّ، كما أنّ الإمام كلّمه ضمن السياق المتعارف في الحوار، وبشكلٍ تدريجي، وهو لا يعني أنّ الإمام لا يعلم كونه

(١) أنظر: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية: ص ٢٣٢.

(٢) أنظر: الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل لمن خصّ بالترتيب: ج ١، ص ١٠.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٧.

قد قرأ القرآن أم لم يقرأ؛ وإنما التدرج في الحوار الطبيعي يحتاج إلى هذا النوع من تبادل أطراف الحديث؛ لأنَّ النفس البشرية تميل إلى هذا النوع من التبادل في طرف الحديث، وفي مقام طرح السؤال بخاصة؛ لأنَّه يُحدث الإثارة لدى المسؤول؛ ومن هنا فقد سأل الإمام عليه السلام ذلك الشيخ سؤالاً يكاد أن تكون إجابته بديهية، ثم دخل معه في صلب الموضوع وسأله عليه السلام قائلاً: «فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١)</sup>، قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك»<sup>(٢)</sup>، وهذا النوع من التساؤل أحدث عند الشيخ حالة من الدهول؛ بدليل أنه كان مسترسلاً في الإجابة، ولا سيما أنه يتكلّم مع حجة الله في أرضه بخاصة، حتّى وإن كان غافلاً عن ذلك، إلا أنَّ حُسن ردِّ الإمام، حيث لم يُقابل ذلك الشيخ بالأسلوب نفسه، بل قابله بأسلوبٍ في غاية الخلق والسماحة مما أدهش ذلك الشيخ، وقد حصلت الصدمة حين قال الإمام عليه السلام: «فنحن القربى يا شيخ»<sup>(٣)</sup>. هنا كيف يمكن تصور حال الشيخ الشامي وهو يتلقى هذا الكلام الذي لم يسمعه على مدى حياته؟

من هنا، يأتي دور السياق العاطفي في جانبه التأكيد الذي نصّ عليه تعريف السياق العاطفي، وهو (دلالات التأكد)؛ إذ إنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد أردف السؤال الأوّل بسؤالٍ آخر من الأسلوب نفسه، ولكنّه تضمّن الحديث عن آية التطهير، فقد قال الإمام: «فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>. قال الشيخ: قد قرأت ذلك»<sup>(٥)</sup>، وقول الشيخ: نعم، من دون الردّ على قول الإمام في نصّ آية المودّة، يدلُّ على حالة الدهول التي اعترته، فكان يرسل الكلام على ما يرومه الإمام عليه السلام، وكان ذلك الشيخ أذناً صاغية لما يقوله

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٧.

(٣) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٦٩.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٧.

الإمام؛ فاستعمل الإمام «آلية التدرُّج في السِّلْم الحجاجي»<sup>(١)</sup>، وهنا حصلت المفاجئة الثانية، حينما أجاب الإمام عن أن آية التطهير خاصة بهم؛ وذلك بقوله ﷺ: «فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بآية الطهارة»<sup>(٢)</sup>؛ عندها ذهل الشيخ بما يلقيه عليه من معاني القرآن الكريم التي غيّرت موقفه بسبب معرفة مصاديقها.

ومن ذلك يتضح أن السياق العاطفي يبيِّن أن الشيخ الشامي لم يكن معانداً، بل كان مُضَلَّلاً بسبب الإعلام الأموي الذي نُشر بين المجتمع الشامي بأن هؤلاء من الخوارج على الإسلام، في حين أن الإمام قد أخبر بحقيقة عظيمة ومهمّة وهي أنهم القربى الذين أمر الله تعالى بمودّتهم، وأنهم أهل البيت الذين طهرهم الله تطهيراً؛ لذا فقد كان الشيخ الشامي نقيّاً في نيّته ولا يريد السوء بالقربى وبأهل البيت ﷺ، بدليل أنه سارع إلى التوبة بمجرد أن سمع كلام الإمام وعرف مصاديق هذه الآيات الكريمة، بل جاء في الخبر: «فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم، إنّ نبرأ إليك من عدوّ آل محمد ﷺ من جنّ وإنس»<sup>(٣)</sup>، وبهذا القول أعلن الشيخ الشامي براءته من يزيد بن معاوية وأمثاله من الأولين والآخرين، وقال للإمام: «هل لي توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا. فقال: أنا تائب»<sup>(٤)</sup>.

وهذه التوبة هزّت أركان الحكومة بدليل ما نقله التاريخ من قتل ذلك الشيخ، فقد جاء فيه: «بلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل»<sup>(٥)</sup>، وسبب قتله هو محاولة إبقاء المجتمع الشامي على الضلال الذي اعتادوا عليه في زمن معاوية، وتبعه على ذلك ابنه يزيد، فضلاً عن كون الإعلام كان محكماً عليه من قبل السلطات الحاكمة، ثم إنّ وصول الأخبار بشكل متأخر يسبب بروداً بالموقف، وعلى سبيل

(١) أو هنا، إدريس، أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ص ١٢٩.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين ﷺ: ج ٢، ص ٦٩.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

المثال: لو مات حاكمٌ فإنَّ نبأ ذلك يصل بعد مدَّة من الزمن لحين وصول المراسيل، في حين أنه يكون قد نُصِّب حاكم غيره؛ ومن هنا فقد كان دخول آل الرسول إلى الشام أعظم حدثٍ إعلامي رآته الشام في تاريخ الإسلام؛ لما أحدثه من ضجَّةٍ قلبت الأمور على رأس السلطة الأموية، بشكلٍ لم يُشهد له نظير في التاريخ، فقد كانت كلَّ خطوةٍ يخطوها الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام تؤتي ثمارها في كلِّ حين.

## نتائج البحث

من أهمَّ النتائج التي توصل إليها البحث:

أولاً: إنَّ آية التطهير تميِّز عن كلِّ آيات القرآن الكريم من حيث أهمية مضامينها تركيباً ودلالةً، وأنَّ التفسير التحليلي لمفردات آية التطهير يعالج مشكلاتٍ كثيرة على المستوى الفكري وغيره.

ثانياً: إنَّ لكلِّ جزءٍ تحليلي في آية التطهير علاقة بدلالة النصِّ في مقام نزول الآية وتوظيفها ممَّا لم يتطرَّق له المفسرون، وقد كشف البحث عنه بواسطة التفسير التحليلي.

ثالثاً: إنَّ عنوان أهل البيت مختصُّ بالخمسة من أصحاب الكساء بحسب سياق نزول الآية، إلا أنَّ توظيف النصِّ من قبل الإمام زين العابدين عليه السلام، أعطى سعةً لدلالة الآية؛ لتشمل غيرهم عليهم السلام، فيكون بقية المعصومين عليهم السلام مشمولين أيضاً.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ - أسلوب الحوار في القرآن الكريم، إدريس أوها، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- ٢ - اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

- ٣- الأصوات اللغوية في كتاب المستوفي في النحو للفرغاني، خميس عبد الله التميمي (ت ٥٤٩هـ)، منتدى المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٤- أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨هـ)، مؤسّسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٥- أطلس الحسين - أو جواب الأين في منازل مسير الحسين عليه السلام، عباس الربيعي، هيئة تراث الشهيد الصدر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
- ٦- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)، د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- ٧- إعراب القرآن الكريم، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة - مصر.
- ٨- الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ٩- الألسنية (رواد وأعلام)، د. هيام كريدة، الجامعة اللبنانية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ١٠- الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ١٢- أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، محمد بن محمد بن نعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئيني، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة: مهر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ١٣- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٤ - البناء الصوتي في السور المكية، د. إبراهيم الراضي، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

١٥ - بين يدي القرآن، محمد الصدر (ت ١٤١٩هـ)، دار ومكتبة البصائر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٦ - تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة (سورة التوبة أنموذجاً)، فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

١٧ - التحليل الصوتي للغة العربية عند المستشرقين (مايكل بريم أنموذجاً)، د. موسى صالح الزعبي، عالم الكتب الحديثة، إربد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١٨ - التحليل الصوتي للنص، مهدي عناد قبا، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

١٩ - تخرّيج الشواهد ووضع الفهارس، أحمد بن محمد الحملاوي (ت ١٣١٥هـ)، تقديم: د. محمد ابن عبد المعطر، وأبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

٢٠ - التداولية (PRAGMATICS)، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتاي. الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٢١ - التعريفات، الشريف عليّ بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٢ - تعليقات على كتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، محمد الصدر (ت ١٤١٩هـ)، تحقيق: مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، الناشر: المحيين، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.

٢٣ - تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٤ - تفسير القرآن بالقرآن (دراسة دلالية)، أحمد رسن، دار السياب، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٢٥ - تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: السيّد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٦ - التوحيد، محمد بن عليّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، صححه وعلّق عليه: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة.

٢٧ - جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، د. أسامة جاب الله، دار ومكتبة الإسرائ للطبع والنشر والتوزيع، طنطا - مصر، ٢٠٠٨م.

٢٨ - جواهر البلاغة، السيّد أحمد الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، مؤسّسة الصادق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.

٢٩ - الحوار في القرآن (حوارات الإمام الصادق أنموذجاً)، شعبة البحوث والدراسات، الناشر: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدّسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٣٠ - الخصال، محمد بن عليّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة التاسعة، ١٤٣٤هـ.

٣١ - الخصاص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي نجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

٣٢ - خطب الجمعة لشهيد صلاة الجمعة، محمد الصدر (ت ١٤١٩هـ)، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٣٣ - الدر المنثور في التأويل بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣٤ - دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليم اللغات، أحمد حساني، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية - بت عكنون الجزائر - الجزائر، الطبعة الثانية،

٢٠٠٩م.

- ٣٥ - دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار، د. جلال الدين العيداني، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.
- ٣٦ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ هـ.
- ٣٧ - السياق اللغوي ودراسة الزمن في اللغة العربية، د. محمد رجب الوزير، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
- ٣٨ - شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الأسترآبادي (ت ٦٨٨ هـ)، التحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م.
- ٣٩ - شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، التحقيق: محمد جعفر الكرباسي، دار الاعتصام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- ٤٠ - شواهد التنزيل لمن خصَّ بالترفضيل، عبيد الله بن عبد الله الحسكاني، الحنفية (ت ٤٩٠ هـ)، التحقيق: محمد باقر المحمدي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ.
- ٤١ - صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة الشافعي (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ.
- ٤٢ - الصرف، حاتم صالح الضامن، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، كلية الدراسات الإسلامية، دبي.
- ٤٣ - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، د. عبد الجليل منقور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠١٠ م.
- ٤٤ - علم الدلالة دراسةً نظريةً وتطبيقيةً، د. فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- ٤٥ - علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، حسام بهنساوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

٤٦ - في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.

٤٧ - قاموس الأصوات اللغوية، رحاب كمال الحلو، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

٤٨ - القرآن كتاب الهداية، روح الله الخميني، جمع وتحقيق: أحمد صولي الحسيني، دار الولا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ.

٤٩ - القصص القرآني (دراسة ومعطيات وأهداف)، جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٥٠ - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، د. أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، زنفة المانوية - الرباط.

٥١ - اللسانيات وتعليم اللغة، د. محمود أحمد السيّد، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة - تونس.

٥٢ - اللهوف في قتلى الطفوف، عليّ بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، الناشر: منشورات السجدة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٥٣ - المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ هـ)، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، الطبعة الرابعة، ١٤٣٤ هـ.

٥٤ - مسند ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٥٥ - مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٥٦ - معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة،

١٤١٧ هـ.

٥٧ - معاني الأخبار، محمد بن عليّ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٥٨ - معجم ألفاظ القرآن الكريم، حسّان عبد المنان، مؤسّسة انتشارات دار العلم، قم.

٥٩ - المعجم المفهرس للأوزان الصرفية في القرآن الكريم، د. أشواق النجار، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٦٠ - معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل ابن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦١ - معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسنة (دراسة تحليلية)، راضي الحسيني، دار التعارف للمطبوعات، حارة حريك - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٦٢ - مقتل الحسين عليه السلام، الموقّق محمد بن أحمد الخوارزمي المكيّ (ت ٥٦٨هـ)، انتشارات أنوار الهدى، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.

٦٣ - منّة المنان في الدفاع عن القرآن، محمد الصدر (ت ١٤١٩هـ)، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر عليه السلام، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٦٤ - المنجد في اللغة، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، الطبعة السادسة والعشرون، ١٣٦٢هـ.

٦٥ - منهج الأصول، محمد الصدر (ت ١٤١٩هـ)، دار ومكتبة البصائر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٦٦ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات والمنشورات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٦٧ - نحو الصوت ونحو المعنى، نعيم علوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

## المجالات:

٦٨ - مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ٣٠، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م.

# دراسات حسينية

◆ النهضة الحسينية والبعثة النبوية.. القسم الثاني.. دراسة مقارنة في

مراحل تحقيق الأهداف



# النهضة الحسينية والبعثة النبوية

## القسم الثاني: دراسة مقارنة مراحل تحقيق الأهداف

العلامة السيّد سامي البدري\*

### مقدمة

لا زلنا في الدراسة المقارنة التي عقدناها في حقل تاريخي مهم وحقبة زمنية مؤثرة في حياة البشرية - وهي النهضة الحسينية وامتدادها إلى البعثة النبوية - لتتعرّف من خلالها على حقائق وقضايا جديدة في شأن النهضة الحسينية التي لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال المقارنة، والتي جرت مع البعثة النبوية الشريفة. وقد تقدم مبحثان في القسم الأول من الدراسة، ويأتي هذا القسم إكمالاً لهما، ليُسلط الضوء على مبحثين آخرين:

### المبحث الأول: مراحل تحقيق الهدف

بطبيعة الحال، فإنّ كلّ هدف في الواقع الاجتماعي يحتاج إلى مراحل حتّى يتمّ تحقيقه.

والسؤال هو: ما هي الخطوات والمراحل التي انتهجها الإمام الحسين عليه السلام في ذلك المجتمع من أجل تحقيق هدفه؟

الجواب: هناك ست مراحل، هي عينها المراحل التي انتهجها النبي صلى الله عليه وآله في تحقيق هدف بعثته، والعجيب أنّه إذا ثبت هذا الأمر، فلا يمكن أن يُفسّر بغير وجود عهدٍ عند الحسين عليه السلام، يقتدي ويقتفي أثر جدّه النبي صلى الله عليه وآله في تلك المراحل، وأتمها هي التي

---

\* باحث إسلامي مُتخصص في مجال التاريخ، من العراق.

تنسجم مع الواقع؛ ولذلك فإنّ هذه الدراسة - في القسم الثاني - من جهة هذا التطابق، تدخل ضمن المنهج التاريخي لإثبات إمامة الحسين عليه السلام، والأئمة من ذريته عليهم السلام.

### المرحلة الأولى: العزلة

إنّ أوّل مرحلة بارزة من مراحل البعثة النبويّة، هي مرحلة العزلة في غار حراء، باعتبار أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا اعتزل في غار حراء كان نبياً بالفعل<sup>(١)</sup>، فالنبوة الفعلية تحققت له صلى الله عليه وآله لمّا بلغ عمره الشريف (٢٨) سنة، وهي سنة ولادة علي عليه السلام - في رواية - لذلك كان النبي صلى الله عليه وآله يُسمّى سنة ولادة علي عليه السلام سنة الخير والبركة؛ لما «شاهد من الكرامات، والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً»<sup>(٢)</sup>. يقول صلى الله عليه وآله في الرواية: «إنّ الملائكة صلّت عليّ، وعلى عليّ سبع سنين، قبل أن يُسلم بشر»<sup>(٣)</sup>. فعند حسابنا من عمر النبي صلى الله عليه وآله وهو في سن الثامنة والعشرين - ولادة علي عليه السلام - إلى سن الخامسة والثلاثين، وقد تزوّج من السيّدة خديجة عليها السلام<sup>(٤)</sup>، يصبح عمر الإمام علي عليه السلام سبع سنين؛ إذ بدأ يأخذه معه إلى غار حراء، وهو نبيّ يوحى إليه.

إذاً، هذه المرحلة (مرحلة العزلة)، جزء منها كان النبي صلى الله عليه وآله يتعبّد خاصّة من دون علي عليه السلام، ولكن لمّا بلغ علي عليه السلام ذلك العمر بدأ يسطّحه؛ لأنّ كليهما سيّدان بحركة تبليغيّة، تُناط فيها الوزارة لعلي عليه السلام. وكأنّ هذه المرحلة تعني الإعداد الخاصّ لمحمّد صلى الله عليه وآله نبياً ولعليّ وزيراً.

(١) ليس كما هو المشهور من أنّه صلى الله عليه وآله بُعث في سن الأربعين، بل هو نبيّ منذ أن ولد، بل هو مُعيّن نبياً قبل خلق آدم عليه السلام.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ١١٥.

(٣) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦، ص ٣٦.

(٤) توجد هناك روايات عديدة في سن زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيّدة خديجة، والمشهور: أنّ زواجه كان في سن الخامسة والعشرين، ولكن نحن لا نقول بهذا الرأي، كما هو رأي السيّد جعفر مرتضى العاملي كذلك، فهناك رواية تقول: إنّهُ تزوّج وعمره (٣٥) سنة، أو (٣٣) سنة. فيكون عمر علي عليه السلام حينما انتقل إلى بيت خديجة في أوّل سنة هو ست سنوات تقريباً.

## الإمام الحسين عليه السلام ومرحلة العزلة

قد مرَّ الإمام الحسين عليه السلام بمرحلة العزلة تماماً، كما مرَّ جدّه رسول الله ﷺ بتلك المرحلة، فالإمام الحسين عليه السلام استلم الإمامة لَمَّا تُوفِّي أخوه الإمام الحسن عليه السلام<sup>(١)</sup>، ولكن بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام حصل انقلاب؛ إذ بدأ الإعلام يتحرّك نحو تشويه خط الإمامة فقام الأمويون بلعن علي عليه السلام على المنابر، وآخر مكان أعلن فيه لعن علي عليه السلام هو المدينة المنورة، وذلك بعد وفاة سعد بن أبي وقاص.

فالأمّة قد عاشت تلك الحقبة التي يُلعن فيها علي عليه السلام على المنابر، إلا الكوفة التي كانت تعيش حالة ثورة في مواجهة ذلك اللعن، فلم يسكت أهلها؛ لذلك مورست في حقهم أشنع الجرائم، فقطّعت الأيدي والأرجل، وهجّر الناس، وبقِيَ العراق منشغلاً - من بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام من سنة (٥١هـ) إلى (٥٣هـ) - تمرّ عليه الفتن والمحن بما لم يكن في أيّ بلدٍ آخر؛ لكثرة مَنْ كان فيه من شيعة الإمام علي عليه السلام. فالإمام الحسين عليه السلام اختار العزلة سنة (٥١هـ)؛ إذ لزم بيته وانصرف إلى العبادة، مُكتفياً بنهضة حجر بن عدي (رضوان الله عليه) - التي قادها على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبعد قتل حجر (رضوان الله عليه) أمر أصحابه أن يكونوا أحلاس بيوتهم، وينشغلوا بالعبادة ريثما يموت معاوية، واستمر هذا الوضع إلى سنة (٥٩هـ)، أي: قبل موت معاوية بستتين تقريباً.

نعم، كانت سنوات عجاف، سنوات حصل فيها انقلاب على الأعقاب، لم تشهد الأمّة نظيراً له منذ البعثة، وقد أُقيم هذا الانقلاب على أطروحة الانقلاب القرشي

(١) الإمامة هنا ميزانها أن ينتقل روح القدس الذي كان عند النبي ﷺ بالوفاة إلى الإمام علي عليه السلام، ثمّ منه عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام، وهكذا إمام بعد إمام. فإنّ روح القدس إذا حلّ بإنسان صيرّه عالماً تنكشف أمامه الأشياء، ومن أمثلته: عندما تُوفِّي الإمام الكاظم عليه السلام سئل الإمام الرضا عليه السلام: كيف عرفت وفاة أبيك؟ قال عليه السلام: «لأنّه تداخلى ذلّة الله لم أكن أعرفها». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٨١. وأنظر: الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٤٦٥، و ص ٤٧١.

الأول على سنة النبي ﷺ، فأعيد ولكن مع سنةٍ مُحَرَّفَةٍ، ففي الانقلاب القرشي الأول كان الناس يفهمون أنّ متعة الحِجِّ حرّمها عمر، ويعرفون جيداً أنّها سيرة الشيخين، وفهم أهل البلاد المفتوحة - شرقاً وغرباً - أنّ من حقّ الخليفة أن يُجَلَّلَ ويُجَرَّم، وخاصّة أنّ أهل هذه البلاد تعودوا في سيرتهم مع ملوكهم وحكامهم أن يؤسّسوا لهم ديناً.

بينما في عهد الانقلاب الأموي فإنّ الأمر ليس كذلك، فمعاوية لم يرتقِ بعدُ إلى أن يُشَرِّع، وإنّما مشى في ظلّ الأطروحة القرشيّة الأولى.

إذاً، لا بدّ أن توضع أحاديث للتدوين بهذه السنّة<sup>(١)</sup>؛ لأنّ معاوية كان يرغب أن يستعيد موقع الخلافة بالتحريف كاملاً، وأورث هذا الطموح إلى ولده يزيد الذي هدم الإسلام كاملاً.

نعم، إنّ الجديد على الأطروحة الأولى هو لعن عليّ ؑ والبراءة منه، بمعنى أنّ الخلافة القرشيّة الأولى لم تمس سيرة عليّ ؑ، وإنّما حاصرته وأبعدته، أمّا الأطروحة الأمويّة في الانقلاب، فهي تصوّر عليّاً ؑ مُفسداً في الدين؛ من أجل أن تُؤسّس أمراً، وهو أنّ سيرة الشيخين هي الدين الصحيح، وهذا أخطر شيء، حتّى لو حِقَّ شيعة عليّ ؑ بجرم الانتماء، ومن يرفض لعن عليّ ؑ والبراءة منه، يلاقي أشدّ العقوبات<sup>(٢)</sup>.

إنّ انصراف الإمام الحسين ؑ إلى العبادة؛ كان من أجل أن تبرز أطروحة بني أميّة، وتأخذ صورتها الواضحة، ولم يكن عنده خيار آخر؛ إذ إنّ القيام في وجه الانقلاب الأموي من اليوم الأول مشوّبٌ بالريبة عند كثير من الناس، فإنّ هناك من

(١) هذه فرضية، ولعلّها هي الأصوب. وفرضية أخرى تقول: إنّ هذه الأحاديث التي وضعت لتصحيح سيرة الشيخين، إنّها وضعت في العهد العباسي.

(٢) طبعاً هناك ثلاثة انقلابات فكريّة في الإسلام بثوب سياسي، الانقلاب الأول: انقلاب قريش المسلمة، التي وقفت في وجه علي بن أبي طالب ؑ. الانقلاب الثاني: الانقلاب القرشي الأموي، الذي كان من أبرز معالمه لعن عليّ ؑ، فضلاً عن المعلم القرشي الأول. والانقلاب القرشي الثالث: هو على يد بني العباس، حينما تنبّوا المذاهب الأربعة، وتطويق مدرسة أهل البيت ؑ.

يقول: إنَّ الحسين عليه السلام قد أعطى تعهداً، فما عدا ممّا بدأ؟ وكيف ثبت له عليه السلام أن معاوية خالف العهود؟! هذا أولاً، وثانياً سيُفهم قيام الحسين عليه السلام عند الكثير من الناس - ممن لا يفهم الحقيقة، ويتأثر بالعمل الإعلامي - بأنّه خروجٌ على العهد؛ ولذا ترك عليه السلام الأمر.

علاوةً على ذلك، محاولته إبراز أن مدرسة علي عليه السلام كانت ناجحة في تربية أشخاص، ومجتمع، وعلماء، على دين النبي صلى الله عليه وآله، ومن أبرز معالم ذلك الدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخفى أن من أبرز المنكرات لعن علي بن أبي طالب عليه السلام، التي تحتم مسؤولية الوقوف أمام الفاعلين لهذا المنكر؛ ومن هذا المنطلق كانت نهضة حजर بن عدي (رضوان الله عليه) مؤيِّدة من قبل الإمام عليه السلام.

### المرحلة الثانية: الحركة التبليغيّة السريّة

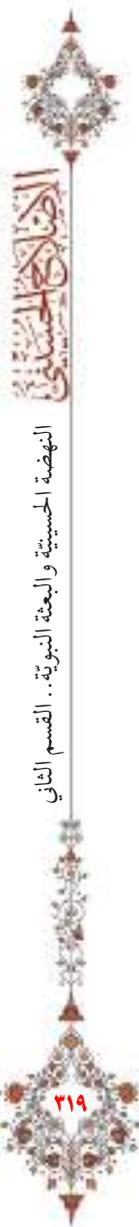
المرحلة الثانية للنبي صلى الله عليه وآله، هي الحركة التبليغيّة السريّة في عشيرته<sup>(١)</sup>، وذلك على مدى ثلاث سنوات، وانتهت هذه الحركة السريّة بأن أعلن النبي صلى الله عليه وآله في بني هاشم وزارة علي عليه السلام وخلافته.

كما أن الإمام الحسين عليه السلام أيضاً كان عنده عملٌ سري قبل أن يُعلن نفسه للخارج ويتصدّى لمواجهة السلطة الظالمة المتمثلة ببني أمية، فقد أخبر سليم<sup>(٢)</sup> في كتابه المعروف بـ(كتاب سليم): أن الإمام عليه السلام عقد مؤتمراً سرياً بأصحابه قبل موت معاوية بسنة أو سنتين<sup>(٣)</sup>.

(١) ليس كما هو المشهور من أنه عليه السلام قد أعلن حركته بعد العزلة مباشرة في مجتمع مكة. هذه الفكرة غير صحيحة، ومن صنع مصادر مدرسة القوم.

(٢) هذا الخبر خاص عند الشيعة، لا تنقله إلا المصادر الشيعيّة؛ لذلك اختصّ بنقله سليم.

(٣) قد ورد (سنة) في كتاب سليم، ورأيت في نسخة الاحتجاج يروي قبل موت معاوية بـ(سنتين)، ونحن نرجح ما في هذه النسخة؛ لكثرة التصحيّفات والتحريفات العفويّة، وأحياناً العمديّة في كتاب سليم، فيحتاج إلى تمحيص وتدقيق، بينما كتاب الاحتجاج عند ذكره سنتين، فهو عمل معقول جداً؛ وعليه رجّحنا رواية السنتين.



ولكن أين يعقد الحسين عليه السلام مثل هذا المؤتمر، ويبقى محافظاً على سرّيته؟ فإنّ أفضل مكان لذلك، هو مضارب بني هاشم<sup>(١)</sup>، في الجمرة الوسطى، وفي موسم الحج، هذا المكان كان مهيئاً لهذا العمل، وقد دعا فيه مجموعة أصحاب أبيه، وأصحاب أخيه، وبعض التابعين، حتّى بلغ العدد سبعمائة، موضّحاً لهم موقفه من الأعمال التي قامت بها الحكومة الأمويّة، من قبيل: انتشار الكذب لعشر سنوات على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، وتطويق أحاديث الإمامة، حتّى عرضوا أنفسهم أئمة هداة، وعرضوا علياً عليه السلام إمام ضلالة، ومفسداً في الدين يجب لعنه. فما ترك حديثاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله يؤسّس للإمامة الإلهيّة إلّا وتلاه وطلب تدوينه، واستشهد بالصحابة الذين سمعوا الرواية؛ وذلك من أجل أن لا يروي التابعون الموجودون هذا الحديث عن الحسين عليه السلام فقط، وهي فكرة الإمام عليّ عليه السلام نفسها في أيام الغدير، فقد كان يصعد المنبر ويتلو الحديث، ثمّ يُنشد الله أيّهم سمع من النبي صلى الله عليه وآله هذا الحديث؛ من أجل أن يرويّه الناس عن المجموع، فيؤسّس حالة التواتر في الأحاديث.

إذاً، عرض الحسين عليه السلام رؤيته في هذا المؤتمر، والإمام قد استلم ما يخصّ عمله الرسالي من النبي صلى الله عليه وآله، فسكوتهم ونهضتهم إنّما هي بعهد معهود من الله، بلّغهم به النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ هذه العهود تأتي متطابقة مع واقع الحال، وهذا هو الذي يميّز علم النبوة عن بقیة العلوم الأخرى، فالإمام لا يتحرّك استناداً إلى اجتهاد يُجتمَل فيه الخطأ والصواب، وإنّما يتحرّك - في الواقع - على أساس عهود مسبقة، هي عبارة عن قراءة للواقع قراءة شاملة دقيقة وصحيحة؛ لأنّها تستند إلى الخالق تعالى<sup>(٢)</sup>.

### المرحلة الثالثة: الإعلان عن المرجعيّة الدينيّة

بعد انتهاء المؤتمر السريّ رجع الإمام الحسين عليه السلام إلى المدينة فاتح الأبواب؛ مُعلنًا

(١) مضارب بني هاشم معناها: إنّه لا يستطيع غريب أن يدخل إلّا بإجازة منهم.

(٢) طبعاً هذا لا يدخلنا إلى بحث الجبر والتفويض؛ لأنّه ليس هذا موضع الحديث، وإنّما في علم الكلام، ذلك أنّ الله تعالى يعلم ما سيقع وما سيختاره الإنسان؛ ولذا فإنّ الإرادة محفوظة فيه.

التصدي للمرجعية الدينية. فصحيح أنه - أساساً - إمامٌ ديني فضلاً عن الإمامة السياسية، لكنّه فعلاً قد أعلن عن ممارسته لدوره كإمامٍ ديني بشكل صريح. أمّا الإمامة السياسية، فقد غدر معاوية ولم يُسلمها الإمام الحسين عليه السلام، وإنما نصّب ولده خليفةً للمسلمين.

إذاً، أصبح الإمام يُمارس عمله الديني، والناس يُجدّدون العهد بزيارته ويستفتونه بمرأى ومسمع من السلطة، فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية: «إني لست آمن أن يكون حسين مُرصدًا للفتنة، وأظنّ يومكم من حسين طويلاً»<sup>(١)</sup>. فكتب له معاوية يدعوه إلى مراقبة الحسين عليه السلام ليلاً ونهاراً، ثمّ كتب رسالة إلى الحسين عليه السلام يهدّده فيها: «وقد أنبتُ أنّ قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جرّبت، قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتقِ الله وأذكر الميثاق، فإنّك متى تكديني أكذك»<sup>(٢)</sup>.

فكتب له الإمام الحسين عليه السلام جواباً عظيماً، وضع فيه النقاط على الحروف: «أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردتُ لك محاربة، ولا عليك خلافاً، وما أظنّ لي عند الله عذراً في ترك جهادك، ولا أعلم فتنةً أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة»<sup>(٣)</sup>، ثمّ قال عليه السلام: «وقلت فيما قلت: متى تكديني أكذك، فكديني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقدياً يُكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضرّ إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكديني ما بدا لك، واتقِ الله يا معاوية، واعلم أنّ الله كتاباً لا يُعادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيهاً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعيّة»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٠٦.

(٤) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٧.

وبالطبع، فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام لا يجد قُرْبَةً إلى الله أفضل من أن يجاهد معاوية، ولكن ليس فاعلاً ذلك؛ لأنَّ الظرف غير مُؤاتٍ ما دام هناك شيء اسمه عهدٌ - ولو شبهةً - حتَّى لا يُوصف الإمام الحسين عليه السلام بأنَّه خالف العهد، فإذا مات معاوية فبإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يتحرَّر من أيِّ شبهة عهد، ولن يستطيع أحدٌ أن يقول: إنَّ الحسين نقض العهد. إذًا؛ فالإمام الحسين عليه السلام أراد أن تكون حركته في قبال الطغمة الأمويَّة واضحةً وضوح الشمس في رابعة النهار، من دون أيِّ نوعٍ من أنواع التلبيس، أو الشبهة، أو الشك.

إنَّ معاوية يعلم أنَّه يتعامل مع أناس أصحاب كلمة؛ إذ قال: «إن أثرنا بأبي عبد الله الإله الأَسَدُ»<sup>(١)</sup>. فهو يعرف جيداً أنَّ الإمام الحسين عليه السلام سيتحرَّك بعده؛ فلذا لا بدَّ أن يعدَّ العُدَّة، وهذا خلاف الرسالة التي عُرفت عن معاوية، من أنَّه أوصى ولده يزيد إذا ظفرت بالحسين فارق به، فإنَّ شيعته في العراق سيَجبرونه على الخروج. فوضع القضية على شيعة العراق، بل الصحيح أنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو الذي أسَّس للنهضة. إذًا، الإمام الحسين عليه السلام مارس المرجعيَّة الدينيَّة علناً، وتوافد عليه المسلمون، ولكن السلطة شدَّدت الخناق عليهم، فالوليد بن عتبة منع العراقيين من أن يزوروا الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك قال عليه السلام مخاطباً إياه: «عَلَامٌ تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمٍ عَرَفُوا مِنْ حَقِّي مَا جَهَلْتَهُ أَنْتَ وَعَمَّكَ؟!»<sup>(٢)</sup>.

### المجتمع الكوفي في مواجهة الانحراف الأموي

المجتمع الكوفي: هو المجتمع الذي وقف بوجه تلك الانحرافات الأمويَّة، فهو المجتمع الذي انتمى إلى الإمام علي عليه السلام، واعتمده الإمام الحسن عليه السلام في نشر فكر أبيه عليه السلام، وإمامته في المجتمعات الأخرى، فتعالوا تُراهن على هذا المجتمع، لندرس ردَّ فعله إزاء مُنكرات السلطة الأمويَّة، ثلاث سنوات (٥٠ - ٥٣هـ) لم يذق مجتمع

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٦.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٧.

آنذاك، ولا أهل بلد من بين كل بلدان الخلافة، كما ذاق أهل الكوفة من الهوان والظلم وسفك الدماء، والتشريد والتقتيل، ونصب المشانق وغير ذلك؛ والسرُّ هو ارتباطهم بعلي عليه السلام ورفضهم لعنه. فإن الذين يتكلمون على أهل الكوفة سلباً بما تكلم به الإعلام العباسي، فجوابهم هذا: أن تعالوا أنظروا وأدرسوا ما الذي حلَّ بأهل الكوفة من جنایات لا تُعْتَفَر، ناهيك عن تلك المشانق والسجون.

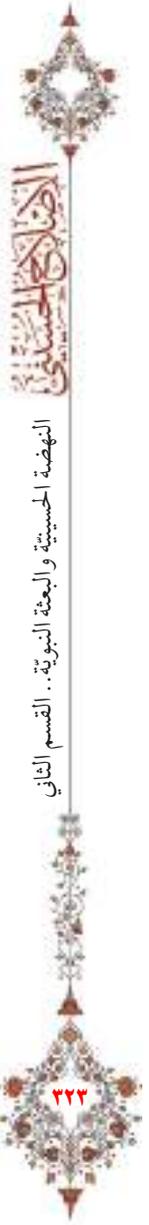
وأما ما ورد من كلام للإمام الحسين عليه السلام يقول فيه: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قلَّ الديانون»<sup>(١)</sup>، لم يكن المقصود فيه هم أهل الكوفة، فقد رفض أهل الكوفة لعن الإمام علي عليه السلام، وتعرَّضوا للبلاء، أليس هذا دليلاً على أن أهل الكوفة ليس هم المقصودون بكلام الإمام الحسين عليه السلام؟ وإنما يصدق ذلك على آخرين كأهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الشام، وغيرها من الأمصار الإسلامية ممن تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرها عليه السلام؛ فينبغي أن لا نقع فريسة الإعلام الأموي الذي استهدف تجريد الكوفة من أبرز معالمها الثابتة تاريخياً.

وكما قلنا سابقاً: إن معاوية كان قد أسكن محلَّ من هجرهم من الكوفة - من شيعة الإمام علي عليه السلام - نظراءهم من القبائل، وهذه خطة رهيبة وخطيرة للغاية؛ ولذلك لا عجب أن تعود الكوفة مرة ثانية تحمل مشروع علي عليه السلام، فها هم أصحاب الحسين عليه السلام الذين قُتلوا في كربلاء، كان معظمهم من الكوفة، وهم الذين اعتمد عليهم الإمام الحسين عليه السلام في المرحلة الثانية أيام التبليغ السري.

### المرحلة الرابعة: الإعلان عن المرجعية السياسية

بعد وفاة معاوية انتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى المرحلة السياسية؛ ليُحدِّد موقفه الرافض للبيعة بعد أن طُوب بها، وهذا معناه الانتقال إلى المرجعية السياسية بعد أن عُرِف عنه أنه رافض لهذا الوضع السياسي الجديد. فقد اتَّضح لدى المجتمع الكوفي

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٣.



أنَّ الحسين عليه السلام نهض للإطاحة بذلك الصنم البشري الذي عرض نفسه إماماً، وما الإمام إلا الذي فرضه الله تعالى، لا يأمر إلا بما أمر الله سبحانه، وسلطانه من النبي صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى، ودون ذلك، فما هي إلا أسماء سمَّوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، حتَّى تحوَّلوا إلى أرباب وآلهة، يُشْرِّعون ويُتقَرَّب بهم.

إنَّ رفض الإمام عليه السلام البيعة باعتبار أنَّها جعلت من ضروريات الدين؛ إذ استغلوا بذلك رواية صحيحة، تقول: «مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهليَّة»<sup>(١)</sup>، فتراهم قد استعاروا هذا المعاوية ويزيد، متجاهلين المعنى الحقيقي للبيعة في خصوص الإمام الذي عينه النبي صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى. فالإمام الحسين عليه السلام نهض ليهدم هذا الشعار، مُنطلقاً بمرحلة جديدة، فكما قيل للنبي صلى الله عليه وآله: تعال نُعطيك كلَّ شيء وتنازل عن هذا الأمر؟ فأجابهم قائلاً: «يا عمَّاه، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتَّى يُظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام الحسين عليه السلام بما يشبه قول النبي صلى الله عليه وآله: «يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت - والله - يزيد بن معاوية أبداً»<sup>(٣)</sup>.

فالإمام الحسين عليه السلام حينما يُعلن عن عدم البيعة، لا يستطيع أحدٌ أن يتَّهمه بأنَّه لا دين له، ولا يجراً أحدٌ على ذلك؛ بعد أن عرفوا قدره عليه السلام وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في حقِّه، خصوصاً عند مَنْ تراوحت أعمارهم بين (٤٠) و(٧٠) سنة؛ إذ يعرفون الأحاديث الواردة بحق الإمام الحسين عليه السلام، التي من جملتها قول النبي صلى الله عليه وآله: «حسين منِّي وأنا من حسين»<sup>(٤)</sup>، بل حتَّى الكبراء من أهل الشام يعرفون هذه الأحاديث.

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٥، ص ٢١٨. وأنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٦٧.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢١.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٤، ص ١٧٢. وايضاً: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي:

ج ٥، ص ٣٢٤.

نعم، ربما يتقبل ذلك - ابتداءً - الشباب الذي تتراوح أعمارهم من (١٥) إلى (٢٥) سنة، الذين لم يسمعوا عن النبي ﷺ ما قاله بحق الإمام الحسين عليه السلام، إلا أن قبولهم لذلك سيكون مؤقتاً؛ إذ بمجرد أن يتغير الوضع، وينهار الإعلام الأموي، ويبدأ الكبار يتحدثون بأحاديث النبي ﷺ، سوف يتضح كل شيء حتى لهذا الجيل الجديد. هذا، ولا بد أن نعرف شيئاً عن عمق البيعة دينياً في الأطروحة الأموية، فبعد البيعة عندهم يصبح للخليفة الحق أن يُسرَّع ويقف أمام سنة النبي ﷺ، فصارت عندهم البيعة مفتاحاً للتشريع، وأصبحت عندهم جزءاً من الدين، وقد ثقَّف الإعلام الأموي الأمة على أن البيعة لشخص ما تجعل منه إماماً تجب طاعته، وأن من لا يبيعه له لا دين له.

### مشروع الإمام الحسين عليه السلام لإعلان المرجعية السياسية

وليبيان ذلك نقول: هل كان للإمام الحسين عليه السلام مخططٌ للعمل السياسي؟ ومن أين أعلن ذلك؟

توجد هنا ثلاث روايات، إلا أن المشهور - مع الأسف - أخذ برواية واحدة، وهي أن الحسين عليه السلام أعلن ذلك في المدينة، وفي دار الوليد بن عتبة أمام مروان. وهذه الرواية غير صحيحة، ولا تُقبل، وقائمة على عواطف وميول ضيقة، وإنما الإمام الحسين عليه السلام خطَّط أن يعلن هذا الموقف من مكة، فهو عليه السلام كان قاصداً أن تكون مسيرته كمسيرة جدّه الذي أعلن من مكة رفضه للأصنام؛ لذلك أعلن من مكة رفضه للبيعة.

والسبب في ذلك؛ أن الإمام الحسين عليه السلام إذا أراد أن يرفض البيعة من داخل دار الوليد، ففي قبالة تجربة أبيه علي عليه السلام عندما رفض البيعة لعثمان، جاءه التهديد بالمجاهدة، بأن خلف الباب (٥٠) سيافاً، وكذلك فإن رفض الإمام الحسين عليه السلام البيعة معناه القتل تماماً ونهاية حركته؛ فلذا تلطَّف عليه السلام وخرج، ثم أعلن من مكة أنه لا يبيع.

ولكننا نقول - مع غصّ النظر عن الحقّ الشرعي للإمام عليه السلام في الخلافة :-  
 ما هي المشكلة في عدم البيعة يا ترى؟ فهو رأيي، فذاك - على سبيل المثال - سعد بن  
 أبي وقاص لم يبايع علي بن أبي طالب عليه السلام، ومع ذلك لم يصنع علي عليه السلام معه شيئاً وتركه،  
 وكذلك عبد الله بن عمر؛ فلذا من حقّ الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: لا أبايع.

فهذا الإعلام في المجتمع سيثير عند الشباب - الذين يعتبرون البيعة ديناً -  
 تساؤلاً مهمّاً: لو كانت البيعة ديناً، فلماذا رفض الإمام الحسين عليه السلام البيعة ليزيد؟  
 هذا التساؤل ينشأ بعد أن دسّت السلطة الأموية أحاديث موضوعّة كثيرة، نحو:  
 «من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر عليه...»<sup>(١)</sup>، أو من قبيل: «إن كان الله خليفة في  
 الأرض، فضرب ظهره، وأخذ مالك، فأطعه...»<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الأحاديث الموضوعّة  
 التي جعلت من الدين الصبر على ما يفعله الخليفة الظالم، وعدم القيام عليه.. فأمتوا  
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى جاء الإمام الحسين عليه السلام، وفتح باباً للحركة،  
 فأحيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا، فاستقرّ الإمام الحسين عليه السلام في مكّة أربعة أشهر تقريباً، وهي مدّة قد  
 أُتيح له عليه السلام من خلالها فرصة أن يلتقي بجمع غفير من الناس؛ إذ يصف الكثير من  
 المؤرّخين - ومنهم ابن كثير، والطبري - أنّ الحسين عليه السلام تقوّضت إليه الحلقات في  
 مكّة، حتّى كان عبد الله بن الزبير من جملة من كان يحضر عنده، ولا يجرأ أحدٌ أن  
 يؤسّس حلقة في البيت الحرام والحسين عليه السلام مجتمع بالناس، فقد فتح الإمام عليه السلام الباب  
 للناس على مصراعيه؛ لمعالجة الشبهات الفكرية خصوصاً لذلك الجيل الذي كان  
 يعتقد بسبب الإعلام الأموي أنّ البيعة جزء من الدين.

ففي هذه المرحلة بدأ الإمام الحسين عليه السلام يبحث عن أنصار، كما هو الحال عندما  
 أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وبعد مدّة - لما اشتدّ عليه الضيق - بدأ

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٨، ص ٨٧.  
 (٢) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج ٢، ص ٣٠٠.

يبحث عن أنصار يجمونه لمواصلة التبليغ، وليس ذلك من أجل إقامة دولة، وهكذا الإمام الحسين عليه السلام قد نهض من أجل تحرير الإنسان من الانحراف الفكري. ومن الخطأ القول: بأن النهضة الحسينية انطلقت أساساً من أجل إقامة حكومة، بل الصحيح أن حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة تصحيح العقيدة، وتحرير العقل من هذا الانحراف الفكري، وأن الدين لا يدعو إلى بيعة هؤلاء، بل إن البيعة ليست من الدين بشيء أصلاً، فالدين يفرض عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الإمام الحق بعد النبي صلى الله عليه وآله هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

نعم، عندما نقول: إن هذه المرحلة سياسية؛ لأنها تتصل بشكل واضح بطاعة الحاكم؛ لذلك وُصفت بالسياسية، وإلا واقعتها أعظم من كونها سياسية، وذلك برفض هذه الأطروحة التي أنتجت معاوية وولده يزيد كخلفاء لله تعالى علواً كبيراً!!!

### المرحلة الخامسة: مؤتمر النصرة

هناك مرحلة أخرى - كما تُشير إليها بعض الشواهد - وهي: أن الإمام الحسين عليه السلام عقد مؤتمراً سريعاً ثانياً بأنصاره، نظير المؤتمر الذي عقده النبي صلى الله عليه وآله (مؤتمر العقبة) بأهل المدينة، والذي أعقبته الهجرة بعد أن صممت قريش على قتله. ولما انتشر خبر عقد مؤتمر بأهل المدينة؛ فحصاد حركة المبلّغين في المدينة أن جاءوا وعرضوا على النبي صلى الله عليه وآله النصرة، فصار مؤتمر النصرة. ولكن كُتِب التاريخ لم تذكر ذلك المؤتمر للإمام الحسين عليه السلام، وإنما انتزعناه من خلال المقارنة؛ للترابط الموضوعي بين المسيرتين في الخلفية، والهدف، والمراحل، وهناك دليل أيضاً، وهو أن الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) يقول: «وبعث أهل العراق رُسلًا وكتباً إليه، فسار في آله، وفي ستين شيخاً من أهل الكوفة، في عشر ذي الحجة»<sup>(١)</sup>.

فالإمام الحسين عليه السلام في هذه المرحلة أثار كثيراً من المسائل التي تخص الحركة ومضمونها الفكري، فقد أعلن في مكة بأنه لا يُبايع، وعرض نفسه على القبائل وعلى

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٠٤.

المسلمين الأخيار، الذين جاءوا من مختلف البلاد؛ لكي يستنهضهم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا هو الحدّ الفاصل بين حركة الإمام الحسين عليه السلام وحركة الخوارج، فالخوارج لم ينطلقوا من قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل انطلقوا من الحكم على الناس بالتكفير ابتداءً، حتّى كفّروا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هكذا كان نهج الخوارج، بينما الإمام الحسين عليه السلام أحيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يستبطن الرجوع إلى الكتاب والسنة، والانطلاق منهما في تقييم الواقع السياسي المُنكر، الذي يستدعي الإنكار، فأرجع الناس إلى هذه الشعيرة الدينية، فاستنهض الكبار والعلماء الذين يحملون في صدورهم تراث النبوة، وبقية من تعلم عن عليّ عليه السلام، أو بقية من تحرّك فيهم التراث النبوي، الذي بعثه عليّ عليه السلام من جديد في حركته من سنة (٢٧هـ) إلى سنة (٤٠هـ)، وكذلك في حركة الإمام الحسن عليه السلام من سنة (٤٠هـ) إلى سنة (٥٠هـ). فالإمام الحسين عليه السلام بدأ يُناشد هؤلاء الذين بقيت في صدورهم أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذاً، طبيعة الأمور تقتضي أن يعقد الإمام الحسين عليه السلام مؤتمراً بالأنصار، فتحرك عليه السلام صوب النهضة من قبل سنتين، وهذه الحركة لا بدّ لها من حصاد، وكان عليه السلام قد عقد مؤتمراً سرّياً سابقاً، يضمّ (٧٠٠) من الصحابة، والذين هيّأهم وبثّهم كدعاة لفكرته؛ فمن المتوقع جداً أنّه عليه السلام يعقد مؤتمراً آخر من أجل استيعاب ما سوف يأتي من مراحل مسيرته، أي: ما يأتي بعد الإعلان عن الحركة.

فالإمام الحسين عليه السلام أراد أن يلتقي بهم مرّة أخرى؛ لكي يأخذ منهم بيعة النّصرة كما صنع جدّه النبي صلى الله عليه وآله، الأمر الذي حصل بالفعل مع الإمام الحسين عليه السلام، بأنّ أهل الكوفة بايعوه، وبذلك تحقق عقد النّصرة، وخاصّة بعد أن ذهب مسلم بن عقيل عليه السلام

إلى الكوفة ليتحرّك بتحقيق تلك المهمة، وكانت حركته في شهر ذي الحجة<sup>(١)</sup>، وكان الهدف من حركته أن يكسب الأنصار، فتحرّك مسلم بن عقيل عليه السلام من أجل أن يكسب الرؤوس العسكرية في الكوفة لصالحه؛ باعتبار أن فيها قادة وهم عراقيون، كما أن وجهاء العشائر هم عراقيون أيضاً، علماً أن جزءاً من الجيش العشائري هو من أهل الشام؛ باعتبار أن معاوية كان ماكراً في عمله، فلم يُغيّر قادة العشائر، وإنّما عوّض الفراغ العشائري بجنود يحملون الولاء لمعاوية، فزاه قد غيّر النظام من سبعة أسابيع إلى أربعة أرباع؛ إذ كان نظام الكوفة في عهد الإمام علي عليه السلام أسبوعاً، وكلّ سبوع له قائد، فجعله أرباعاً؛ حتّى يُقلّص من القادة الذين يُديرون العشائر، فإذا كانت العشيرة تُعرّف بالشبّع دمجها مع عشيرة أخرى؛ حتّى يضيع هذا المعنى ضمن خطة مفصّلة. وهذا العمل في الواقع يحتاج إلى حركة سياسية؛ فبعث الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل من أجل أن يعمل على كسب هؤلاء، وذلك بتوفّر العوامل المساعدة الآتية:

١- لن يرضى القادة العراقيون بأن يكون يزيد حاكماً وخليفةً عليهم؛ باعتبار أن هذا الرجل ظالمٌ، والإعلام هو الذي فرض هؤلاء، فبعد أن كانوا هم الأصل صار بلدهم تابعاً. فحركة مسلم بن عقيل عليه السلام تجعلهم على أقلّ التقادير يتحدّون السلطة، وأن لا يقفوا في صفٍّ من يقف أمام حركة واضحة الحقّ، بعد أن تعهّد معاوية بأنّه لا يُعيّن أحداً بعده، فخالف العهد تماماً.

٢- إنّ حركة مسلم تبعث في العراقيين روح المقارنة بين يزيد وبين الإمام الحسين عليه السلام، وشتان بين هذا وذاك.

ولذا؛ فقد تحرّك الشيعة في الكوفة في إرسال الرُّسل والطلب من الإمام للحسين عليه السلام بالقدوم عليهم، وعندما يقال: إنّ قلوبهم مع الحسين عليه السلام وسيوفهم

(١) هناك رواية في أنّ ذلك وقع في شهر رمضان.

عليه. فهذا صحيح، ولكن ليس المقصود بالسيف هنا: هو سيف مسلم بن عوسجة ونظرائه، وإنما سيوف أولئك الأمويين الذين صاروا كوفيين، وأصبحوا جزءاً من الجيش. والقلوب: هي قلوب الكوفة كلها، بآئها مع الإمام الحسين عليه السلام، ولا يوجد إنسان لا يرغب أن يكون مع الحسين عليه السلام إذا خُلي وطبعه.

إذاً، الإمام الحسين عليه السلام بعث مسلماً من أجل تهيئة الأجواء قبل أن يصل الكوفة، من أجل السير بهم بسيرة جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه علي عليه السلام، فهو مشروع لا بدّ أن يُكمّله، فجده صلى الله عليه وآله نهض في وجه الأصنام، فوقفت قريش ضده، وأمير المؤمنين عليه السلام بويع من قبل الأنصار والمهاجرين رافعاً شعار إحياء السنّة، فنهضت قريش ضده تقاتله. وهذه نهضة الإمام الحسين عليه السلام تُعرّض على المجتمع رافعةً شعار إحياء السنّة كذلك، وتحرير المجتمع من هذه الطغمة التي جعلت مال الله خولاً.

ومن هنا قلنا: إنّ الدولة كانت عملاً عرضياً تماماً كما هي في سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام، أي: إنّ الدولة عُرِضت عليه؛ لأنّ قريش قتلت عثمان، والناس يريدون حاكماً، ولا يوجد عندهم خيار أفضل من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فتحرّكوا نحوه. فمشروع الدولة لم يكن التسلسل رقم واحد لا عند النبي صلى الله عليه وآله، ولا عند الإمام عليّ عليه السلام، ولا عند الإمام الحسين عليه السلام. نعم، بالتأكيد هو رقم ثانٍ، أو ثالث في مشروعهم المبارك.

### المرحلة السادسة: الهجرة

صار واضحاً في المرحلة السابقة بأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يطلب النصرة، ولم يكن إلّا أهل الكوفة، وهم الذين قد محّصتهم المحنة أيام حجر بن عدي (رضوان الله عليه)، على أنّهم أوفياء، ومحّصتهم قبل ذلك زمن عليّ عليه السلام حينما نصره، فالحسين عليه السلام ليس له أنصار أوفياء إلّا أهل الكوفة الذين نهضوا معه منذ اليوم الأوّل، وبعدهما محّصوا أيام حجر بن عدي (رضوان الله عليه).

ومن الطبيعي أن مؤتمر النُصرة يعقبه اتخاذُ بلد النُصرة، كما كان للنبي ﷺ، والدولة قد عرفت أن أهل الكوفة أنصار الإمام الحسين عليه السلام، فخطَّطت لقتله ليتهاي كل شيء، فعلم الإمام الحسين عليه السلام بذلك، فقرّر الهجرة علناً<sup>(١)</sup> في الثامن من ذي الحجة، وانتهت الهجرة بالحسين عليه السلام على أن يطوّق علناً، كما انتهت الهجرة بالنبي ﷺ بتطويق مكان الاختفاء، إلا أن الله تعالى قد أنجاه بالتدخّل المباشر وأعمى عيونهم، ولكن في قضية الإمام الحسين عليه السلام شاء الله عزّ وجل أن يكون الأمر مختلفاً، بأن تُترك عليه السلام معهم وجهاً لوجه؛ ليُبصر المغفّلون والأمويون والعالم كلّ ما الذي سيصدر من الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، وأصحابه، من صبرٍ وثباتٍ، وما الذي سيصدر من هؤلاء الذين يدعون الخلافة عن النبي ﷺ مع أسرته الطاهرة، حتّى ينظر العالم جيداً كيف جعلت ظلامه الحسين عليه السلام فتحاً عظيماً.

إذاً، خرج الإمام الحسين عليه السلام وهاجر كما هاجر النبي ﷺ، فاستقبلته خيالة أهل الشام وفرسانهم بقيادة الحرّ، واقتادته أخيراً إلى كربلاء - وحاصروه ومنعوه من الذهاب، أو الاقتراب من الكوفة - وهذا المكان هو الحدّ النهائي، فطابق الواقع الإخبار، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام كان وهو في طريقه إلى صفين بعد أن أقام الصلاة، فنادى: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله! فسئل: ماذا أبا عبد الله؟! قال: دخلتُ على النبي ﷺ وعيناه تفيضان، قال: قلت: يا رسول الله، ما لعينيك تفيضان؟ أغضبك أحدٌ؟ قال: قام من عندي جبريل، فأخبرني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات، فلم أملك عيني أن فاضتاً»<sup>(٢)</sup>. وهذا من أبناء الغيب الذي برز على لسان علي عليه السلام، كما برز من قبل على لسان النبي ﷺ.

(١) نعم، ربما يقال: إنّ النبي ﷺ قرّر الهجرة إلى المدينة خفية؛ وما ذلك إلا لاختلاف الظروف.

(٢) ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد، المصنّف: ج ٨، ص ٦٣٢.

## المرحلة السابعة: القتال والشهادة

وضعت السلطة خطة محكمة من أجل مُحاصرة الإمام الحسين عليه السلام، وبالفعل فقد حُوصِرَ عليه السلام تسعة أيام مع أنصاره، وسُجِنَ الكثير من أتباعه، وقُطعت الطرق والأخبار، ولا يستطيع أن يتحرك أيّ أحدٍ، ومنه برزت مرحلة أخرى في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وهي مرحلة القتال، كما حدث للنبي صلى الله عليه وآله بعد الهجرة بأن قاتل المشركين حتى انتهى بالأمر إلى الفتح (الصلح). إلا أنه في نهضة الإمام الحسين عليه السلام انطوى موضوع الصلح، وانتهى الأمر إلى استشهاده عليه السلام.

والفرق بين النهضتين: إن الصلح في نهضة النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية كان مُقدّمةً لفتح مكة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(١)</sup>. أمّا الإمام الحسين عليه السلام فقد عبر عن شهادته يوم العاشر إلى بني هاشم بكتاب إليهم: «...أما بعد، فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح»<sup>(٢)</sup>. فما كان أمامه إلا الشهادة، فعبر عنها بالفتح؛ لأن هذه الشهادة سوف تُحقّق كل ما يُريده من قيامه، فبها يتحقّق الهدف، وإذا أوصلناها بالإمام الحجة عليه السلام، فسيكون ذلك الحكم الذي كان مأمولاً عند كثير من الناس أن يحقّقه الإمام الحسين عليه السلام، سيتحقّق على يد الإمام الحجة عليه السلام، وهو ابن الإمام الحسين عليه السلام، الذي سينهض في يوم العاشر من المحرم، فيكون قد تحقّق أروع عهدٍ من الحكم في تاريخ البشرية.

## المبحث الثاني: الفتح في مشروع الإمام الحسين عليه السلام

إن الإمام الحسين عليه السلام قد فتح بعد القتال فتحاً يختلف عن غيره من الفتوحات الماديّة الأخرى بشكل مباشر، بل إنّها هو فتح من نوع آخر، فتح تحقّقت به كلّ أهدافه.

(١) النصر: آية ١.

(٢) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٥٠٢.

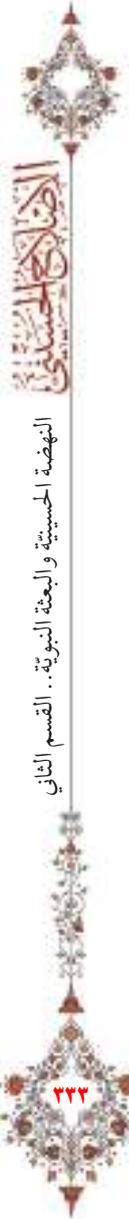
## حقيقة الفتح في مشروع الإمام الحسين عليه السلام

لا بدّ هنا أن نقف وقفةً مع الفتح الحسيني، وكيف تحقّق ذلك الفتح؟ كانت هناك خلافة تتمثّل بيزيد امتداداً لمعاوية، ولم يكن معاوية بمقدوره أن ينتج خلافةً لولا أن يستند إلى التجربة القرشيّة الأولى؛ من أجل أن يكون فرعاً. وإن كان هذا الفرع سيكون أكبر من غيره - فاستند إليها لبيني عليها مشروع الخطير، والذي تمّ الحديث عنه فيما سبق.

وأما الإمام الحسين عليه السلام نهض من أجل أن يُطمّن هذا المشروع (مشروع الإمامة الضّالة). فالفتح هنا على مستوى أنّ الناس قد أدركوا تدريجياً أنّ هذه الخلافة الأمويّة خلافة ضالّة، ليس لها أساس من كتاب الله وسنّة النبي صلى الله عليه وآله، بل إنّ ما ادّعي أنّها تقوم على أساس الكتاب والسنّة فهو باطل، ولذا لا يوجد اليوم - من يُعتدّ بقوله - في المجتمع السنّي من يعتقد أنّ الخليفة يزيد هو الخليفة على الكتاب والسنّة، وإنّما الكلام في معاوية، بل حتّى مع معاوية نجد الآن من يُعطي براهين متعدّدة كيف أنّ معاوية ارتكب أربعين كبيرة؟! فهذا هو الفتح.

إذاً؛ الفتح: هو أن تنهار تلك الخلافة الكاذبة. والثقافة السنّيّة المتمثّلة اليوم بالكتب السنّة، كافية لنا بتحقيق هذا الأمر، ويستطيع المحاور الشيعي أن يثبت أنّ الخلافة القرشيّة الأولى - فضلاً عن الخلافة الأمويّة - خلافة انحرفت عن الكتاب والسنّة، بل حرّفت الكتاب والسنّة، علماً أنّ الكتب السنّة كثيراً ما اعتمدت على روايات أهل الشام.

ومن هنا؛ قد تحقّق هدف الإمام الحسين عليه السلام كاملاً، سواء على المستوى الفكري والعقدي المتمثّل بهدم صنم الخلافة، فلم يبقَ على هؤلاء الذين تهدّم في أنفسهم صنم الخلافة إلا أن يفتحوا على سنّة النبي صلى الله عليه وآله، وأين يجدون السنّة النبويّة؟ السنّة النبويّة الصحيحة لا يجدونها إلا عند حملتها الرسميين الإلهيين، وهم الأئمّة التسعة من



ذرية الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك لاحظنا أن وظيفة هؤلاء التسعة بعد الحسين عليه السلام، أنهم انطلقوا من حبّ الناس للحسين عليه السلام؛ من أجل تثقيفهم شيئاً فشيئاً، وبالتدرّج يعلمونهم ما خفي عنهم من أحكام الإسلام.

وبقي هناك شيء يمكن الإشارة إليه، إذ يُعبّر عن حركة هذا المبدأ في سنة (٨٣هـ) في حركة ابن الأشعث، والتي انطلقت في الشرق، وبعد ذلك جاؤوا إلى الكوفة، وجرت الحروب بين ابن الأشعث وبين الحجاج، وفي هذه الثورة تحرّك الكثير من شيعة علي عليه السلام يحثّون الناس على الانخراط في الجهاد وقاتل الحجاج؛ إذ صار عند شيعة علي عليه السلام بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، أن إسقاط بني أمية من الضرورات الدينية. يروي لنا الطبري ما نُقل عن عبد الرحمن بن أبي ليل، أنّه نادى بالناس: «إني سمعتُ علياً - رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين - يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنّهُ مَنْ رأى عدواناً يُعمَلُ به، ومُنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه، فقد سلّم وبرئ، ومَنْ أنكر بلسانه، فقد أُجر، وهو أفضل من صاحبه، ومَنْ أنكر بالسيف؛ لتكون كلمة الله العُليا وكلمة الظالمين السُفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونور في قلبه باليقين؛ فقاتلوا هؤلاء المُحلّين المُحدّثين المُبتدعين، الذين قد جهلوا الحقّ، فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان، فليس ينكرونه»<sup>(١)</sup>.

إذاً، بدأ التحرك بحديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأصل للحركة الثائرة ضدّ بني أمية، وهذا معناه: أنّ الإمام الحسين عليه السلام نجح تماماً في إحياء هذه الفريضة التي أماتها بنو أمية بفعل الأحاديث الكاذبة.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام بدمه الشريف فتح الطريق لجهاد هؤلاء، من أجل إسقاطهم؛ لأنّهم حماة الضلالة. ومن جانب آخر، فقد أيّده الله تعالى بأئمة تسعة، من أجل أن ينشروا سنّة النبي صلى الله عليه وآله ونهج علي عليه السلام.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ١٦٣.

إن حركة الحسين عليه السلام أنتجت مرحلة ثالثة لشيعه أهل البيت عليهم السلام، ومن الخطأ القول: بأن التشيع تأسس بعد الإمام الحسين عليه السلام، بل إنما هي مرحلة في تاريخ التشيع الذي مرّ بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، والدال عليه أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعوته لعلي عليه السلام وشيعته، كقوله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

المرحلة الثانية: في زمن الإمام علي عليه السلام لما نهض بالأمر سنة (٣٧هـ)، وبدأ قسم من التابعين يفتح على السنة النبوية وإمامة علي عليه السلام.

المرحلة الثالثة: بعد الإمام الحسين عليه السلام، حينما بدأ التأسيس من خلال نشر كتاب علي عليه السلام، وما نُشر كتاب علي عليه السلام في السنن إلا زمن الإمام الصادق عليه السلام، بشكل كان ظاهرة في حياة الشيعة، ومن امتيازهم - من زمن الإمام الصادق عليه السلام إلى اليوم - أن فقهم يقوم على أساس كتاب علي عليه السلام، وهكذا بقي الكتاب ميراثاً للإمام المهدي عليه السلام، فإذا ظهر - فحينئذٍ - يكون قد أعلن الوثائقية لهذا المذهب. نعم، تبقى المعركة قائمة حتى بظهور الإمام عليه السلام، فتنتهي بإخراج كتاب علي عليه السلام وإحيائه.

إذاً، الإمام الحسين عليه السلام أحيى السنة النبوية، وأمات الإمامة الباطلة التي لم تكن بعد قتله عليه السلام، قادرة على أن تعود لمثل ما كانت عليه في الزمن السابق، فصار الفصل واضحاً جداً بين السلطان الظالم وبين العلم، وأصبح الناس يبحثون عن العلماء لحلّ مُعضلاتهم الفكرية، وليس السلطان.

فإذا رجعنا إلى قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، وبالشروط التي يرويها لنا التاريخ، نرى أن الإمام الحسن عليه السلام لم يتخلّ عن حقّه في الملك، وإنما جمده إلى وفاة معاوية، بشرط أن يعمل بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله، وانصرف الإمام لمرجعية دينية

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، المناقب: ص ١١١.

لَمَنْ يُؤْمِنُ بِمَرْجِعِيَّتِهِ، إِلَّا أَنْ مَعَاوِيَةَ غَدَرَ بِالْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَوَحَّدَ بَيْنَ السُّلْطَنَةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، حَتَّى يَتِمَّ أَنْ يُشْرَعَ، وَيَصْبِحَ الْحَاكِمُ مُقَدَّسًا. فَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَهْضَتِهِ دَمَّرَ هَذَا الْكِيَانَ الَّذِي أَسَّسَهُ مَعَاوِيَةُ، فَصَارَ هُنَاكَ السُّلْطَانُ وَالْعَالَمُ.

## الخاتمة

نستطيع بهذه المقارنة أن نكتشف أن حركة الإمام الحسين عليه السلام هي من حركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويتجلى ذلك واضحاً في قوله: «حسين مني وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>. كما أن تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الفتح أمران: القرآن والعترة؛ فقد قال: «إني قد تركتُ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فأنظروا كيف تحلفوني فيهما؟ فإتھما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»<sup>(٢)</sup>. كذلك الحسين عليه السلام يُؤكِّد على هذه التركة في سلوكه وأفعاله أيام النهضة، فنراه يُرجى القتال إلى اليوم العاشر؛ لأنه يُريد أن يتلو القرآن الكريم، وبالفعل كان معسكر الإمام الحسين عليه السلام يُحيي إلى الصباح تلاوة القرآن. وأمَّا التركة الأخرى: فهي الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، الذين نهضوا لنشر ما كان يحمله الحسين عليه السلام في صدره من العلم، وما يحمله من تراث أبيه (كتاب عليٍّ عليه السلام). وعترة الإمام الحسين عليه السلام هي نفسها عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا نختم البحث في هذه المقارنة التي تضعنا أمام منهج تاريخي لإثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام. علماً أن هناك خمسة مناهج لإثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام:

١- القرآن الكريم: إذ لو خُلينا والقرآن الكريم لاستطعنا أن نُثبت لأيِّ إنسانٍ يُريد تمييز أهل البيت عليهم السلام بصفتهم أئمة يدعون إلى الله، ويهدون بأمره، ومن دون أية رواية.

(١) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف: ج ٧، ص ٥١٥. وأيضاً: الطبراني، سليمان بن أحمد،

المعجم الكبير: ج ٣، ص ٣٣.

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ص ٢١٨٩.

٢- السنّة النبويّة: إذ يمكن الرجوع إلى الحديث والاستدلال به، بما في ذلك مصادر الحديث عند أهل السنّة، التي يمكن من خلالها إثبات هذا الموقع للأئمّة عليهم السلام.

٣- التوراة: إذ نعلن لكلّ المسلمين والمسيحيين واليهود أنّ بيننا وبينكم هذه التوراة لندعوكم إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، وإلى اثني عشر إماماً بعد النبي صلى الله عليه وآله. وهذا منهج أسسه القرآن الكريم، وسار عليه النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، وليس كما يدّعي بعض أنّه منهج سبأي.

٤- العلم الخاص: إذ يمكن إثبات إمامتهم من خلال تراثهم، كما ورد في الكافي وغيره، والذي سنجد فيه ظواهر غيبية قد أنبأوا عنها، سواء في الطب، أم التاريخ، أم في مسائل أخرى، وقد تحققت بعد مدّة طويلة، وهذا كلّ منشؤه العلم الخاص من النبي صلى الله عليه وآله.

٥- المنهج التاريخي: إذ لو خلينا وتاريخ الأئمّة عليهم السلام، حتّى على مستوى التاريخ العام الذي ألفه الطبري وابن الأثير ونظراؤهما، فهو يُقدّم لنا معلومات عن عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، والقليل عن أئمّة أهل البيت التسعة من أولاد الحسين عليهم السلام، وهو كافٍ ليُشيد لنا امتياز أهل البيت عليهم السلام، بأنّه لولا هم لضاعت سنّة النبي صلى الله عليه وآله، ولولا هم لما عرف الناس - على سبيل المثال - حجّ التمتع الذي يحجّ به حالياً جميع المسلمين، ولما عُرف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذه مناهج خمسة، ودراستنا هذه وقعت ضمن المنهج التاريخي، من خلال المقارنة بين البعثة النبويّة والنهضة الحسينيّة.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ - الإمامة والسياسة، عبد الله بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: طه محمد

الزيني، مؤسّسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع.

٢ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق:

الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى،  
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر  
البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة،  
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق وتصحيح  
وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي،  
طهران، ١٤٠٤هـ/١٣٦٢ش.

٥- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي  
شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

٦- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق  
وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة  
الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد  
الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،  
الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: دكتور عبد  
الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت -  
لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٩- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، إشراف وتخرّيج:  
شعيب الأرنؤوط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغر جي،  
الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٠- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد

أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه.  
١١ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة باستانبول، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

١٢ - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٣ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.

١٤ - مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٥ - مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.

١٦ - المصنّف، عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

١٧ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق وتخرّيج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٨ - المناقب، محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٨٦هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي (مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفّة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.





خُلَاصَةُ الْمَقَالَاتِ

بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْجَلِيزِيَّةِ



## الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٤)

### الآيات المرتبطة بقوم النبي موسى عليه السلام

الشيخ صباح عباس الساعدي

تناول الباحث في دراسته هذه بعض الآيات التي وُظِّفت من قِبَل الإمام الحسين عليه السلام في البيانات التي وجهها إلى أعدائه، وقد تطرَّق في مقدمة بحثه إلى الجدلية الشائكة حول هوية أعداء الإمام الحسين عليه السلام والتغيب والإخفاء المتعمد لحقيقة الأشخاص الذين ارتكبوا جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام، حتَّى باتت هذه المسألة من التهم التي تلصقها الأطراف المتنازعة ببعض الفئات أو البلدان، مدعية أنَّهم المسبب الرئيس في مقتل الإمام الحسين عليه السلام، مشيراً إلى أنَّ الدراسات التحليلية المعاصرة التي عُنيت بالبحث عن هوية قَتلة الإمام الحسين عليه السلام تكاد تكون نادرة أو شبه معدومة؛ لذا جاء هذا البحث الذي تناول حقيقة أعداء الإمام الحسين عليه السلام في ضوء بيانات الإمام الحسين عليه السلام التي تضمَّنت الآيات القرآنية، ليكون مكملاً للجهود التي بُذلت في هذا المضمار، كما تمَّ - في المقام - ذكر قائمة بالآيات التي وُظِّفت في مخاطبة الإمام الحسين عليه السلام للأعداء.

ووفقاً للآلية المتبعة في الأبحاث السابقة فقد اختار الباحث بعض الآيات المرتبطة بقوم النبي موسى عليه السلام، والتي طبَّعها الإمام عليه السلام على أعدائه، وخصَّ منها الآيتين اللتين استعاذ النبي موسى عليه السلام بالله عز وجل من بعض المخاطر التي واجهته في حركته الإصلاحية، لتؤخذ أنموذجاً من بين الآيات الكثيرة التي ذكرها في مقدمة بحثه، وقد اتَّبع هيكليةً من ثلاث خطوات، كانت الخطوة الأولى عبارة عن المعنى التفسيري للآيتين المباركتين، ومن بعد ذلك جاءت الخطوة الثانية: لبيان صفات

العدو الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام. وقد خصص الخطوة الثالثة للمقارنة بين المعنى التفسيري للآيتين الكريمتين والموارد التطبيقية لهما؛ لبيان النتائج الواضحة حول موضوعة أعداء الإمام الحسين عليه السلام.

وفي خاتمة البحث تمت الإشارة إلى أن هذه البحوث جاءت لكي تكون عينات للحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام، وهي الآيات التي وُظِّفت من قبله عليه السلام في خطابه المباركة، عسى أن يُوفق الباحث إن شاء الله لإكمال مؤلف مستقل يحوي جميع الآيات التي تم الوقوف عليها في طيات البحث والتتبع خلال هذه الدراسة التي دامت لأكثر من عام كامل.

## **The Quranic Presence in the Statements of Imam al-Husayn (PBUH) – The Quranic Verses Related to the People of Musa (PBUH)**

*Shaykh Sabah Abbas al-Saidi*

In this study, the researcher addresses some of the Quranic verses utilized by Imam al-Husayn (PBUH) in the statements he gave to his enemies. At the beginning of the study, the researcher addresses the problematical issue with the identity of the enemies of Imam al-Husayn (PBUH), and the deliberate concealment of the truth of the people who murdered Imam al-Husayn (PBUH) until this issue became one of the accusations that conflicting parties assign to some groups or countries, claiming that they were the main cause of the killing of Imam al-Husayn (PBUH). The researcher points out, that contemporary analytical studies dedicated to research the identity of the killers of Imam al-Husayn (PBUH) are rare to find or almost none-existing. Thus came this study addressing the truth behind the enemies of Imam al-Husayn in light of his own statements containing Quranic verses, in order to complement the efforts made in this regard. After that, he mentions a list of verses employed by Imam al-Husayn (PBUH) when he addressed the enemies.

In accordance with the previously used method in the prior researches, the researcher selects some verses related to the People of Prophet Musa (PBUH) which the Imam (PBUH) implements on his enemies. Especially the two verses in which Prophet Musa (PBUH) seeks refuge in Allah, exalted is He, from some dangers he faced in his reformative movement. The researcher presents these two verses to be

seen as a sample among many verses mentioned at the beginning of his study.

Furthermore, he follows a three-step plan in which the first addresses the exegetical meaning of the two blessed verses. Following is the second step where the traits and characteristics of the enemies of Imam al-Husayn (PBUH) are depicted, whereas the third step was dedicated to a comparison between the exegetical meaning of the two blessed verses and the implementational field of them, in order to present clear results on the subject of the enemies of Imam al-Husayn (PBUH).

At the end of the research, the researcher mentions that these researches and studies have been conducted to act as samples of the Quranic presence in the statements of Imam al-Husayn (PBUH) which are the implementation of the Verses he used in his blessed speeches. Hopefully, the researcher will, by the grace of Allah, complete an independent writing containing all the verses addressed through the work in this study which has taken more than a year to conduct..



العدد الثاني والثلاثون - السنة الثامنة - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



## حوارية:

### أساليب النصر في القرآن الكريم وتجلياتها في النهضة الحسينية

العلامة الشيخ علي الكوراني

أجرت مجلة الإصلاح الحسيني حوارية مع ساحة العلامة الشيخ علي الكوراني تضمّنت إجاباته عن مجموعة من الأسئلة المرتبطة بالموضوع المشار إليه في العنوان أعلاه. ففي معرض جوابه عن المراد من مفهوم النصر في الاستعمال اللغوي والقرآني أشار ساحته إلى أنّ الاستعمال في كلا الحقلين كان في معنى واحد، وهو المعنى العرفي الذي ينصرف إليه الذهن عندما يسمع مفردة (الأنصار) الذي نشأ بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة.

أمّا جواب ساحته عن معايير تحقق النصر الإلهية فقد كان عبارة عن: أنّ الإخلاص في مجالي العقيدة والعمل يُعدّ المعيار الرئيس للنصرة الإلهية. نعم، لا يعني ذلك أن نحكم على كلّ حركة لم يحالفها النجاح بأنّها فاقدة للإخلاص؛ وذلك لاحتمال وجود غايات إلهية كامنة وراء عدم تحقّق النصر لهم.

كما تطرّق ساحته إلى الإجابة عن شبهة قد علفت بأذهان بعضٍ عن سبب تحلّف النصر الإلهية عن النهضة الحسينية مع أنّ الله عزّ وجلّ قد وعد في كتابه قائلاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُذِئْتِ أَقْدَامَكُمْ﴾، مبيّناً أنّ النصر على نوعين: نصر مادي (عسكري)، ونصر معنوي؛ ومع تحلّف النوع الأوّل فإنّه لا يعني حصول الخذلان الإلهي ما دام النوع الثاني متحقّقاً، وهذا ما حدث بالفعل بحق النهضة الحسينية كما هو مشاهد لدى الجميع.

هذا وقد بيّن ساحته بأنّ غياب العلم بالمخطط الإلهي للبشرية هو السبب وراء

هذه الشبهات، وهذا المخطط هو عبارة عن بقاء الصراع بين الحقّ والباطل وأخذه لمجره الطبعي حتى ظهور دولة الحقّ.

وبناءً على هذه الحقيقة؛ أجب سماحته عن سبب عدم طلب الإمام الحسين عليه السلام النصر العجائزية من الله سبحانه، بالقول: بأنّ اطّاعه عليه السلام على هذا المخطط وتبعية إرادته لإرادة الله تعالى في تحقّقه، هو الذي أدّى إلى ذلك.

وعلاوة على المطالب المهمة المتقدّمة فقد اشتملت الحوارية مع سماحة الشيخ الكوراني على أسئلة أخرى لها نفس الدرجة من الأهمية أجب عنها سماحته بمتنهي الوضوح والدقّة.

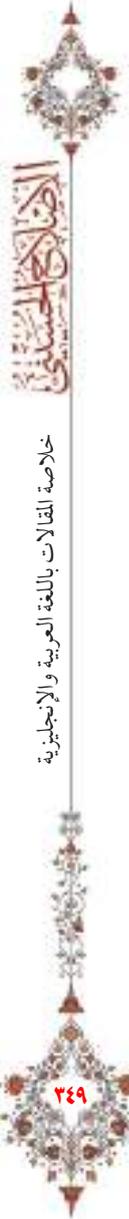
**A Dialogue:**  
**The Methods of Supporting in the Holy Quran**  
**and its Manifestation in the Husayni Uprising**

*The Scholar, Shaykh Ali al-Korani*

The al-Islah al-Husayni Magazine conducted a dialogue with his eminence, the Scholar, Shaykh Ali al-Korani containing his answers to a series of questions related to the subject in the above-mentioned title. To the question regarding what is meant by the understanding of supporting in the Quranic and Linguistic use, he answered that the usage of this word in both fields is the same, which is the customary meaning which comes to mind when one hears the term al-Ansar (supporters). A term that came into existence after the emigration of the Messenger (PBUH&HF) to Holy Medina.

When asked about the criteria for achieving divine victory he answered that sincerity in the two fields of creed and work is considered the main criteria for divine victory. However, this does not mean that every movement that did not succeed or gain victory is considered to lack sincerity, and that is due to the possibility of the existence of other divine objectives behind the lack of victory of these movements.

His eminence also answered the common mis-grounded conceit regarding why victory was not achieved in the Husayni uprising even though Allah, exalted is He, has promised in His book, "O you who have believed, if you support Allah, He will support you and plant firmly your feet." (Sura Muhammad, Verse 7). His eminence elaborates that there are two types of victory. A materialistic one, which is the military victory, and a spiritual victory. If the first is not acquired it does not



mean that divine abandonment has occurred as long as the second type is achieved. And this is the case with the Husayni uprising as many perceive.

His eminence furthermore articulates that the absence of knowledge about the divine plan is the cause of such mis-grounded conceits. This plan is manifested in the continuation of the battle between right and wrong till the righteous state appears.

Based on this reality, his eminence provided answers to why Imam al-Husayn (PBUH) did not call for miraculous aid from Allah, exalted is He. His eminence said that Imam al-Husayn's knowledge of the said plan and his adherence to the will of Allah, exalted is He, is the cause hereof.

In addition to the important beforementioned subjects, the dialogue with his eminence Shaykh al-Korani also contained other questions enjoying the same level of importance which his eminence provided answers to with great clarity and precision.



## عاشوراء وحقيقة الخلاص

### مقاربة قرآنية نقدية لنظرية الفداء.. القسم الثاني

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

استكمالاً لما مرّ بحثه في القسم الأوّل من هذه الدراسة، عقد الباحث في القسم الثاني البحث في مطلبين ونتيجة وخاتمة، وقد ركّز الباحث في المطلب الأوّل على الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح الفداء بصيغته الاسمية والفعلية، والتي تنفي تحقّقه في سياق الحديث عن يوم الحساب، وقد ذكر الباحث - استناداً إلى الآيات القرآنية - مجموعة من الطوائف التي تحتمّ عليها العقاب الأخروي، جرّاء ما تلبّست به من عناوين قبيحة من قبيل: الكفر، الظلم، النفاق، عدم الاستجابة، الإجرام. وقد استنتج الباحث من هذا المطلب: أنّ عذاب يوم القيامة إنّما ينشأ جرّاء الأعمال القبيحة والأفكار الفاسدة، فيطراً نتيجة ذلك تراكم الحجب والظلمات بين النفس الإنسانية ونور الرحمة الإلهية، وإذا ما تحقّق ذلك الانفصال فلا يفيد في رفعه وإصلاحه الفداء، فإنّ الفداء لا يتناسب ورفع الحجب عن النفس، ولا يؤثر في إزالة آثار الظلم والطغيان والعصيان.

وجاء المطلب الثاني ليتّم الحديث فيه عن عوامل الخلاص في القرآن الكريم، حيث ذكر الباحث أنّ القرآن الكريم قد أولى أهمّية بالغة للخلاص الأخروي، وأعطى صورة واضحة لا تعكس ألواناً تحاكي الرؤية الميثولوجية في الخلاص، بل كلّ ما تعكسه من عوامل تُظهر أنّ الخلاص هو حاصل الفعل الإنساني بعد أن كانت الخطيئة فعلاً من أفعاله كذلك، وقد قسّم تلك العوامل على ثلاثة أقسام رئيسية، هي: الإيمان والعمل الصالح، التوبة، الشفاعة.

وفي معرض حديثه عن العامل الأوّل استنتج الباحث أنّ كمال الإيمان لا يتأتى إلا بالعمل، وما عدّ في القرآن الكريم كوسيلة للفوز والنجاة هو ذلك العامل المركّب من الإيمان والعمل الصالح.

وأما العامل الثاني فقد توافرت النصوص الدينية على ترسيخ هذا المفهوم في المجتمع الإسلامي كعامل من عوامل التكفير من خلال إبراز بعض الآثار الإيجابية المترتبة عليه.

وأما العامل الثالث فقد ذكر الباحث بأنّ الشفاعة ثابتة في الجملة إذا ما توفّرت شروطها ومقوماتها، ممّا يؤمّن لنا ذلك جعلها وسيلة قرآنية من وسائل الخلاص.

ثمّ جاءت النتيجة ليقع البحث فيها عن مسألة الاتحاد وحقيقة التشيع، حيث ذكر الباحث أنّ المعادلة - حسب النصّ القرآني - تقتضي أنّ الاتحاد بين ولي الله وشيعته يتحقّق بالطاعة والاستجابة، والبعد العاطفي - الحزن والبكاء - يمثل جزءاً من ذلك الاتحاد الذي تكتمل صورته في ضوء العامل الأساس، ألا وهو الإيمان والعمل الصالح.

وتحت عنوان (حقيقة التشيع في كلمات أهل البيت عليهم السلام) ذكر الباحث من خلال مطالعة النصوص التي وردت عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وتماشياً مع القاعدة الأساسية للخلاص في القرآن الكريم، فإنّ حقيقة التشيع يتجلّى فيها عنصران: عنصر التصديق وعنصر المتابعة، وقد ركّز أهل البيت عليهم السلام في بيان حقيقة التشيع على جانب المتابعة والاستجابة، وعدم الوقوف على مرحلة التصديق بعيداً عن العنصر العملي الذي يمثل أثر ذلك التصديق وكماله.

وفي ختام دراسته أكّد الباحث جملة من الموضوعات المتّصلة ببحثه عن نظرية الفداء..

## **Ashura and the Reality of the Salvation**

### **A Quranic Critical Approach to the Theory of Salvation**

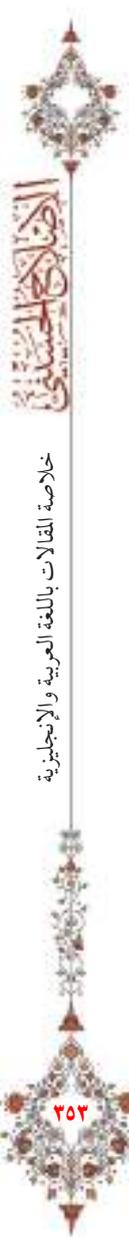
#### **– Part Two**

*Shaykh Thana al-Deen al-Dahlaki*

In continuation of what was researched in Part One of this study, the researcher compiles this second part of two objects of research, results, and a conclusion. In the first object of research, the researcher focusses on the Quranic verses, in which the Arabic word for Salvation was mentioned as a noun and as a verb, and the verses which deny the occurring of it on the Day of Judgment. The researcher mentions, based on the Quranic verses a series of groups, whose afterlife punishment has been dictated due to their vile actions, such as infidelity, oppression, hypocrisy, none compliance, and transgression.

The researcher derives that the punishment on the Day of Resurrection is the result of the vile deeds and corrupt thoughts. Due to these factors there becomes an accumulation of covers and darkness between the human soul and the Divine Light of Mercy. When such separation occurs, salvation is inoperable in removing these covers or darkness, as salvation does not suit this task, nor does it affects removing the outcome of the oppression, tyranny, and transgression.

In the second object of research, the factors of salvation in the Holy Quran are addressed, where the researcher mentions that the Holy Quran paid great attention to salvation in the afterlife and presented a clear picture of, inconsistent with the methodological view of salvation. Rather, the factors depicted by this picture demonstrate salvation as the outcome of human deeds and conducts, including sins. The researcher



divides these factors into three main categories: Faith and Good Deeds, Repentance, and Intercession.

When addressing the first factor, the researcher concludes that the perfection of faith is not achieved deprived of work, and what the Holy Quran regards as a way to succeed and be saved, is a dynamic combined with faith and good deeds.

The second factor, Repentance, had conversely by the Islamic texts been stressed upon as a factor of atonement by depicting some of its positive effects.

At the third factor, the researcher mentions that Intercession has been generally proved to occur if the constituents exist and the conditions are met enabling us to place it as a Quranic tool of the tools of Salvation.

Then follows the results where the researcher discusses the subject of unity and the truth of Shiism mentioning that the equation – in accordance to the Holy Quran – requires that unity between the Guardian of Allah and his followers is achieved by obedience and compliance. Also, that the emotional factor, grief, and weeping, represents a part of that unity that is completed with the main factor, faith and good deeds.

In a part of the research titled The Truth of Shiism in the Words of the Household (PBUT), the researcher mentions, through following the texts narrated from the Imams of the Household (PBUT) and in compliance with the main law for Salvation in the Holy Quran, that the truth of Shiism has two prominent factors: Believing and Following. And the Household (PBUT) emphasized these two factors when articulating the truth of Shiism, and stressed not to separate believing from the practice related to it, where the latter represents the effects of believing and its perfection.

At the end of the research, the researcher highlights a series of subjects related to his research on the Theory of Salvation.



## الآيات المؤولة بالإمام الحسين عليه السلام

### دراسة وتحليل .. القسم الثاني

السيد شهيد طالب الموسوي

بدايةً تطرّق الباحث في هذا القسم من المقال إلى تمهيد يبيّن فيه منهج أهل البيت عليه السلام في التعامل مع القرآن الكريم، وذكر أنّه منهج وسطي معتدل بين منهجين متطرفين، أحدهما: منهج الاقتصار على التأويل وهجران ظاهر القرآن، والآخر: منهج التعامل مع ظاهر القرآن والابتعاد عن روحه التأويلية وحقائقه الغيبية. ثمّ ذكر بعض صور التأويل في تراث أهل البيت عليه السلام، ومنها: التأويل الرمزي، والتأويل الباطني، والتأويل بمعنى المصداق الخارجي.

بعد ذلك تناول أربع آيات قرآنية أوّلت بالإمام الحسين عليه السلام، وذكر أنّ هذه الآيات تحمل في جوهرها مأساة كربلاء ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن بيان مقاماته العُلّيا ومنزلته الرفيعة عند الله تعالى، ثمّ استعرض أقوال المفسّرين في هذه الآيات، والروايات الواردة في تأويلها من مصادر الفريقين، كما أورد بعض الإشكالات السنية والدلالية الواردة عليها وطُرق معالجتها.

وفي الختام تطرّق الباحث إلى أهمّ النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة، ومنها: أنّ القرآن الكريم وما تضمّنه من حقائق تأويلية عن الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته قد يكون حافظ على تلك المظلومية من الانداس والتغيب، وأنّ هذه الحقائق التأويلية تدلّ على أنّ القضية الحسينية هي قضية قرآنية إلهية على الأمة أن تلتزم بمبادئها ومنهجها.

# The Quranic Verses Esoterically Interpreted to Regard Imam al-Husayn (PBUH) – Study and Analysis: Part Two

*ayyid Shaheed Taleb al-Mousawi*

In the beginning of the article consists of a preface, in which the researcher presents the methodology of the Household (PBUT) in interacting with the Holy Quran. He mentions, that the methodology is a moderate middle-seeking one balanced between two radical methodologies. The first, a methodology relying on esoteric interpretation, only with no regard to the external aspect. While the second is a methodology relying on the external aspect while abandoning its esoteric spirit and secret truths. He then mentions some samples of esoteric interpretation in the heritage of the Household (PBUT). Such as Symbolic Esoteric Interpretation, Internal Esoteric Interpretation, and Esoteric Interpretation as an External Sample.

After that, he addresses four Quranic verses that were esoterically interpreted to regard Imam al-Husayn (PBUH), mentioning that these verses carry the tragedy of Karbala and the oppression Imam al-Husayn (PBUH) suffered in their essence. They also depict his high status, and esteemed position with Allah, exalted is He. He then presents the opinion of the interpreters regarding these verses, together with narrations, from both sects on the esoteric interpretation of them. Followed by a presentation of some abstruseness regarding the narrator-chains and semantics of the narrations, and how to deal with them.

In the end, the researcher addresses the most significant results



العدد الثاني والاربعون - السنة الثامنة - ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م



reached in this research. Such as, that the Holy Quran, and what it contains of esoteric truths regarding Imam al-Husayn (PBUH) and the oppression he experienced, preserved those experiences from becoming extinct or concealed and hidden. And that these esoteric truths indicate that the Husayni case is a Quranic divine case whose principles and way must be followed by the nation.

## السلوكيات المستندة إلى القرآن الكريم سلوكيات مواجهة العدو في واقعة الطف أنموذجاً

الشيخ عبد الرزاق النداوي

بعد مقدّمة وجيزة في بيان أنّ أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم، تطرّق الباحث إلى بعض السلوكيات التي واجه بها الإمام الحسين عليه السلام أعداءه، مصدرّاً لها ببعض الآيات القرآنية الدالّة عليها، وهي كالتالي:

أولاً: الكفر بحكومة الطاغوت، وأتته من المبادئ القرآنية التي جسّدها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، وذلك عندما أعلن رفضه مبايعة يزيد. ثانياً: الهجرة، وقد جسّدها الإمام الحسين عليه السلام في هجرته من المدينة إلى مكّة، وكذلك في هجرته من مكّة إلى العراق.

ثالثاً: الدعاء، وقد طبّق الإمام الحسين عليه السلام هذا المبدأ القرآني في عدّة مواطن، منها: دعاؤه عليه السلام في بداية نهضته المباركة عند قبر جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، ودعاؤه الذي افتتح به المعركة، وكذلك دعاؤه الذي اختتم به حياته الشريفة.

رابعاً: الاحتجاج بالحقّ والموعظة الحسنة، وقد ذكر الباحث بعض الخطب التي احتجّ بها الإمام الحسين عليه السلام على القوم حتّى جعلهم حيارى لا يدرون ما يقولون. خامساً: الجهاد، وفي هذا المورد تطرّق الباحث إلى أهداف الجهاد في الإسلام، مبيناً أنّ جميعها تنطبق على حركة سيّد الشهداء عليه السلام.

سادساً: التضحية، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يقدم الأضاحي تلو الأضاحي، مع الرضا والشكر والتسليم بقضاء الله وقدره.

سابعاً: الإعلام وكشف الحقائق ما بعد الشهادة، فقد ذكر الباحث أنّ لخطب أهل بيت الحسين عليه السلام في الكوفة والشام بالغ الصدى والأثر في قلب الموازين على الأعداء؛ مما جعلهم يرتعبون وهم في عقر دارهم.

## **The Behavior Related to the Holy Quran – The Behavior of Facing the Enemy at the Event of al-Taff as a Sample**

*Shaykh Abdel Razzaq al-Naddawi*

After a brief introduction in which the researcher articulates that the Household (PBUH) is the equivalent of the Holy Quran, he addresses the behavior and conducts Imam al-Husayn (PBUH) faced his enemies with, documenting these with some Quranic verses pointing toward this behavior and conduct. And they are as follows:

Firstly: Disbelief in the Government of the Tyrant. This is one of the Quranic principles manifested by Imam al-Husayn (PBUH) in his blessed uprising, as when he refused to pledge allegiance to Yazid.

Secondly: The Emigration. Also manifested by Imam al-Husayn (PBUH) with his emigration from Medina to Mecca, and from Mecca to Iraq.

Thirdly: Supplication. Imam al-Husayn (PBUH) practiced this Quranic principle in several occasions. Such as his supplication at the beginning of his blessed uprising at the grave of his grandfather al-Mustafa (PBUH&HF), his supplication with which he entered the battle, and also his supplication with which he left this world.

Fourthly: Protesting using Righteousness and the Proper Advice. The researcher mentions some of the speeches in which Imam al-Husayn (PBUH) where he protested against the people until he made them speechless not knowing what to do.

Fifthly: Jihad. In this topic, the researcher addresses the objectives of Jihad in Islam, where he elaborates that all of them apply to the

movement of the Master of the Martyrs (PBUH).

Sixthly: Sacrifice. Imam al-Husayn (PBUH) was constantly presenting sacrifices accompanied with satisfaction, gratitude, and complete compliance with the divine decree and predestination.

Seventhly: The Media Aspect. The researcher mentions that the speeches of the household of Imam al-Husayn (PBUH) in Kufa and the Levant had a great impact and effect in turning the tables on the enemies, which made them shiver whilst being in the comfort of their bases.



## أثر الإمام الحسين عليه السلام في تفسير القرآن

### عرض وتحليل

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي

يُمثّل هذا المقال محاولة لترسيخ البحث في أحد أدوار التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وذلك من خلال التركيز على أثر الإمام الحسين عليه السلام في هذا الحقل الديني المعرفي.

بدأ الكاتب في مقدّمة بحثه هذا بالتأكيد على أهميّة دراسة الروايات التفسيرية وبيان الدور الذي يتركه هكذا اهتمام، وذلك من خلال إثارة تساؤل عن سبب اهتمامنا بالتفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد كانت الإجابة عن هذا التساؤل عبارة عن بيان جملة من الثمرات المهمّة التي تترتب على الاهتمام المذكور، وهي من قبيل: معرفة أدوار الأئمّة عليهم السلام في حركة التفسير، ومعرفة منهج أهل البيت عليهم السلام في فهم القرآن، واختلاف بيئة التفسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن غيرها.

ثمّ بيّن الكاتب - بعد ذلك - الأساس المتّبع في التعامل مع الروايات التفسيرية، بأنّه عبارة عن الاعتماد على القرائن في توثيق هذه الروايات وليس البحث والتحقيق في توثيق جميع آحاد سلسلة السند.

أمّا الموضوع الرئيس في هذا المقال (أثر الإمام الحسين عليه السلام في تفسير القرآن) فقد تطرّق الباحث فيه إلى جملة من الروايات التفسيرية المروية عنه عليه السلام، التي ألقت الضوء على دور الإمام الحسين عليه السلام في تطوير المدرسة التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام باعتباره يمثّل أحد مفسّري المرحلة الثانية وفقاً للتقسيم الذي قدّمه الباحث لمراحل تفسير القرآن عندهم عليهم السلام. وقد تمثّل هذا الدور التطويري في جملة من المجالات،

هي: توضيح أبعاد فهم القرآن، بيان الطريق الصحيح في التفسير، تفسير الآيات وتوضيحها، التفسير العلمي، المحيط التاريخي للنص القرآني، الترابط الدلالي والتناسق في النص القرآني.  
وفي نهاية المقال ذكر الباحث خاتمة قام فيها بتلخيص مجريات بحثه في عدة نقاط.

## The Effect of Imam al-Husayn (PBUH) in the Interpretation of the Holy Quran – Presentation and Analysis

*Shaykh Haidar Khammas al-Saidi*

This article is an attempt to solidify the research in some of the roles of the interpretation in the school of thoughts of the Household (PBUT) by focusing on the effect of Imam al-Husayn in this religious epistemological field.

In the introduction of the research, the writer emphasizes the importance of studying the narrations regarding interpretation and articulating the role such focus creates, by raising a question regarding the reasons for our interest in interpretation in the school of the Household (PBUT). This question was answered by a presentation of several results from the said interest. Such as, understanding the roles of the Imams (PBUT) in the movement of interpretation, and the methodology of the Household (PBUT) in understanding the Holy Quran, and the difference between the environment of interpretation in the School of the Household (PBUT) and other schools.

After that, the writer articulates the basics followed, in dealing with the narrations regarding interpretation, to be about the indications in authenticating these narrations. Thus, the research is not regarding the authentication of every single person in the narrator-chains.

However, the main topic in this article is ‘The Effect of Imam al-Husayn (PBUH) in the Interpretation of the Holy Quran,’ where the researcher addresses a series of narrations regarding interpretation made

by the Imam (PBUH). These narrations shed light on the role of Imam al-Husayn (PBUH) in evolving the Interpretive School of the Household (PBUT), as the Imam (PBUH) is considered one of the interpreters of the Second Stage, following the order that the researcher presented for the stages of interpreting the Holy Quran by the Household (PBUT).

This evolving role was visible in a series of fields. These were: Articulating the Dimensions of Understanding the Holy Quran, Articulating the Correct Method in Interpretation, Interpreting the Verses and Elaborating Them, The Scientific Interpretation, The Historical Conditions of the Quranic Text, and the Semantic Connectedness and Consistency in the Quranic Text.

At the end of the article, the researcher presents a conclusion in which he summarizes the processes of his research.



## الآثار المعنوية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام في ضوء الآيات القرآنية

### دراسة وصفية تحليلية .. القسم الثاني

د. الشيخ أسعد السلطان

تناول الكاتب في هذا القسم من المقال بقية الآثار المعنوية المستفادة من نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ الخالدة مع قيامه بدراستها في ضوء آيات القرآن الكريم.

فبعد أن تمّ - في القسم الأوّل من هذا المقال - تقسيم هذه الآثار على أربعة محاور،

هي:

١- الآثار المرتبطة بالجانب العقدي.

٢- الآثار المرتبطة بالجانب الأخلاقي.

٣- الآثار التي تُعدّ مسائل حيوية في المنظومة الدينية.

٤- الآثار المرتبطة بالجانب الحماسي والثوري.

وبعد أن استُكمل الحديث عن الآثار المرتبطة بالمحورين الأوّلين، وصلت النوبة بالكاتب إلى ذكر ما يرتبط منها بالمحورين الآخرين، وقد تمّ بالفعل ذكر أربعة آثار ضمن المحور الثالث، وهي: إشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترسيخ حالة الصراع بين الحقّ والباطل، ترسيخ مبدأ القدوة والأسوة، إتمام الحجّة. وفيما يتعلّق بالمحور الرابع فقد تمّ ذكر أثرين رئيسين، هما: تدعيم مبدأ الولاية والقيادة، التضحية في سبيل الله.

هذا، وقد سار الكاتب في دراسته هذه على وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي سعى من خلاله إلى تبيين ظاهرة التماهي الحاصلة بين القرآن الكريم والنهضة الحسينية على مستوى الآثار والثمرات المعنوية، هذا التماهي الذي يجعل من النهضة المباركة مصداقاً للمعنى - التي أقرّها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المتواتر - بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

# The Spiritual Effect of Imam al-Husayn's Uprising in Light of the Quranic Verses – A Descriptive Analytical Study Part Two

*Dr. Shaykh Asad Ali al-Salman*

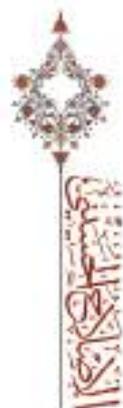
In this part of the article, the writer addresses the remaining spiritual effects from the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) at the eternal event of al-Taff where he also studies them in light of the verses of the Holy Quran.

After having – in Part One of this article – divided these effects into four categories, which were:

1. The spiritual theological effects.
2. The spiritual ethical effects.
3. The spiritual effects that are considered vital in the religious system.
4. The spiritual effects related to the enthusiastic and revolutionary aspect

After having addressed the effects related to the two first fields, the writer then addresses the last two fields, where four effects are mentioned in the third aspect. These are: Spreading enjoining good and prohibiting evil, strengthening the state of struggle between right and wrong, strengthening the concept of role modeling, and completion of the argument. Regarding the fourth aspect, two basic effects are mentioned, empowering the concept of Guardianship and Leadership, and Sacrifice for the sake of Allah.

The writer follows the descriptive-analytical methodology in this



study, in which he seeks to explain the phenomenon of identification taking place between the Holy Quran and the Husayni uprising on the level of spiritual effects and results. This identification makes the blessed uprising a sample of the special treatment which the Messenger of Allah (PBUH&HF) emphasized in the successive narration of the Two Weighty Things between the Holy Quran and the Household (PBUT).

## السلوكيات القرآنية في واقعة الطف

### سلوكيات الأسارى أنموذجاً

م.م. هدى كاظم عيسى الموسوي

يهدف البحث إلى معرفة السلوكيات القرآنية التي جسدها أسارى الطف في رحلتهم المعهودة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

بعد مقدمة مقتضبة بيّنت فيها الباحثة أهميّة القرآن الكريم، وأنّه الدستور الإلهي الذي يحفظ للمرء كرامته، تطرّقت إلى تمهيد في تعريف السلوك الإنساني، واستعماله القرآنية؛ مبيّنة أنّ القرآن الكريم اشتمل على نظام سلوكي فريد قائم على التوازن بين الجوانب الروحية والمادية.

ثمّ قسّمت المقال على مبحثين: اشتمل المبحث الأوّل على السلوكيات القرآنية لأسارى الطف على المستوى العبادي، فذكرت بعض تلك السلوكيات، وهي: المحافظة على الصلاة، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم، والدعاء. كما تناولت في المبحث الثاني السلوكيات القرآنية لأسارى الطف على المستوى الأخلاقي، وذكرت بعض تلك السلوكيات، وهي: الصبر، العفّة، الشجاعة، التضحية، والعزّة، موضحة استعمال تلك النماذج السلوكية في آيات القرآن الكريم، وكيفية تجليها في رحلة الأسر أو السبي؛ وذلك من خلال الاستشهاد بمواقف وكلمات وخطب أسارى الطف، التي واجهوا بها الأعداء أثناء مسيرتهم المؤلمة من كربلاء إلى الكوفة، ثمّ منها إلى الشام.

وفي نهاية المقال، أوردت الباحثة خاتمة تطرّقت فيها إلى أهمّ النقاط التي تناولها

البحث.

## The Conduct Related to the Holy Quran – The Conduct of the Captives of al-Taff as a Sample

*Hoda Kadhem Isa al-Mousawi*

The article seeks to understand the Quranic conduct and behavior executed by the captives of al-Taff in their known journey after the martyrdom of Imam al-Husayn (PBUH).

After a short introduction, in which the researcher articulates the importance of the Holy Quran emphasizing that it is the divine constitution preserving one's dignity, she addresses a preface on the definition of human conduct and its Quranic implementations elaborating that the Holy Quran contains a unique conductible system based upon the balance between the spiritual and material aspect.

She then divides her article into two objects of research, the first regarding the conduct of the captives of al-Taff related to the Holy Quran on a worship level, mentioning preserving prayer, citing verses from the Holy Quran, and making supplication.

In the second object of research, she addresses the conduct of the captives of al-Taff related to the Holy Quran on an ethical level. She mentions some of their characteristics such as patience, chastity, bravery, self-sacrifice, and honor. She also addresses the implementation of these traits in the verses of the Holy Quran, and how they shinned in the journey of captivity through citing stances, statements, and speeches of the captives of al-Taff with which they faced the enemies during their excruciating walk from Karbala to Kufa, and then to the Levant.

At the end of the article, the researcher presents a conclusion containing the most important results reached in the research

## معالم الشراكة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم

د. السيد مهدي عيسى البطاط

يتناول المقال لقب (شريك القرآن) للإمام الحسين عليه السلام، ومعنى هذه الشراكة بينهما، ودلالة حديث الثقلين عليها، وذكر نماذج من الشراكة والمشاكلة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم، ومن ثم بيان معطيات هذه الشراكة ونتائجها. بدايةً تطرّق الباحث إلى معنى الشراكة، فذكر لها ثلاثة معانٍ، مبيّناً أنّ جميعها تنطبق على شراكة الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم، لكنّه رجّح المعنى الثالث، وهو: أنّ القرآن والإمام الحسين عليه السلام يشتركان في أمر خاصّ، من قبيل: الهداية والقيادة، والخلافة.

ثمّ ذكر أنّ منشأ لقب (شريك القرآن) هو النصوص الروائية، مورداً بعض تلك النصوص من الزيارة الجامعة، وزيارات الإمام الحسين عليه السلام، كما أورد حديث الثقلين كونه وثيقة شاهدة ونصّاً نبويّاً على شراكة الإمام الحسين عليه السلام مع القرآن الكريم. ثمّ بيّن أنّ هناك علاقة متبادلة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم، فذكر بعض الآيات أو السور النازلة في الإمام الحسين عليه السلام، والمؤولة به، من قبيل: آية التطهير، آية المودّة، وسورة الدهر، وفي المقابل ذكر أنّ الإمام عليه السلام كان يدعو الناس إلى القرآن والعمل بأوامره وترك نواهيه.

كما ذكر بعض أوجه الاشتراك بين القرآن والإمام الحسين عليه السلام، ومنها: الهداية، العصمة، الشفاعة، الشفاء، العزّة، والموعظة؛ مستدلاًّ عليها بالآيات القرآنية، والنصوص الروائية.

بعد ذلك ذكر نتائج الشراكة، ومنها: ضرورة التمسكّ بهما معاً، وأنّ نصرته أحدهما مستلزّمة لنصرة الآخر، وأنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام تُنبئ عن مدى ابتعاد الناس عن القرآن، وأنّ من يكون شريكاً للقرآن فهو الأحقّ بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

## The Signs of Commonality Between Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran

*Dr. Sayyid Mahdi Isa al-Battat*

The article addresses the epithet The Partner of the Quran of Imam al-Husayn (PBUH) and the meaning of this partnership between the two and the semantical indication of The Narration of the Two Weighty Things on this partnership. Samples of the partnership and similarities between Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran are also mentioned, followed by a presentation of the data of this partnership and the outcome hereof.

In the beginning, the researcher addresses the meaning of partnership mentioning three meanings, where he articulates that all of them apply to the partnership between Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran. However, he prefers the third mentioned meaning of partnership, being that Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran have special common factors, which are guiding, leading, and succession.

Then he mentions that the origins of the epithet The Partner of the Quran are the narrational texts, where he presents some of these texts, from Ziyara al-Jamiaa, and the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), in addition to The Narration of the Two Weighty Things for its role as a proving document and a prophetic directive on the partnership between Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran.

After that, the writer mentions that there is an exchangeable relationship between Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran, mentioning some verses of Suras revealed on Imam al-Husayn and interpreted to regard him (PBUH). Such as the Verse of Purification, and the Verse of Love (The Verse of Mawadda), and Sura al-Dahr. He also mentions that Imam al-Husayn (PBUH) would call people to the Quran

and to follow its directives and refrain from its prohibitions.

He also mentions some of the commonalities between Imam al-Husayn (PBUH) and the Holy Quran. Such as, guidance, infallibility, intercession, healing, self-respect, and advisement which he infers from Quranic Verses and narrational texts.

Then he mentions the outcome of this partnership. Such as, the necessity to adhere to both together, and that supporting one equals supporting the other, and that the oppression Imam al-Husayn (PBUH) suffered depicts how far people have gone astray from the Holy Quran, and that he who is The Partner of the Quran is the most entitled to become the successor of the Messenger of Allah (PBUH&HF).



## توظيف آية التطهير

### بلسان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في النهضة الحسينية

الشيخ وسيم راقم الوائلي

الغرض من هذا البحث - كما جاء في مقدمته - إبراز أهمية دراسة بعض النصوص القرآنية التي وُظِّفت على لسان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في النهضة الحسينية، عبر آية (التفسير التحليلي) التي تُبرِّز مكنونات النص اللغوي بعامة والقرآني بخاصة؛ لما يتَّسَّم به من دقة تفصيلية في تحليل النصوص؛ ومن أبرز هذه النصوص (آية التطهير). وفي ضوء ذلك عقد الكاتب هذا البحث في تمهيد وأربعة مباحث، تطرَّق في التمهيد إلى أنواع توظيف النصِّ والمناسبة التاريخية لتوظيف آية التطهير، مؤكداً فيها على ضرورة التمييز بين وظيفة النص القرآني القصدي من قبل السماء (الهداية)، وبين عملية توظيف النص القرآني من قبل البشر في تواصلهم، فالهداية وظيفة تواصلية إلهامية قصدية من قبل القرآن الكريم، ويقع في طولها وظائف لا متناهية من حيث مستوى المرسل والمتلقي. وفيما يتعلَّق بالمناسبة التاريخية فقد ذكر نص الحوار الذي وقع بين الإمام زين العابدين عليه السلام والشيخ الشامي في الشام.

ثمَّ انتقل إلى المبحث الأول وهو: التفسير التحليلي للحرف في آية التطهير، وقد تمَّ اختيار حرف الميم لما له من تناسب دلالي مع الأحداث التي دلَّ عليها النصُّ الكريم لفظاً ونزولاً وتوظيفاً.

وأما المبحث الثاني فقد دار الحديث فيه عن تحليل دلالة الكلمة القرآنية في آية التطهير، ووقع اختياره على كلمة (البيت) ليمَّ تحليلها معجمياً وصرفياً ونحوياً وإيجائياً.

ثمّ انتقل إلى المبحث الثالث لتحليل دلالة المركب للنصوص الموظّفة في الحوار، وقد اختار من بين المركبات قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾، حيث قام بتحليله صرفياً ونحوياً وإيجائياً.

وجاء في المبحث الرابع الحديث عن دلالة السياق لآية التطهير بلسان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، والذي قسّمه على قسمين: السياق اللفظي، والسياق المعنوي.

# Implementing the Verse of Purification By Imam Ali Bin al-Husayn (PBUT) in the Husayni Uprising

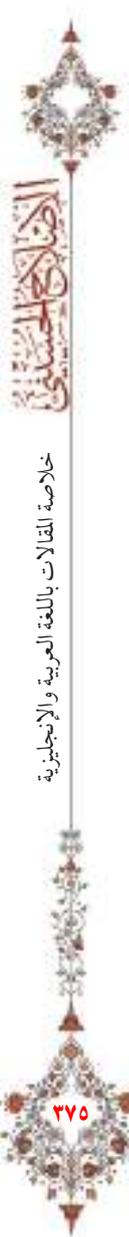
*Shaykh Waseem Raqem al-Waeili*

The objective of this study – as mentioned in its preface – is to display the significance of studying some of the Quranic texts utilized by Imam Ali Bin al-Husayn (PBUT) in the Husayni uprising, through the method of Analytical Exegesis. This method exhibits the linguistic constituents of the text in general, and the Quranic texts especially and is characterized by its detailed analysis of the text. Among the most prominent of such texts is the Verse of Purification.

In light of this, the writer dedicates an introduction and four objects of research, where he in the preface addresses the different types of textual utilization and the historical event for utilizing the Verse of Purification. He emphasizes the necessity of distinguishing between the objectives of the Holy Quran as set by the Heaven (Guidance), and between the operations of utilizing the Quranic text through human interactions. Thus, guidance is an interactive task from the Holy Quran with an objective seeking to make people understand. Parallel to it, there exists indefinite tasks based on the level of the sender and the receiver.

In relation to the historical event, the writer mentions the exact dialogue that occurred between Imam Zayn al-Abideen (PBUH) and the Levantine elderly in the Levant.

After that, he addresses the first object of research, The Analytical Exegesis of the Letter in the Verse of Purification, where he chooses the Arabic letter Mim due to what it contains of semantic proportionality with the events which the Holy text indicated in relation to its expression, revelation, and utilization.



The second object of research was regarding analyzing the semantics of the Quranic word in the Verse of Purification, and his choice fell on the word Bayt (House), which becomes subject to lexical, morphological, syntactical, and inspirational analysis.

Following is the third object of research where he analysis the semantics of the compound of the utilized texts in the dialogue. Among the compounds he chose, are His words, exalted is He, “Allah intends only to,” where he analysis it morphologically, syntactically, and inspirationally.

The fourth object of research was regarding the semantics of the context of the Verse of Purification utilized by Imam Ali Bin al-Husayn (PBUT), which the writer divides into two parts. The verbal context, and the spiritual context.



العدد الثاني والثلاثون - السنة الثامنة - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

## النهضة الحسينية والبعثة النبوية

### القسم الثاني: دراسة مقارنة في مراحل تحقيق الأهداف

العلامة السيّد سامي البدري

اشتمل هذا القسم من الدراسة المقارنة على مبحثين، تناول المبحث الأول الخطوات والمراحل التي انتهجها الإمام الحسين عليه السلام من أجل تحقيق هدفه، والتي هي عينها المراحل التي انتهجها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في تحقيق هدف بعثته، وكانت عبارة عن ستّ مراحل، وهي: مرحلة العزلة، مرحلة الحركة التبليغية السريّة، مرحلة الإعلان عن المرجعية الدينية، مرحلة الإعلان عن المرجعية السياسية، مرحلة مؤتمر النُصرة، ومرحلة الهجرة.

ثمّ جاء المبحث الثاني بعنوان: الفتح في مشروع الإمام الحسين عليه السلام، تطرّق فيه الباحث إلى حقيقة الفتح الحسيني؛ مبيناً أنّه يختلف عن غيره من الفتوحات الماديّة الأخرى بشكل مباشر، وأنّه فتح تحققت به كلّ أهدافه، من إحياء السنة النبوية، وتخطيط مشروع الإمامة الضالّة المتمثّلة بيزيد، وتوعية الناس تدريجياً بأنّ الخلافة الأموية خلافة ضالّة، ليس لها أساس من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله.

بعد ذلك أشار الباحث إلى أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام أنتجت مرحلة ثالثة لتاريخ التشيع بعد مرحلتين سابقتين، الأولى في زمن النبي صلى الله عليه وآله وقد دلّت عليها الروايات، والثانية في زمن الإمام علي عليه السلام لما نهض سنة (٣٧هـ).

وفي خاتمة المقال ذكر الباحث أهمّ ما توصل إليه في هذه الدراسة المقارنة بين حركة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحركة الإمام الحسين عليه السلام. كما أشار - بعد ذلك - إلى أنّ هناك خمسة مناهج لإثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام، ومنها المنهج التاريخي الذي يقع هذا النوع من الدراسة في حدود دائرته.

# The Husayni Uprising and the Prophetic Emission

## Part Two: A Comparative Study of the Stages of Achieving the Goals

*The Scholar, Sayyid Sami al-Badri*

This part of this comparative study contains two objects of research. The first regarding the steps taken by Imam al-Husayn (PBUH) in order to achieve his goals, which are the exact same steps taken by the Prophet (PBUH&HF) to achieve the goal of his emission. These are six steps, or rather stages: exclusion, secret proselytization, the announcement of the religious authority, the announcement of the political authority, the conference of supporters, and the emigration.

The second object of research, titled, The Triumph in the Project of Imam al-Husayn (PBUH), in which the researcher addressed the reality of the Husayni Triumph. He articulates that it completely differs from other material triumphs, and is one in which all goals were achieved, from reviving the Prophetic Tradition, and demolishing the project of the deviating leadership represented by Yazid, and gradually making people aware that the Umayyad Caliphate is a corrupt caliphate, with no basis in the Book of Allah or the Tradition of the Prophet (PBUH&HF).

After that, the researcher mentions that the movement of Imam al-Husayn (PBUH) produced the third era for the history of Shiism after two previous eras. The first occurred at the time of the Prophet (PBUH&HF) and was mentioned by the narration, and the second at the time of Imam Ali (PBUH) when he rose year 37. HE.

Finally, the researcher mentions the most important results reached in this comparative study between the movement of the Prophet (PBUH&HF) and the movement of Imam al-Husayn (PBUH). He also mentions that there exist five methodologies followed to prove the Imamate of the Household (PBUT), among which is the Historical Method, which is the one this study lays within the border of.





لَمَّا خَرَجْتَ لِطَلْبِ الْأَصْلَاحِ فِي أُمَّتِكَ

# الإصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فِضْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالتَّهَضُّقِ الْحَسَنِيِّ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ